

جون غريشام
JOHN GRISHAM

سرقة مال النصاب

THE ROOSTER BAR

مكتبة ٣٧٣

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

سرقة مال النصاب

THE ROOSTER BAR

رواية

مكتبة | 373

جون غريشام
JOHN GRISHAM

ترجمة

غيلدا عساف

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE ROOSTER BAR

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

DOUBLEDAY, a division of Penguin Random House LLC, New York

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2017 by Belfry Holdings, Inc.

All rights reserved

Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2549-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

 www.aspbooks.com

 asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 785108 - 785107 - 786233 (+961-1)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة ٢٠١٩ ٢٧

سرقة مال النصاب

THE ROOSTER BAR

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

ذكرى لنورسين

t.me/ktabpdf

إنها نهاية السنة، وقد حل موسم الأعياد، والأسر بمحملها التم شملها مجدداً. لقد حاولت السيدة فرايزر بالرغم من كل الحزن والبؤس والشقاء الذي يحيط بها، أن تستعد لاستقبال الأعياد، فقد زينت شجيرة، وحضرت بعض الهدايا الرخيصة، وخبزت بعض الحلوى، وكديدها شغلت موسيقى كسارة البنديق، وغنت بينما كانت تعمل في المطبخ متظاهرة بالبهجة.

يمكن وصف حياتها بأوصاف كثيرة، إلا أن البهجة ليست إحداها، فزوجها البغيض، ترك المنزل منذ ثلاث سنوات، ولم يهتم أحد لغيابه، لأن الناس كانوا يحتقرونه، ولكنه لم يلبث أن ظهر برفقة مساعدته التي تبين أنه على علاقة بها، وأنها حامل منه، وهذا ما ترك السيدة فرايزر، مهجورة وذليلة ومفلسة ومكتسبة، إلا أنها لم تفقد الأمل بالحياة.

ابنها الأصغر لوي، الذي كان يمضي سنة عصبية من الاحتجاز في المنزل عقوبة له على اتجاره بالمخدرات وأمور من هذا القبيل، لم ييذل أي مجهودٍ ليشتري لأمه هدية، وكانت حجته أنه لا يستطيع مغادرة المنزل بسبب جهاز التتبع المربوط إلى رسغ قدمه التي أمرت الشرطة بوضعه. أياً يكن الأمر، لم تتوقع أمه أن يذهب ويحضر لها هدية، فعندما كان حراً طليقاً طيلة سنوات لم يزرعج نفسه ليذهب ويتسوق.

أما مارك، ابنها البكر، فقد عاد إلى المنزل ليرتاح خلال العطلة من متاعب كلية الحقوق، وبالرغم من أن أموره المادية متدهورة، إلا أنه تدبر أمره، وأحضر زجاجة عطر. سيتخرج من الكلية في شهر أيار. لذا قرر تمضية العطلة في المنزل، والدراسة تحضيراً لامتحان القبول في رابطة المحامين. كان يمضي نفسه البدء بالعمل في إحدى شركات الحمامة في أيلول، وهو الشهر عينه الذي ستجرى فيه محاكمة

لوي. لكن الوقائع تشير إلى أن القضية لن تكون لصالحه لسببين: أولهما، أنه قبض عليه وهو يبيع عشرة أكياس من المخدرات، وهناك فيديو يثبت ذلك، والثاني، أنه لم يكن بوسع الأم ولا لوي تحمّل نفقة محامٍ ضليعٍ يخرجهم مما ورّط نفسه فيه. طيلة فترة العُطلة، لَح كل من لوي والسيدة فرايزر أمام مارك أن عليه أن يتطوّر ليدافع عن أخيه.

وعندما بدا جلياً أن لوي خطّط لاحتكار الأريكة، لما لا يقلّ عن عشر ساعاتٍ يومياً بدايةً من مطلع العام، ومشاهدة سبع مبارياتٍ لكرة القدم مباشرة، غادر مارك بهدوءٍ إلى بيت أحد أصدقائه. وبينما كان عائداً الليلة وهو يقود تحت تأثير الكحول، اتخذ قراره بالعودة إلى العاصمة ليمضي بعض الوقت، بالرغم من أن الدراسة لن تبدأ قبل أسبوعين، لكن بعد مضيّ عشرة أيامٍ من الاستماع للوي ونحيبه حول مشاكله، ناهيك عن صوت موسيقى كسّارة البندق المستمرّ، سئم مارك وكان يتطلّع لفصله الدراسي الأخير.

أثناء احتساء قهوة الصباح مع أمّه، شرح لها أنه مضطر للعودة إلى العاصمة. مبدياً أسفه لقراره المغادرة في وقت أبكر من المتوقع، مخبراً إياها أن لديه ما يكفي من المشاكل ولا يفترض به تربية أخيه الضال.

أول مشكلة صادفت مارك في طريق عودته كانت سيارته فورد برونكو التي رافقته منذ أيام الثانوية. فقد تعطلت في منتصف الطريق، وكان عداد أميالها يشير إلى الرقم 187 ألف ميل. لقد طرأ عطل على مضخة الوقود؛ وهي واحدة من قطع كثيرة كانت بحاجة إلى استبدال. لكنه وطوال الستين الماضيتين حاول إصلاح العديد منها شخصياً، أما اليوم فبدا عاجزاً عن إصلاح المضخة. لكن من حسن حظّه أمّا عادت إلى العمل من تلقاء نفسها، ولكن بفعالية منخفضة، وبالتالي لم تستطع الفورد السير بسرعة تزيد عن تسعة وأربعين ميلاً في الطرق السهلية. ولتفادي عرقلة السير أو الاصطدام بسيارات أخرى، خاصة الشاحنات الكبيرة ذات الثماني عشرة عجلة، سلك مارك الطريق الفرعي الذي يصل ريف ديلاوير بالساحل الشرقي، والمسافة التي كان اجتيازها في الظروف العادية يستغرق ساعتين من القيادة المتواصلة استلزمه اجتيازها ضعف هذا الوقت.

هذا الوقت أتاح له التفكير بمشاكله الأخرى، وأهمها ديون دراسته، لقد كلفته الدراسة اقتراض آلاف الدولارات، ولكنه حتى الآن لم يبدأ بالعمل، ولم يكن والده السعيد، مع مساعدته وطفلهما، والغارق بدوره بالقروض مستعداً لمُدَّ يد العون، فقد سبق له أن حذره من الاقتراض ليدرس بقوله: "اللعنة، يا صبي، أربعة أعوام من الدراسة وقرض بآلاف الدولارات. توقّف قبل أن يزداد الأمر سوءاً". لكنّ مارك اعتقد أن الأخذ بنصائح والده المادّية كان ضرباً من الغباء.

لذا عمل لمدة سنتين هنا وهناك، ساقياً في الحانات، وعامل توصيلٍ للبيتزا، وطوال تلك الفترة كان يتفاوض مع الجهة المقرضة. الآن وبالنظر إلى السوراء، لم يكن متأكداً من أين نشأت فكرة كلية الحقوق، لكنه يتذكّر سماعه لمحادثة بين أخوين كانا يتناقشان في مسائل هامة أثناء احتسائهما الشراب. كان مارك الساقى في الحانة، ولم تكن الحانة مُزدحمة، وبعد أن أنهى الأخوان الكأس الرابعة من شرابهما، تحدّثا بصوت عالٍ كفايةً لسمعهما الجميع. من بين أمورٍ عديدةٍ مُثيرةٍ للاهتمام كانا قد قالاهما، تذكّر مارك اثنين منها دوماً: "مكاتب محاماة العاصمة توظف الأشخاص برواتب خيالية، يبدأ الراتب بمئة وخمسين ألف في السنة".

بعد فترةٍ قصيرةٍ، صادف صديقاً من الثانوية، والذي كان في سنته الأولى في كلية فوغى بوتوم للحقوق في العاصمة، وكان الشابّ مُصرّاً على خطّته في التركيز على دراسته، وإتهائها خلال سنتين ونصف السنة، ليوقع عقد عمل مع شركةٍ كبيرةٍ وبراتبٍ ضخم. كان الفدراليون يغدقون بالقروض على الطلاب، وكان بمتناول أي منهم الحصول عليها، وبالطبع كان سيخرج وهو يزرع تحت جبل من الديون، لكن لم يكن هنالك شيءٌ لا يستطيع إعادة دفعه خلال خمس سنوات. بالنسبة إلى صديقه، على الأقل، كان من المنطقيّ جداً "أن يغتنم فرصة" فالرواتب التي تعرضها شركات المحاماة قادرة على تسديد القرض وضمان مستقبل واعد.

اقتنع مارك بالفكرة، وبدأ الاستعداد لامتحان القبول في الجامعة. كانت نتيجة الامتحان 146، لكن ذلك لم يكن عقبة، فقد قُبِل في كلية فوغى بوتوم

للحقوق. حتى أن معدل الثانوية العامة المتدني والبالغ 2.8 لم يمنع كلية فوغي بوتوم من فتح المجال له للتقدم إلى الامتحان، وسرعان ما حصل على موافقة بشأن قرض الدراسة. خمسة وستون ألف دولار كان يتم تحويلها من مديريّة التعليم كل سنة إلى فوغي بوتوم. والآن، لم يعد يفصله عن التخرج إلا فصل واحد، ولكنه وجد نفسه يرزح تحت وطأة دين مبلغه الإجمالي 266 ألف دولار بما فيها الفوائد.

كل ذلك، كان متوقعاً، ولكن المشكلة تكمن في أن سوق العمل لم تكن مزدهرة، ولم تكن الشركات تتهافت على توظيف الخريجين بخلاف ما أعلنت عنه الكلية على موقعها عندما التحق بها. في الحقيقة، ولتوصيف واقع الحال بدقة، كانت الشركات تتهافت على توظيف خريجي الجامعات المرموقة حيث يحظى الخريجون برواتب يُحسدون عليها، ولكن فوغي بوتوم لم تكن كلية مرموقة. حطّط مارك ليشقّ طريقه في شركة محاماةٍ متوسطة متخصصة بالدعاوى التي ترفع بوجه إدارات الدولة الرسمية ومؤسساتها. لم يكن راتبه المبدئيّ قد حدد بعد، لأن مجلس إدارة الشركة، سيجتمع مطلع كانون الثاني لاستعراض أرباح السنة الماضية، وبناء على ذلك سيحددون الرواتب المستعدين لدفعها. وخلال أشهر قليلة، يفترض بمارك أن يتصل بمستشاره بشأن القرض الدراسي لإعادة هيكلته تمهيداً للبدء بسداده. لطالما أعرب هذا المستشار عن قلقه من أن مارك لم يكن يعلم مقدار المال الذي سيحني، وشاركه مارك القلق عينه، وخاصة عندما أضاف إلى الأمر أنه لم يكن يثق بالأشخاص الذين التقى بهم في مكتب المحاماة. حاول التعلق بجمال الأمل، ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أن الوظيفة الموعودة لم تكن مضمونة.

مشكلةٌ أخرى كانت امتحان القبول في رابطة المحامين، وبسبب كثرة الخريجين، كانت امتحانات القبول في العاصمة أصعب من أي مكان آخر في الدولة، وبالكاد كان خريجو فوغي بوتوم يجتازونه وكانت معدلاتهم متدنية، بخلاف خريجي الكليات المرموقة الذين كانوا يجتازونه بيسر وسهولة. في العام الماضي، كانت نسبة نجاح خريجي جورج تاون 91 بالمئة. وجورج واشنطن 89

بالمئة. أما نسبة نجاح خريجي فوغي بوتوم فلم تتجاوز 56 بالمئة. وليضمن اجتيازه امتحان القبول، كان على مارك أن يبدأ الدراسة منذ الآن، في أوائل كانون الثاني، ومن دون توقّف لمدة ستة شهور.

لكن الطاقة ببساطة لم تكن موجودة، وخاصة في هذا الجوّ البارد، في أيام الشتاء الكئيبة والموحشة. في بعض الأحيان تحيل الدين وكأنه قوالب من الطوب مربوطة على ظهره، وهذا ما جعل من تحركه في هذه الحياة يبدو ثقيلاً وروتينياً. وكان من الصعب عليه البقاء سعيداً، فهو يعيش في فقر مدقع، ولم يكن مستقبله واضح المعالم حتى وإن حظي بالوظيفة. وبالرغم من كل ما تقدم، يمكنه وصف نفسه بالمحظوظ، فقد حصل أغلب زملائه على القروض لكن لم يحظ أي منهم بفرصة عمل.

بالعودة بالذاكرة إلى الوراء، لقد سمع التذمّر حتى في سنته الأولى، ومع كلّ فصل كان المزاج في الكلية يزداد سوداوية، الشكوك باتت أكبر، وازدادت سوق العمل سوءاً. لقد أخرجت نتائج امتحان القبول الجميع في كلية فوغي بوتوم. الآن، في سنته الأخيرة، لم يكن من الغريب سماع الطلاب وهم يتحدثون في الكلام مع الأساتذة أثناء المحاضرات، ولم يكن العميد يخرج من مكتبه، وعطّل المدوّنون موقع الكلية الإلكتروني وكتبوا: "هل هذه خدعة؟". "ماذا فعلنا لنلقى هذا؟". "أين ذهبت الأموال؟"

بسبب التفاوت الكبير في نتائج امتحان القبول، أدرك الجميع ما يلي: كلية الحقوق في فوغي بوتوم فاسدة، وقدمت وعوداً كاذبة، وحققت عائدات كبيرة، وشجعت كثيرين على الاقتراض، وقبلت كثيراً من الطلاب الذين لم تكن مؤهلاتهم تتيح لهم دخول كلية الحقوق، ولم تقم بالمجهود الكافي لتأهيلهم، وربما كانوا شديدي الغباء ليجتازوه.

لقد تداول الطلاب شائعة مفادها أن عدد الطلبات المقدّمة للتحاق بكلية الحقوق في فوغي بوتوم انخفض 50 بالمئة. ومع غياب الدعم الحكومي، ومن دون وجود المنح، سيؤدي مثل هذا الإجراء إلى خفض كبير في النفقات، وهذا سيؤدي بكلية سيئة أصلاً لتصبح أكثر سوءاً. لم تكن هذه الأمور السيئة لتؤثر

على مارك وزملائه، فهي شهور أربعة الباقية لهم هنا في الكلية، وسيغادرونها ولن يأسفوا أو يحنوا إلى أيامها.

عاش مارك في مبنى مؤلف من خمسة طوابق، وهو في حال سيئة ويوماً بعد يوم يصبح أكثر سوءاً. كان عمره ثمانون عاماً ويتدهور بشكل واضح، لكن الإيجار كان منخفضاً، وهذا ما جذب الطلاب من جورج واشنطن وكلية فوغي بوتوم. في أيامه الأولى كان معروفاً بكوبر هاوس، لكن وبعد عقدين من إهمال الصيانة أصبح يسمى كووب. ولأن مصاعده نادراً ما كانت تعمل، استخدم مارك السلم ليصعد إلى الطابق الثالث ويدخل شقته الضيقة ذات الأثاث المتناثر، والتي كان يدفع إيجارها 800 دولار، وكانت مساحتها خمسين قدماً مربّعة. لسبب ما نظّف الشقة بعد امتحانه الأخير قبل العطلة، وحين أنار الأضواء سر لرؤيتها مرتبة كما تركها. ولم عليها ألا تكون كذلك؟ أفرغ مارك حقائبه، وكان متفاجئاً بالهدوء، ففي أيام الدراسة، ومع وجود الطلاب في شققهم، وبما أن الجدران كانت غير سميكة كفاية، كان الضجيج يعم البناء فأصوات المسجّلات، والتلفزيونات، والجدالات، والشجارات، وعزف الغيتار، وحتى صوت عزفٍ على البوق من قبل طالب غريب الأطوار كانت تعم الأرجاء. لكن اليوم، عم الهدوء المكان فالجميع في منازلهم، يستمتعون بقضاء العطلة، وكانت القاعات هادئة بشكلٍ مخيف.

بعد نصف ساعة، شعر مارك بالملل وغادر المبنى، سار على طول جادة نيو هامبشاير، حيث اخترق الهواء البارد صوف سترته الرقيقة وردائه المهلهل، ولسبب ما قرّر أن يعطف نحو طريق الواحد والعشرين والتوقف قبالة كلية الحقوق ليرى إن كانت أبوابها مفتوحة. في مدينة مليئة بالأبنية العصرية القبيحة، شيدت كلية الحقوق فوغي بوتوم لتتميز بهندستها القبيحة التي تتفوق على كل القباحة المعمارية المحيطة بها. لقد كانت صرحاً يعود إلى ما بعد الحرب، شيد بحجارة صفراء اللون وارتفع إلى ثمانية طوابق، وكان مؤلفاً من جناحين غير متناظرين يفترض أنه شيد في البدء ليكون بناء مكاتب، قبل أن يجري المهندسون

تعديلات عليه فيهدمون بعض الجدران من أجل استحداث قاعاتٍ للمحاضرات في الطوابق الأربعة السفليّة. احتلت المكتبة الطابق الخامس وكانت غرفها ضيقة، بالإضافة إلى بعض القاعات التي تحاكي قاعات المحاكم، واحتلت المكاتب الإدارية الطابقين السادس والسابع، أما الطابق الثامن فكان مخصصاً للإدارة، حيث يقع مكتب عميد الكلية الذي بالكاد كان يغامر ويغادر مكتبه.

كان باب الكلية مفتوحاً فدخل مارك الحرم، بالرغم من أن الجو هنا كان أكثر دفئاً إلا أنه حافظ على مسحة الكآبة المعتادة. لوح نشراتٍ ضخمة كان يغطي أحد الجدران بجميع أنواع الملاحظات، والبلاغات، والإعلانات المغرية. كان هنالك بعض البروشورات التي تعلن عن فرص الدراسة خارج البلاد، والتشكيلة المعتادة من الإعلانات اليدويّة الصنع التي تعرض أشياء للبيع؛ كتبٌ ودرجاتٌ هوائية وتذاكر ومناهج دراسية وساعات دراسية للمدرّسين خصوصيين وشققٌ للإيجار. مكتبة

كان امتحان القبول يخيّم على الكلية بأكملها كغيمة سوداء، وكان هنالك إعلاناتٌ تبرز امتيازات بعض الدورات التدريبيّة. لو بحث مارك بجديّة في الإعلانات لكان وجد بعض فرص العمل، لكن في كليّة فوجي بوتوم أصبحت مثل هذه الإعلانات أكثر ندرةً خلال السنة. وجد عند إحدى الزوايا نفس البروشورات القديمة تعرض قروضاً دراسية، في آخر البهو كان هناك آلات للبيع ومشربٌ صغيرٌ للقهوة، لكنه كان خالياً.

ألقي نفسه على كرسيّ جلديّ تالفٍ وغرق في كآبة كليته. هل كانت حقاً كليّة أم كانت فقط شهادة دبلومٍ أخرى؟ يوماً بعد يوم كانت الإجابة تصبح أكثر وضوحاً. تمنى للمرّة الألف لو أنه لم يدخل يوماً عبر الباب الأماميّ كطالب سنةٍ أولى غافل. الآن، بعد ثلاث سنواتٍ تقريباً، كان يرزح تحت جبل من الديون لا يدري كيف سيسددها. إن كان هنالك بصيص أملٍ في نهاية النفق، فهو لم يكن يستطيع رؤيته.

لماذا قد يطلق أحدهم على كليّة اسم فوجي بوتوم؟ كما لو أن تجربة كليّة الحقوق بحد ذاتها لم تكن موحشةً كفاية، لقد سمّاها شخصٌ بارزٌ قبل عشرين

سنةٍ باسمٍ عبّر عن كآبته، ذلك الشخص ميت الآن، باع الكلية لبعض مستثمري وول ستريت الذين كانوا يملكون سلسلةً من كليات الحقوق التي كانت تدر وفقاً للتقارير أرباحاً هائلة، في حين كانت تقوم ببعض الأعمال بطريقة مواهب قانونية. كيف تشتري وتباع كليات الحقوق؟ كان ذلك لغزاً.

سمع مارك أصواتاً فغادر المبنى بسرعة. سار نزولاً في جادة نيو هامبشاير باتجاه دوبونت سيركل، حيث دخل كرامر بوكس ليحتسي القهوة سريعة الذوبان. بعدها تحول في الأرجاء. فجأة تعطلت سيارته وسط زحمة السير في المدينة، وتمكن من تشغيلها بعد جهد جهيد قبل أن يركنها في أرض بور خلف مبنى كووب، ومفتاح تشغيلها بداخلها دائماً. ولسوء الحظ، حتى الآن لم ينور أحدٌ سرقته.

على شمال جادة كونيكتيكوت. شغل مكتب محاماة نيس سكيلتون بعض الطوابق في بناء عصريٍّ بجانب فندق هينكلي هيلتون. في الصيف الماضي خطط مارك لقبول عقد ينص على تلقيه راتباً أقل من الحد الأدنى للأجر. في مكتب المحاماة الرئيس، كانت البرامج الصيفيّة تستخدم لإغراء الطلاب المميزين بالحياة الواعدة، ولم يكن يتوقع الحصول على عمل ذي شأن.

لم يكن كذلك الأمر في نيس سكيلتون. مع وجود خمسين محامياً فقط، كان المكتب بعيداً عن قائمة المكاتب العشرة الأولى. زبائنه كانوا مؤسسات تجارية، وعمال بريدٍ متقاعدون، وجمعية تجار لحوم الأبقار والأغنام، ومقاولو أشغال وبناء طرق، ومهندسو السكك الحديدية. عمل مارك بجدّ وعانى خلال العمل المُحبط، في نهاية الصيف، عندما تلقى عرض العمل المرتبط بنجاحه بامتحان القبول في رابطة المحامين، لم يعرف إن كان عليه الاحتفال أم البكاء. ومع ذلك، قبل بما عرض عليه، لم يكن هنالك شيء آخر متوفّر، وبذلك أضحي واحداً من قلة من طلاب كلية فوغي بوتوم الذين يملكون مستقبلاً واعداً.

كان يتسكّع في الأرجاء. أوقات ما بعد الظهر، أيام السبت، في العطل، وفي أي وقتٍ كان يشعر فيه بالملل، كان يقف أمام المكتب، دائماً مع ابتسامة مزيفة عريضة وهلفةٍ في أن يرمي بنفسه إلى الداخل ويساعد.

المسؤول عنه كان يدعى راندول، شابّ في سنته العاشرة من العمل، وعلى وشك أن يصبح شريكاً، وبالتالي فهو يرزح تحت ضغط كبير، فبعد العمل مساعداً لنيس سكيلتون طيلة عشر سنوات ولم يصبح شريكاً عنى هذا أنه كان عرضة للطرد في أي وقت. راندول خريج كلية حقوق جورج واشنطن، والتي كانت في ترتيب كليات المدينة، أقلّ بدرجةٍ من جورج تاون، لكن أعلى بدرجات من فوغي بوتوم. كان التسلسل الهرمي واضحاً وصارماً، لقد اعتلت كلية جورج واشنطن أعلى الهرم، وكان كل الطلاب والخريجون يبغضون نظرة الاستعلاء التي يمارسها محامو جورج واشنطن. في مكتب نيس سكيلتون عمل مساعداً من كلية فوغي بوتوم، لكنهما حاولا الابتعاد عن كل ما له علاقة بفوغي بوتوم، ولم يكن لديهما الوقت لمُد يد العون لمارك. لقد كانا يكثران من تجاهله. كان مارك يههمهم أغلب الوقت: "يا لها من طريقة لتشغيل مكتب محاماة". لكنه أدرك لاحقاً أن كل مهنة لديها مستوياتها الخاصة. لقد كان خائفاً على نفسه أكثر من القلق حيال أين درس السفاحون الآخرون القانون.

أرسل مارك بريداً إلكترونياً إلى راندول أعلمه فيه أنه سيأتي إليه ليعمل أيّ عمل متوفر. ردّ عليه راندول مُرحباً.

وعندما أتى سأله: "لقد عدت سريعاً؟".

"بالطبع يا راندول".

"وكيف كانت عطلتك؟ من الجميل رؤيتك".

"نعم، مللتُ من كل تفاهات العطلة. ما الأخبار؟".

قال راندول: "اثان من المساعدين غائبان بسبب الإنفلونزا". أشار إلى كدسة من المستندات بسماكة قدم. "أحتاج إلى نسخ هذه أربع عشرة نسخة، وأن تكون مُجمّعةً ومشبوكةً معاً".

2

كما هو الحال مع مارك، استلهم تود لوسيرو فكرة أن يصبح محامياً إثر مُحادثاتٍ لطالما سمعها بين أشخاصٍ يحسّون المشروبات المتنوّعة في إحدى الحانات. طيلة السنوات الثلاث الماضية، كان يُعد كوكتيل الشراب في حانة أولد ريد كات. كانت عبارةً عن قاعةٍ للشرب على شكل حانة، وفضّلها الطلاب من جورج واشنطن وفوغي بوتوم. بعد دراسة الثانوية في فروستبورغ، غادر بالتيemor واتجه نحو العاصمة بحثاً عن وظيفة. لم يجد وظيفة فعمل في أولد ريد كات في إحدى مناوبات العمل، وأدرك سريعاً أنه كان مولعاً بتقدم كؤوس الشراب، وخلط المشروبات الثقيلة. أحب حياة الحانة وكان محظوظاً بالقيام بالدردشات الجانية مع السكارى الحقيقيين، في حين كان يسترضي الأشخاص المشاكسين. كان تود الساقى المفضّل لدى الجميع، وكان اسمه معروفاً لدى المئات من زبائنه.

فكّر خلال السنتين والنصف الماضيتين مرّاتٍ عديدةً في ترك كلية الحقوق، ليسعى وراء حلمه بامتلاك حانته الخاصّة. لكن والده عارضه، فقد كان السيّد لوسيرو شرطياً في بالتيemor، ولطالما شجّع ابنه لينال شهادةً أكاديمية. التشجيع كان شيئاً، لكن تحمّل النفقات كان شيئاً آخر. ولذلك وقع تود في الفخ نفسه، وهو اقتراض المال الذي يتيحّه الأشخاص الطماعون بسهولة في كليّة فوغي بوتوم للحقوق.

تعرف تود إلى مارك فرايزر في اليوم الأول، وقتها كانا يفكران في الوظائف التي تنتظرهما برواتب مرتفعة، خلال سنته الأولى عزم على ترك الكلية، لكنّ والده وبّخه. بسبب اهمّاه في العمل في الحانة، لم يجد الوقت ليترك أبواب الشركات في العاصمة. أقسم أنه سينسحب بعد سنته الثانية،

ويوقف تراكم الديون، لكنّ مستشاره للقرض أوصاه بعدم فعل ذلك. ما دام يدرس لن يكون ملزماً بتسديد دفعات القرض الكبيرة، فكان من الأفضل بكثير الاستمرار في اقتراض المال حتى يتخرج، ويجد إحدى الوظائف المريحة، التي ستتيح له نظرياً تسديد القرض في النهاية. الآن فقط، حيث لم يعد يفصله عن التخرج سوى فصل واحد، بات يعلم جيداً أن لا وجود لمثل هذه الوظائف.

لو أنه اقترض فقط 195 ألف دولار من البنك وافتتح حانته، لكان بإمكانه الآن جني الأموال والتمتع برغد العيش.

دخل مارك حانة أولد ريد كات، وجلس في مكانه المفضّل في نهاية المشرب. صافح تود بجملة قائلًا: "من الجميل رؤيتك يا رجل". أجابه تود وهو يسحب كأساً من الشراب: "من الجميل رؤيتك أيضاً". بسبب أقدميته في المكان، استطاع تود أن يُكرّم شخصاً يهيمه أو يسعد لرؤيته، وكان هذا الشخص مارك الذي لم يسبق له أن دفع هنا. بغياب الطلاب، كان المكان هادئاً. اتكأ تود على مرفقيه وسأل مارك: "حسناً، ما الذي تنوي فعله؟".

"لقد أمضيت بعد الظهر في نيس سكيلتون، في غرفة التسخن، أصنّف أوراقاً لن يقرأها أحدٌ أبداً. المزيد من العمل التافه. حتى المساعدون القانونيون يتكبرون عليّ. أنا أكره هذه الشركة قبل أن أوظف فيها". "ألم توقع عقداً بعد؟".

"لم أوقع شيئاً، والصورة تبدو ضبابية يوماً بعد يوم". أخذ تود رشفة سريعة من كأسه المخبأة تحت المنضدة. حتى مع أقدميته في المكان، لم يكن يجدر به تناول الشراب أثناء العمل، لكن المدير لم يكن موجوداً. سأل قائلًا: "حسناً، كيف كانت العطلة في المنزل؟".

"عظيمة، أمضيت عشرة أيام مروعة قبل أن أعود أدراجي. وأنت؟".

"أمضيت ثلاثة أيام قبل أن يناديني الواجب فليته. كيف حال لوي؟".

"لا يزال مُتَّهماً في الواقع، ولا أزال أبحث له عن تسوية. من المفترض أن أشعر بالأسى تجاهه، لكن لا يمكنك التعاطف كثيراً مع شابّ ينام نصف اليوم، ويقضي النصف الآخر مُستلقياً على الأريكة يشاهد التلفاز ويتذمّر من جهاز التّبع المربوط إلى رسغه. كان الله بعون أُمي المسكينة".

"أنت تقسو عليه بعض الشيء".

"على العكس، أنا متساهل معه وهنا تكمن المشكلة، لم يسبق لأحد أن قسا عليه. لقد قبض عليه، وبجوزته مُخدّرات حين كان في الثالثة عشرة من عمره، وألقى اللّوم على أحد أصدقائه، وبالطبع هرع والداي ليقفا إلى جانبه. لم يتحمّل المسؤولية يوماً. وهو كذلك اليوم".

"للأسف، يا رجل. لا أستطيع تخيل أخي سجيناً".

"نعم، إنّ ذلك مُزعج. لكنني لا أستطيع مد يد العون له".

"لن أسألك عن والدك".

"لم أره ولم أعلم شيئاً عنه، ولم تصلني منه حتى بطاقة معايدة. إنه في الخمسين من العمر، وهو أبٌ سعيدٌ بطفل في الثالثة من عمره، لذا أعتقد أنه كان يؤدّي دور بابا نويل. ووضع كومةً من الألعاب تحت الشجرة".

دخلت زبوتان واقتربتا من المشرب، فهض تود لخدمتهما، وأخرج مارك هاتفه المحمول وتفقد رسائله النصية.

حين عاد تود، سأله: "هل رأيت أي نتائج؟".

"كلا. ومن قد يهتم؟ جميعنا طلابٌ مميّزون". النتائج في فوجي بوتوم لا تعدو كونها مزحة. كان من الحتمي أن ينهي الخريجون دراستهم بسير ذاتيةٍ لامعة، ولتحقيق ذلك كان الأساتذة يعطون نتائج الممتاز والجيد كالحلوى الرخيصة. لم يسبق أن رسب أحدٌ في كليّة الحقوق فوجي بوتوم. وهذا، ما خلق ثقافة دراسة مملّة، والتي بالطبع قتلت فرصة وجود أي دافع للدراسة والاجتهاد. مجموعة من الطلاب الكسالى ازدادوا كسلاً. لذا، ليس مستغرباً أن يشكل امتحان سهل كامتحان القبول في رابطة المحامين تحدياً كما هو الآن. أضاف مارك: "لا يمكنك أن تتوقع من مجموعة من الأساتذة الذين يتلقون

رواتب لا تغني ولا تسمن أن يصدرُوا نتائج الامتحان أثناء العطلة، هل تتوقع ذلك؟".

أخذ تود رشفةً أخرى، اتكأً مُقترِباً أكثر، وقال: "لدينا مُشكلةٌ أكبر".
"جوردي؟".

"جوردي".

"كنت قلقاً حياله. لقد راسلته، وحاولت الاتصال به، لكن هاتفه المحمول مُغلق. ما الذي يحدث؟".

قال تود: "من الواضح أنه ذهب لتمضية العطلة، وتشاجر مع بريندا. إنها تريد حفل زفافٍ في الكنيسة بوجود آلاف الناس. وهو لا يريد أن يتزوَّج. لدى أمها الكثير لتقوله. أمّه لا تتحدّث مع أمها، والأمر برمّته يزداد سوءاً".

"إنهما على وشك الزواج في 15 أيار، يا تود. كما أذكر، أنا وأنت سنكون الإشبينين".

"حسناً، لا تراهن على ذلك. لقد عاد بالفعل إلى المدينة، وتوقّف عن تناول أدويته. لقد مرّت زولا هذا المساء وحذّرتني".

"آية أدوية؟".

"إنها قصّة طويلة".

"آية أدوية؟".

"إنه يعاني من الشائبة القطبية، يا مارك. تم تشخيصه منذ سنوات".

"أنت تمزح، صحيح؟".

"ولم أمزح في أمر كهذا؟ إنه يعاني من الشائبة القطبية، وزولا قالت إنه توقف عن تناول الأدوية".

"لماذا لم يُخبرنا بذلك؟".

"لا أعرف".

احتسى مارك حسوة كبيرة من كأسه وهزّ رأسه، ثم سأله: "هل عادت زولا؟".

"نعم، من الواضح أنهما عادا ليمضيا عدة أيام من المرح واللعب، بالرغم من أنني لست متأكداً من أنهما يمضيان وقتاً مرحاً. إنها تظن أنه توقف عن تناول أدويته منذ شهر، حين كنا نحضّر للامتحانات. ذات يوم احتاج وأخذ يركل الجدران، قبل أن يسقط مغشياً عليه بعد احتسائه التاكيدا وتدخينه الماريجوانا. إنه يتكلم كالمجنون، ويقول إنه يريد ترك الكلية والهرب إلى جامايكا، مع زولا بالطبع. هي تعتقد أنه قد يقوم بفعل غبيّ ويؤذي نفسه".

"جوردي أحمق. مخطوب لحبيبتة منذ أيام الثانوية، فتاة لطيفة والتي صادف أنها تمتلك المال، وهو يتسكّع مع فتاة إفريقية والداها وإخوتها موجودون هنا بشكل غير قانوني. يا له من أحمق".

"جوردي في ورطة، يا مارك. إن حالته تتدهور منذ أسابيع وهو يحتاج إلى مساعدتنا".

دفع مارك كأسه لإنشآت، وشبك يديه خلف رأسه. "كما لو أننا لا نملك ما يكفي لنقلق بشأنه. كيف يجدر بنا مساعدته؟".

"أخبرتني أنها تسعى لإبقائه تحت المراقبة وتريد منا الذهاب إليه الليلة".

بدأ مارك بالضحك واحتسى حسوة أخرى.

سأله تود: "لماذا تضحك؟".

"لا شيء، لكن هل يمكنك تخيل الفضيحة في مارتينزبورغ، فيرجينيا الغربية، في حال انتشر خبر أن جوردون تانر ذاك، والذي والده شماس في الكنيسة وخطيبته ابنة طبيب مرموق، فقد عقله وترك كلية الحقوق ليهرب إلى جامايكا مع مسلمة إفريقية؟".

"بالكاد أرى الأمر مضحكاً".

"حسناً، حاول أكثر. يبدو الأمر مرعباً. لكن الضحكة توقفت. انظر، يا تود، لا يمكننا جعله يأخذ دواءه. إذا حاولنا فسيبرحنا ضرباً معاً".

"إنه بحاجة إلينا، يا مارك. سأنهي العمل الليلة في التاسعة وسنذهب".

جلس رجل متأنق إلى المشرب، فتوجه تود للاهتمام بطلبه. احتسى مارك من كأسه وانتابته حالة من الذعر على صديقه.

قبل ثلاث سنواتٍ من ولادة زولا مال، هرب والداها من السنغال إلى جنوب أفريقيا حيث مكثا في أحد أحياء جوهانسبورغ الفقيرة مع ابنيهما الصغيرين، وعملاً عملاً وضيعاً في تنظيف الأرضيات. بعد سنتين، كانا قد ادخرا ما يكفي من المال ليدفعا لمهرب من أجل رحلة بحرية إلى ميامي على متن باخرةٍ ليبرية، مع العشرات من السنغاليين الآخرين. عندما وصلوا إلى الشاطئ، استقبلهم أحد الأقارب وأخذ بهم إلى منزله في نيوارك، نيوجرسي، حيث عاشوا في شقةٍ من غرفتين في مبنى يحتشد بالسنغاليين، لم يكن أيٌّ منهم يمتلك بطاقة إقامة.

بعد سنةٍ من وصولهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وُلدت زولا في مستشفى نيوارك الجامعيّ، وأصبحت على الفور مواطنةً أمريكيةً. في حين أن والديها كانا يعملان في عمليْن وثلاثة أعمال، وجميعها دون الحد الأدنى للأجور، ارتادت زولا وإخوتها المدرسة، وانخرطوا في المجتمع. كمسلمين مُتديّنين، مارسوا طقوس ديانتهم، بالرغم من أن زولا وفي عمر مُبكرٍ وجدت نفسها مُنجذبةً إلى الطرق الغريبة. كان والدها رجلاً مُتشدداً، أُصرَّ على تعلمهم اللغة الإنكليزية والتكلم بها بدلاً من التحدث بلغتهم الشَّعبية الولاية والفرنسية. استوعب الصبيان اللغة الجديدة وساعدا والديهما بها في المنزل.

سكنت العائلة في عدة أماكن في مدينة نيوارك، وكانوا يسكنون دائماً شققاً في أماكن مكتظة، كلٌّ واحدةٍ أكبر بعض الشيء من سابقتها، ودائماً برفقة السنغاليين الآخرين. جميعهم كانوا يعيشون في حالة ذعرٍ من فكرة ترحيلهم، لكن تجمعهم منحهم الأمان أو هكذا ظنوا. كانوا يخافون من كلِّ طريقةٍ على الباب، وكان البقاء بعيداً عن المشاكل أمراً حتمياً. تعلمت زولا وأخواها أن

يتفادوا جلب أي نوع غير مرغوب من الانتباه وبالرغم من أنها كانت تملك أوراقاً ثبوتية قانونية إلا أنها كانت تدرك الخطر المحدق بعائلتها. لذا، عاشت مدعورة من فكرة أن تعتقل عائلتها وترحل إلى السنغال مجدداً.

عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها، وجدت عملها الأول بغسل الصحون في أحد المطاعم مقابل القليل من المال. عمل أخوها أيضاً، واقتصدت العائلة بأكملها المال وادّخرته قدر الإمكان. في الوقت الذي لم تكن فيه زولا تعمل كانت تدرس. أتمت دراستها في المدرسة الثانوية بتقدير جيد، والتحقّت بكليّة مجتمعيّة كطالبة بدوام جزئيّ. أتاحت لها منحة صغيرة أن تصبح طالبة بدوام كامل، وأمنت لها عملاً مستقرّاً في مكتبة الكليّة. لكنها بقيت تعمل في غسل الصحون، وتنظيف المنازل مع أمها، وعملت كجليسة لأطفال أصدقاء العائلة الذين يعملون في وظائف أفضل. تزوّج أخوها الأكبر فتاةً أمريكية غير مُسلمة، وبالرغم من أن ذلك كان يعني طريقاً أسهل نحو الحصول على جنسيّة، فقد تسبّب ذلك باحتكاكاتٍ جدّية مع والديها. انتقل الأخ وزوجته إلى كاليفورنيا لبدأ حياة جديدة.

في عمر العشرين، تركت زولا المنزل والتحقّت بجامعة مونتكلير، وعاشت في سكن جامعيّ مع فتاتين أمريكيتين، كلتاها محدودة الدخل. اختارت المحاسبة لأنها كانت تستمتع بالعمل مع الأرقام، وكانت تدرس بجدّ حين كان يسمح لها الوقت ذلك، لكن التنقل في العمل بين وظيفتين أو ثلاث أحياناً، كان يتضارب مع دراسة الكتب. أقحمتها شريكنا السكن في أجواء الحفلات واستنتجت أن لديها موهبةً وشغفاً في ذلك أيضاً. لقد تشبّثت بتحريم الإسلام للكحول، وهي لم تحبها أصلاً. كانت مُفتحة أكثر تجاه المُغريات الأخرى؛ الموضة والجنس في المقام الأول. بطولها البالغ ست أقدام لطالما أخبرها الناس عن مدى جمالها وهي ترتدي بناطيل الجينز الضيّقة. علّمها عشيقها الأول كلّ شيء عن الجنس، وعرفّها عشيقها الثاني على المُحدّرات. في نهاية سنتها الأولى اعتبرت نفسها مُسلمة غير ملتزمة، ظناً منها أن والديها كانا لا يمتلكان أيّ دليل.

خلال فصل الخريف الدراسي من سنة التخرّج، سيكون لدى والديها مشاكل حقيقية فقد اعتقل والدها وسجن لأسبوعين قبل اتخاذ ترتيبات الكفالة. في ذلك الوقت، كان يعمل لدى مُقاولٍ طلاء، سنغاليٍّ آخر يحمل الوثائق اللازمة. من الواضح أن صاحب العمل قدم عرضاً أقل من مُقاولٍ اتحادي من أجل طلاء جدران مُجمّع مكاتب في نيوارك. أعلم المُقاول الاتحادي دائرة الهجرة والجوازات بأن منافسه كان يستخدم مهاجرين غير شرعيين. كان ذلك خطيراً بما فيه الكفاية، لكنه زعم أنه فقد بعض الأشياء وأتم والد زولا وأربعة من العمال غير المسجّلين بالسرقة.

وكّلت زولا محامياً زعم أنه مُتخصّصٌ في مثل هذه القضايا، ودفعت له عربوناً بلغ تسعة آلاف دولار، أي كلّ ما ادّخرته تقريباً. كان المحامي مشغولاً جداً، وبالكاد ردّ على مكالماتهم الهاتفية. مع اختباء والديها وأخويها هنا وهناك في أرجاء نيوارك، تُركت زولا وحيدة لتواجه المحامي. كانت تحتقر ذاك الرجل الذي بدا متحدثاً طليق اللسان وكان يميل إلى الماطلة وتضييع الحقيقة، ولو أنّها لم تدفع له العربون كانت لتعزله، فهي لم تملك مالا لتوكيل محامٍ آخر. حين لم يحضر المحامي أياً من جلسات المحاكمة، أعفاه القاضي من القضية. في نهاية المطاف طلبت زولا المساعدة القضائية وتمكن المحامي من دحض الاتهامات بالسرقة، لكن بالرغم من ذلك لم يكن قرار الترحيل مُستبعداً. استمرت القضية وأصبحت مُشنتّة وهذا ما أثر في دراساتها وعلاماتها. بعد عدّة جلسات مثول واستماع أمام المحكمة، أصبحت مُقتنعة أن جميع المحامين كانوا إما كسولين وإما أغبياء، وأنها تستطيع القيام بعمل أفضل بمفردها.

وقعت ضحية الادعاء أن القروض الحكومية الميسرة تستطيع جعل دخول كلية الحقوق بمتناول الجميع، وبدأت خطواتها الجريئة الأولى التي قادتها إلى فوجي بوتوم. الآن، في منتصف سنتها الأخيرة، كانت قد اقترضت أموالاً أكثر مما تصورت، وكان والدها وأخوها الأعزب بو يواجهون خطر الترحيل، بالرغم من أن ملفاتهم كانت تقبع بين قضايا محاكم الهجرة المُتراكمة.

عاشت في الشارع 23 في مبنى أفضل من المبنى الذي يسكن فيه مارك، لكنه مشابه في العديد من الجوانب. كان مُكثِّباً بالطلاب المحشورين في شققي صغيرة ذات أثاثٍ رث. في مُستهلِّ سنتها الثالثة، التقت بجوردون تانر، شاب رياضيٍّ أشقر ووسيم، كان يسكن في الشقة المقابلة لشتقتها. لم يمضِ وقت طويلٍ على تعارفهما حتى أغرما ببعض، الأمر الذي قاد لتفكيرهما بالعيش سوياً توفيراً للمال. أخيراً، رفض جوردون الفكرة بسبب بريندا، خطيبته، والتي أحبَّت المدينة الكبيرة وكانت تزورها في أغلب الأحيان.

التلاعب بامرأتين أثبت الكثير لجوردي. كان مخطوباً لبريندا طيلة حياته تقريباً، وأراد الآن تفادي الزواج بشدة. أثارت زولا قضايا مختلفة تماماً، ولم يستطع إقناع نفسه أنه كان شجاعاً كفايةً للهروب مع فتاةٍ سوداءٍ البشرية، وعدم رؤية عائلته وأصدقائه مُجدِّداً. أضف إلى ذلك عبء سوق راكدة، وديونٍ خانقة، واحتمال الرسوب في امتحان القبول في رابطة المحامين، كل ذلك أفقد جوردي السيطرة. قبل خمس سنوات شخص بثنائية القطبية، ومع العلاج والأدوية تحسنت حالته، وباستثناء حادثةٍ مُخيفةٍ في الكلية، كانت حياته عادية تماماً. تغير ذلك مع اقتراب مناسبة الشكر خلال سنته الثالثة في فوجي بوتوم، حين توقف عن تناول أدويته. صدمت تقلباته المزاجية زولا فواجهته أخيراً، عاد بشروطه لتناول أدويته، واستقرَّ وضعه لمدة أسبوعين. أنهيا امتحاناتهما وعاد كل منهما رغماً عنه إلى منزله من أجل قضاء العطلة. صمم جوردي على إثارة الخلاف الأخير مع بريندا وإفساد الزفاف. ولم ترد زولا قضاء الوقت مع عائلتها، فقد وجد والدها الحجّة لينهال عليها بالمحاضرات والصراخ بسبب نمط حياتها الغربيّ.

بعد أسبوعٍ عادا إلى العاصمة، ولم يكن جوردي قد تمكن من التخلص من خطيبته، ولا يزال موعِد الزفاف في 15 أيار. لكن جوردي توقف مجدداً عن تناول أدويته، وبدا شديد التوتر. لم يغادر غرفته طيلة يومين، كان ينام لساعات،

وعندما يستيقظ يحشر ذقنه بين ركبتيه مُحدِّقاً بالجدران المُظلمة. كانت زولا تزوره وتغادر، غير مُتأكدةٍ مما عليها فعله. اختفى لثلاثة أيام، وأرسل لها رسائل نصيَّةً تفيد بأنه على متن القطار المتجه إلى نيويورك، لكي "يقابل بعض الأشخاص". لقد كان في طريقه إلى الكشف عن مؤامرةٍ كبيرة، وكان لديه الكثير من العمل لينجزه. كانت نائمةً في شقَّتها حين اقتحم المكان تمام الساعة الرابعة من بعد منتصف الليل، مزق ملابسها وسعى لممارسة الجنس معها. في وقت آخر من ذلك اليوم اختفى مجدداً، لمطاردة الأشرار و"البحث عن الفضائح". عندما عاد بدا أن الوسواس تسيطر عليه، وأمضى ساعاتٍ طويلة مع حاسوبه المحمول، وطلب منها أن تبقى بعيدة عن شقته لأن لديه أموراً كثيرة يجدر به الانتهاء منها.

بعد أن تمكن منها الخوف والتوتر، قصدت زولا حانة أولد ريد كات وتحدّثت إلى تود.

قابلتهما أمام المبنى الذي تقطنه، وتبعها صعوداً نحو شقتها في الطابق الثاني. وعندما دخلا أغلقت الباب وشكرت قدومهما. كان من الواضح أنها قلقة، بل مذعورة تقريباً.

سألها مارك: "أين هو؟".

أجابت زولا: "هناك". وهي تشير مباشرةً إلى شقته. "إنه يرفض أن يدخلني، ويرفض الخروج. لا أظن أنه حظي بكثير من النوم في اليومين الماضيين. إنه يتحسن ويتكس، ويركل الجدران".

سألها تود: "وهل يتناول الأدوية؟".

"من الواضح أنه لا يفعل، على الأقل لا شيء من الصيدليّة. أشكّ في أنه الآن يعالج نفسه بنفسه".

تبادلوا النظرات، وكل منهم ينتظر من الآخر أن يأخذ المبادرة. أخيراً قال مارك: "دعونا نذهب إليه". خطوا عبر الردهة وطرق مارك الباب. "جوردي، أنا مارك. أنا هنا برفقة تود وزولا ونريد التحدث إليك".

هدوء. بالكاد كانوا يسمعون أغنية سيرينغستون في الخلفية. طرق مارك الباب مُجدداً وكرّر ما قاله. توقفت الموسيقى تماماً.

سمعوا صوت ارتطام كرسي بالأرض. المزيد من الهدوء مرّة أخرى، ثم تحرك مقبض الباب. مضت ثوانٍ قليلة، ثم فتح مارك الباب.

كان جوردي واقفاً وسط الغرفة، عارٍ إلا من سروال رياضيّ قصير أصفر اللون، نفس السروال الذي رأوه فيه مئات المرّات. كان يُحدّق إلى الجدار، تجاهلهم وهم يخطون داخل الغرفة. على يسارهم، كان المطبخ مُحطماً ومليئاً بعبوات الجعة وزجاجات المشروب المتروكة في حوض المغسلة. وكانت

الأكواب الورقية، والمناديل المستخدمة، وأوراق السندويش تغطي معظم الأرضية. وعلى يمينهم، كانت طاولة الطعام الصغيرة مُكدّسة بالأوراق حول الحاسب المحمول والطابعة. وتحتها، كانت الأرض مُغطاة بالأوراق والملفات ومقالات الصحف المهملة. الأريكة والتلفاز والكرسي وطاولة القهوة كانت محشورةً قدر الإمكان في إحدى الزوايا، يبدو أنه حاول إبعاد كل ذلك عن الجدار.

كان الجدار متهاهً من الأوراق الملصقة، والمُجمّعة بطريقة غريبة. بوضعه علاماتٍ سوداء وزرقاء وحمراء، كان جوردي في مرحلة تجميع لغز شركة ضخمة، مؤامرة كبيرة قادت نحو الوجوه المشؤومة لبعض الرجال في القمة. بدا جوردي وكأنه ينظر نحو الوجوه. لقد كان شاحباً وهزياً، وقد لاحظ تود ومارك أنه خسر عدة باوندات من وزنه منذ آخر مرة رأياه فيها وقت الامتحانات. لقد كان رياضياً وكان يحبّ الذهاب إلى النادي الرياضي، لكن العضلات المشدودة كانت قد ذوت، وشعره الأشقر السميك، مصدر افتخاره كان قدراً وبدا جلياً أنه لم يستحم منذ أيام. بالنظر إلى حالته، ووضع شقته علموا سريعاً أن صديقهم قد تجاوز الحدّ. لقد كانوا في حضرة فتانٍ مهووس، منعزل ومُختلّ يعمل بجدّ على لوحة ضخمة.

"لماذا أتيتم؟". سألمهم جوردي بعد أن التفت وحدّق إليهم. كانت عيناه غائرتين وكذلك وجنتاه. وبدا جلياً أنه لم يخلق لحيته منذ أسبوع. قال مارك: "علينا أن نتحدّث".

أجابه: "نعم، علينا بالفعل، لكنني سأتحدّث لأن لديّ الكثير لأقوله. لقد توضح كل شيء الآن. لقد أمسكت بالأوغاد وعلينا التحرك بسرعة". قال تود: "حسناً جوردي. نحن هنا لنسمعك. ما الأمر؟". أشار جوردي نحو الأريكة وقال بهدوء: "رجاءً تفضلوا بالجلوس". قال مارك: "أفضّل الوقوف جوردي، ما لم يكن لديك مانع".

صرخ جوردي قائلاً: "لا يمكنك ذلك. اجلس الآن". فجأة ارتفع منسوب غضب جوردي، وبدا مُستعداً لئسّد لكمة. وأدرك تود ومارك بما لا يقبل مجالاً

للقاش أنهما ما كانا ليصمدا لثوان أمام جوردي إن سعى وراء العراك. جلس تود وزولا على الأريكة، وسحب مارك كرسياً من تحت الطاولة. وأخذوا يحدقون بذهول إلى الجدار. لقد كانت متاهةً من المخططات مع وجود أسهم موضوعة في كل الاتجاهات، تربط بين عشرات الشركات والمؤسسات، والأسماء والأرقام. جلسوا كالأطفال الذين وُجِّحوا للتو، وأخذوا ينظرون إلى الجدار.

خطا جوردي نحو طاولة الطعام، سكب قليلاً من التاكيلا في كوبه، وارتشف منه وكأنه يشرب الشاي.

بادره مارك بالقول: "لقد فقدت كثيراً من الوزن، يا جوردي".
"لم ألاحظ ذلك. سأستعيده مُجدداً. لسنا هنا لتحدّث عن وزني". أمسك كوبه، وبدا واضحاً، أنه لم ينبو أن يعرض الشراب على أصدقائه، تقدم نحو الجدار، وأشار إلى الصورة العليا في القمة. "هذا هو الشيطان الأكبر. اسمه هيندز راكلي، محام من وول ستريت كان يدير عملية نصب استثمارية، وكسب أربعة مليارات، المبلغ الذي بالكاد يساوي ما لدى أفقر شخصٍ على قائمة فوربس هذه الأيام. ملياردير من الدرجة الأدنى، على ما أعتقد، ومع ذلك فهو يملك جميع الرفاهيات: قصرًا في الجادة الخامسة، ومزرعةً كبيرة في هومبتونز، ويختاً، وزوجاً من الطائرات النفاثة، وزوجة جذابة، وما إلى ذلك من الأشياء المعتادة. بعد دراسته الحقوق في هارفرد، والعمل لبضع سنوات في شركة كبيرة. استقل واستقل في مكتب خاصّ به مع بعض الرفاق، وهو الآن يملك أو يترأس أربع شركات كبرى. في الوقت الذي يبدو فيه الأثرياء مُفتحين، يحبّ هيندز أن يحظى بخصوصيته. يعمل من خلف الستار في العديد من الشركات المختلفة. لقد تقصّيتُ عنه قليلاً، لكنني وجدت الكثير".

كان جوردي يتحدّث مولياً ظهره لأصدقائه. عندما رفع كوبه من أجل المزيد من التاكيلا، كانت الفراغات بين ضلوعه مرئية. خسارته لوزنه كانت مثيرةً للدهشة. بدأ يتحدّث بهدوءٍ الآن، كما لو أنه يهتم بحقائق لا يعلمها سواه.

"وسيلته الأساسية هي شيلوه سكوير فاينينشال، شركة استثمارية خاصة والتي تعمل أيضاً في المزاد والديون المعسرة وجميع الأعيب وول ستريت المعتادة. تمتلك شيلوه جزءاً كبيراً من فاراندا كاييتال، لا نعلم كم تملك، جميع الأشياء حول هذا الشخص مُضَلَّة، وتمتلك فاراندا جزءاً كبيراً من مجموعة بايتريوم. وتمتلك بايتريوم من بين العديد من الشركات الأخرى، كلية فوغي بوتوم للحقوق. وثلاث كلياتٍ أخرى. ما لا نعلمه أن فاراندا تمتلك أيضاً مشروعاً آخر يُدعى لاکر ستريت ترست، خارج شيكاغو، وتمتلك لاکر ستريت أربع كليات حقوق استثمارية أخرى. وبالتالي يمتلك هيندز بالمجموع ثماني كليات".

على الجهة اليمنى من الجدار وداخل المربعات الكبيرة، كان هنالك أسماء شيلوه سكوير فاينينشال، وفاراندا كاييتال، ومجموعة بايتريوم. تحتها وفي صفٍ أنيق كانت أسماء كليات الحقوق الثماني: فوغي بوتوم، ميدويست، بوزايدون، غولف كوست، غالفيستون، بنكر هيل، سنترال أريزونا، وستاين آيلاند. تحت كل اسم كان هناك أرقام وكلمات بخط صغير تصعب قراءته من حيث يجلس تود ومارك وزولا. خطا جوردي نحو الطاولة، وسكب لنفسه مزيداً من التاكيلا. تناول رشفةً، وخطا عائداً نحو الجدار، ونظر إليهم. "بدأ راكلي بتجميع هذه الكليات قبل عشر سنواتٍ تقريباً، طبعاً وهو يخفي ذلك دوماً عن الجميع. إن امتلاك مدرسة أو كلية حقوق استثمارية ليس ممنوعاً، لكنه يريد إبقاء الأمر سرياً. أعتقد أنه خائفٌ من أن يُمسك به أحدٌ ما بسبب مُحطَّطه الديني، ولكنني أمسكتُ به". تناول رشفةً أخرى وحدَّق إليهم بعينين جاحظتين ولا معتين. "في العام 2006، قرّرت الشخصيات اللامعة في الكونغرس أن كلَّ شاب عليه أن يكون قادراً على تحسين حياته بشكل كبير عن طريق حصوله على مزيد من التعليم. حسناً، قالت الشخصيات اللامعة ضمناً، إن كل شاب بما فيه نحن نستطيع اقتراض المقدار الذي يحتاج إليه في سبيل السعي للحصول على الشهادات المهنية. قروضٌ للجميع، أموالٌ سهلة التحصيل. أقساط دراسية، كتب، وحتى تكاليف المعيشة، بغض النظر عن المقدار، وبالطبع كلُّها مدعومة بالأخبار الجيدة للحكومة الفدرالية".

قال مارك: "هذه الأمور معروفة، يا جوردي".

"أوه، شكراً لك يا مارك. الآن، إذا جلست هناك فقط وبقيت صامتاً سأكمل الحديث".
"حسناً، سيدي".

"ما هو غير معروف أنه ما إن امتلك راكلي كليات الحقوق الثماني، حتى بدأت تتوسّع بسرعة. عام 2005، كان لدى فوغي بوتوم أربعئة طالب. مع مرور الوقت وحين بلغنا العام 2011، أصبح عدد المتحقين بالكليّة ألفاً، كحالها اليوم. الأمر عينه حصل مع كليّاته الأخرى، جميعها لديها حوالى الألف طالب. اشترت الكليات المباني، ووظّفت جميع الأساتذة الفاشلين الذين استطاعت إيجادهم، ودفعت مبالغ طائلة للمدراء ذوي المؤهلات المقبولة، وبالطبع، سوّقت لنفسها بشكلٍ جنوني. السؤال لماذا؟ حسناً، ما هو غير معروف هي الخطة الاقتصادية الربحية لكليات الحقوق".

أخذ رشفةً أخرى، وتحرك إلى أقصى يمين الجدار، نحو لوحة ملصقاتٍ مغطّاة بالأرقام والحسابات. قال: "بعض العمليات الحسابية الخاصة بكليات الحقوق. لو أخذنا فوغي بوتوم. يمسكون بنا بأقساطٍ دراسية مؤلفة من خمسة وأربعين ألفاً في السنة، والجميع يدفع. لا وجود لمنح دراسية أو إعانات، ليس لدى الكليات شيء لتعرضه حقاً. ذلك يحقق إجمالاً خمسة وأربعين مليوناً. يدفعون للأساتذة حوالى المئة ألف دولار في السنة، فرقٌ شاسع بينه وبين مبلغٍ مئتين وعشرين ألفاً في الكليات المرموقة، لكنه بالرغم من ذلك يبقى مبلغاً كبيراً بالنسبة إلى بعض المهرجين الذين قاموا بتدريسنا. هناك وفرة هائلة من الأكاديميين القانونيين الذين يبحثون عن عمل، لذا يصطفّون وهم يتوسّلون من أجل فرص العمل، لأنهم وبالطبع يحبّون أن يكونوا برفقتنا نحن الطلاب. تفضّل الكليّة أن تباهي بعدد الطلبة القليل بالنسبة إلى عدد المعلمين، عشرة إلى واحد، وكأننا جميعاً نتلقى التعليم من قبل مُحترفين موهوبين، في قاعاتٍ دراسية صغيرة ومُريحة، صحيح؟ هل تذكرّون أضرار الفصل الدراسيّ الأول؟ كان هنالك مئتان منا محشورين في قاعة الأستاذ ستيف المتلثم".

قاطعته تود قائلاً: "كيف عرفت رواتبهم؟".

"لقد تحدّثت إلى واحدٍ منهم، وقمت بتعبّبه. كان يدرّس مادة قوانين الإدارة لطلاب السنة الثالثة، لم يُعلمنا. طُرد منذ سنتين بسبب احتسائه الكحول أثناء العمل. احتسيت وإياه الشراب وثلّمتنا وأخبرني كلّ شيء. لديّ مصادر ي يا تود، وأعلم عما أتحدّث".

"حسناً، حسناً، مُجرّد فضول فقط".

"أياً يكن الأمر، لدى فوغيّ بوتوم حوالي 150 أستاذاً، وأقصى ما تنفقه في السنة خمسة عشر مليون دولار عليهم". أشار إلى خليطٍ من الأرقام والبيانات التي بالكاد استطاعوا قراءتها. "ثمّ لديك الإدارة في الطابق الأخير. هل كنت تعلم أن عميد كليتنا غير المؤهل يجني ثمانئة ألف دولار في السنة؟ بالطبع لا. العميد في كلية الحقوق في هارفارد يجني نصف مليون في السنة، لكنه بالتالي ليس مسؤولاً عن شهادات الدبلوم، حيث هنالك شخصٌ يراقب الخط الأدني من الأرباح. لدى عميد كليتنا سيرةً ذاتيةً جيّدة، تبدو جيّدة على الورق، يتحدّث بشكل جيّد أينما ذهب، وقد أظهر مهارةً في مواجهة هذا الابتزاز. يدفع راكلي لعمدائه مبالغ جيّدة، وهو يتوقّع منهم ألاّ يضيعوا الحلم. سأعطيك مثلاً آخر، فلنقل ثلاثة ملايين دولار من أجل الرواتب الضخمة هناك، ومن الأسلم القول إن الإدارة تكلف أربعة ملايين دولار في السنة. فلنكن كرماءً ونجعلها خمسة، إذاً تبلغ النفقات عشرين مليوناً. وإذا أضفنا إليها العام الماضي على سبيل المثال أربعة ملايين كدعاية ورواتب موظفين ونفقات البناء والحرم، طبعاً الدعاية كلفت مليونين من أجل حملة إعلامية لجذب عددٍ أكبر حتى من الأشخاص المُضللين ليُشاركوها، ويبدأوا بالاقتراض، والسعي وراء وظائف دائمة في الحقوق. أعلم ذلك لأنني أمتلك صديقاً يُجيد اختراق وقرصنة المواقع الإلكترونيّة. وجد بعض الأمور، ولم يجد بعض الأمور الأخرى، وكان مُعجباً بنظام أمن الكلية. يقول إنهم يعملون بجِدّ لحماية ملفاتهم".

قال مارك: "ذلك يُشكّل 24 مليون دولار".

"أنت سريع. قل خمسة وعشرين مليوناً، ويجني الشيطان الأكبر 20 مليون دولار في السنة من كلية فوغي بوتوم، اضرب الرقم بعدد الكليات الثماني وستدهشك الأرقام". تنحج جوردي وبصق على الجدار. أخذ رشفةً أخرى، ابتلعها ببطء، وتحرك بضع خطوات.

وسأل: "حسناً، كيف يقوم راكلي بهذا؟ إنه يحقق حلمه ونحن ابتلعنا الطعام. حين توسّعت كلياته بين ليلةٍ وضحاها، فتحت أبوابها للجميع، بغض النظر عن شروط القبول في كلية الحقوق. مُعدّل القبول في كلية الحقوق لدخول السنة الأولى في جورج تاون، والتي نعلم بالتأكيد أنها كلية من الدرجة الأولى، هو 165. والمعدل أعلى من ذلك بين مجموعة الجامعات الراقية. هل يعلم أحد ما هو مُعدّل القبول في فوغي بوتوم، بالطبع لا لأنه سرٌّ عسكريّ. لم يستطع صديقي القرصان اختراق الملف. لكن من السليم القول إنه أقل من 150 عموماً، من المُحتمل أن يكون أقرب إلى 140. عيبٌ رئيسي في هذا النظام الدفاعي هو أنه لا يوجد مُعدّل قبول منخفضٌ جداً ليتم الاعتراف به. كليات الحقوق الخرقاء هذه ستقبل أي شخصٍ يستطيع اقتراض الأموال الحكوميّة، ولا يهتم أحد لمدى حق الطالب المتقدم إلى الكلية، وبرنامج القروض الفدرالي لا يعير بدوره الأمر أي أهمية. لا أريد الإساءة إلى أيٍّ أحدٍ في هذه الغرفة لكننا جميعاً نعلم مُعدّلاتنا. لقد كنا جميعاً ثملين عندما تحدّثنا عنها، باستثناء زولا بالطبع، والتي حصل وأنها تملك المُعدّل الأعلى بيننا نحن الأربعة. حسناً، لأكون دبلوماسياً سأقول إن مُعدّل مجموعتنا الصغيرة هو 145. اعتماداً على النسب، فإن فرص النجاح في امتحان القبول بمعدّل 145 هي 50 بالمئة. لم يخبرنا أحدٌ بذلك عندما تقدّمنا بطلباتنا، لأنهم لا يكثرثون لأمرنا بل لأموالنا. لقد ورّطنا في أول يومٍ دخلنا فيه".

قال مارك: "أظنّ أنك مُخطئٌ في ذلك".

ردّ جوردي: "لم تنتهِ الخطبة بعد". ثم تجاهلهم للحظة وهو يطالع الجدار الذي أمامه. مرةً أخرى، تبادلوا نظراتٍ أعربوا من خلالها عن التوجّس والخوف. كانت الخطبة مثيرة، ومُحبطة، لكنهم كانوا خائفين أكثر بكثير على صديقهم.

أكمل قائلاً: "نحن في ورطةٍ لأننا رأينا الفرصة لنسعى وراء الحلم، حلمٍ لم نستطع تحمّله. لا يجدر بأيّ منا أن يكون في كُليّة الحقوق، والآن فاقت الأمور قدرتنا. نحن لا ننتمي إلى هذا المكان، لكننا مجبرون على تصديق أننا كنا مُحتجزين من أجل وظائفٍ مُربحةٍ لاحقاً. كل ذلك حول التسويق والوعود بفرض العمل. فرص عمل، فرص عمل، فرص عمل كبيرة برواتب مُرتفعة. لكن الحقيقة، تفيد أن هذه الوظائف غير موجودة. السنة الماضية عرضت الشركات الكبيرة في وول ستريت 175 ألف دولار للخريجين الأوائل. وفي العاصمة هنا عُرض 160 ألف دولار. لقد سمعنا عن فرص العمل هذه لسنوات، وبطريقةٍ ما أقتنعنا أنفسنا أننا سنحصل على واحدةٍ منها. الآن نعلم الحقيقة، والحقيقة أنه يوجد بعض الوظائف مُعدّل 50 ألف دولار، شيءٌ مثل الذي تخطّط للحصول عليه يا مارك، بالرغم من أنك لا تعلم الراتب بعد. هذه الأعمال موجودة في الشركات الصغيرة، حيث العمل صعبٌ جداً والمستقبل بلا أفق. تدفع الشركات الكبيرة 160 وربما أكثر. ولا يوجد حلّ متوسّط. لا شيء. لقد عانينا خلال المُقابلات، طرقتنا الأبواب، جينا الإنترنت، لذا نحن نعلم كم كان تسويقهم سيئاً".

أوماوا برؤوسهم، لاسترضائه بالدرجة الأولى. أخذ جوردي رشفةً أخرى، وتحرك إلى الجهة اليسرى من الجدار، وأشار: "هنا الشيءُ الشنيع الحقيقي". الجزء الذي لا تعلمون عنه شيئاً. يملك راكلي مكتب حقوق في نيويورك كان يدعى كوين أند فيردوليك، ربما سمعتم عنه، أنا لم أسمع. في الأوساط الحقوقية يُشار إليه ببساطة بكوين. له فروع في ست مُدن، ويبلغ عدد المحامين العاملين فيه 400 محام، وهو ليس في قائمة مكاتب المحاماة المئة الأولى. لديه فرع صغير هنا في العاصمة يعمل فيه ثلاثون محامياً". أشار إلى ورقة كُتب عليها اسم الشركة بخطّ عريض. "تعمل كوين بالأساس بالخدمات الماليّة، في نهاية المطاف. هي تتحكم بكثير من الرهون العقاريّة، وحالات استرداد المُلكيّة، وحالات العجز عن التسديد، وحالات الإفلاس، تقريباً جميع الأشياء المُتعلّقة بالديون الفاشلة. ومن بينها قروض الطلاب. تدفع

كوين مبالغ جيّدة، في بادئ الأمر على الأقل". أشار إلى كُتَيْب ملوّن. "رأيت هذا قبل أربع سنوات حين كنت أنظر في أمر فوغوي بوتوم. على الأرجح أنك رأيته أيضاً. تُميّز الوجه المُبتسم لجيرد مولسون، الخريج الذي كان من المُفترض أنه كان سعيداً بتوظيفه في كوين براتب أولي بلغ 125 ألف دولار. أتذكّر كيف فكرت؛ إن كان خريجو فوغوي بوتوم سيصبحون عبارة عن مجموعة رجال يحصلون على أعمال كهذه، فسجلوني من فضلكم. حسناً، وجدت السيّد مولسون، وتحدّثت إليه مطوّلاً بعد أن ثمل. عُرض عليه عملٌ في كوين، ولكنه لم يوقع عقداً إلا بعد أن نجح في امتحان القبول. عمل هناك لست سنوات ثم استقال لأن مُرتبه كان يُخفّض باستمرار. قال إن الإدارة كل سنةٍ كانت تدرس الميزانية وتقول إن التخفيضات كانت ضروريّة. في سنته الأخيرة جنى فقط ما يقارب المئة ألف، ثم قال سحراً لذلك. قال إنه كان يعيش كالمُتشرّد، ورضي بالقليل، والآن يعملُ في المجال العقاري ويعمل في أوبر بدوام جزئي. يعد المكتب مصنعاً استغلاليّاً ويقول إنه سُخر من قبل آلة فوغوي بوتوم الدعائيّة".

سأل تود: "وهو ليس الوحيد، صحيح؟".

"مولسون كان واحداً من كثيرين. لدى كوين موقعٌ إلكترونيّ رائع، وأنا أقرأ السير الذاتية لمحاميهِ الأربعمئة لاحظت التالي: ثلاثون بالمئة منهم من كليات راكلي للحقوق. ثلاثون بالمئة! حسناً، أصدقائي، راكلي يوظفهم بأجورٍ يُحسدون عليها، ثم يستخدم وجوههم المُبتسمة وقصص نجاحهم العظيمة من أجل حملته الدعائيّة".

صمت، أخذ رشفةً، وابتسم لهم وكأنه كان ينتظر التصفيق. سار نحو الجدار، وأشار إلى وجهٍ آخر، صورةٌ بالأبيض والأسود على ورقةٍ منسوخة، أحد ثلاثة أشخاص في المرتبة الثانية خلف الشيطان الأكبر. "هذا النصاب هو آلان غريند، محامٍ في سياتل وشريكٌ محدود المسؤوليّة في فاراندا. يمتلك غريند مكتب محاماة باسم كينغ أند روزويل، عمليّةٌ أخرى من الطبقة المتوسّطة يستخدم مئتي محامٍ في خمس مدن، معظمها في الغرب". أشار إلى اليسار،

حيث احتلّ كينغ أند روزويل بقعةً بجانب كوين أند فيردولياك. "من بين المتئي محام الخاصين بغريند، خمسة وأربعون منهم أتوا من كليات الحقوق الثماني".

أخذ رشفةً أخرى، ومشى نحو الطاولة ليملاً كوبه من جديد.

سأله مارك: "هل ستشرب الزجاجاة بأكملها؟".

"إن رغبت بذلك سأشربها".

"ربما عليك أن تتمهّل".

"وربما عليك أن تهتم بشؤونك. أنا لستُ ثملاً. ثم من أنت لتراقب كمية شربي؟". تنفس مارك بعمق وتجاهل كلام جوردي. كان كلام جوردي واضحاً بالرغم من مظهره الأشعث، بدا وكأنه مسيطرٌ على نفسه، على الأقل في هذه اللحظة. خطا عائداً إلى الجدار وأشار إلى الصور. "الشاب في الوسط هنا هو والتر بالدوين، يشغل مكتب محاماةٍ في شيكاغو يدعى سبان أند تاتا، ثلاثمئة محام في سبع مدن، من الشاطئي إلى الشاطئي. نفس نمط العمل، نفس الشغف بالمتحرّجين من كليات الحقوق الأدنى شأنًا. "أشار إلى الوجه الثالث تحت راكلي. "وزعيم العصابة هو السيد مارفن جوكتي، شريكٌ أساسيٌّ في مكتب محاماة في بروكلين يدعى راتليف أند كوسغروف. نفس الإعداد، ونفس نمط العمل".

أخذ جوردي رشفةً أخرى وأثنى على عمله. استدار ونظر إلى أصدقائه الثلاثة. "ليس من أجل إعادة ما هو واضح، لكن لدى راكلي أربع شركات محاماة رهن إشارة من إصبعه تضم ألف ومئة محام موزعين على سبعة وعشرين مكتباً. توظف الشركات الأربع ما يكفي من خريجي كلياته ليعطوا كليات الحقوق التابعة له هالة كاذبة، والحمقى أمثالنا ينتسبون إلى تلك الكليات ملقين بسرعةٍ بأكوام من الأموال المُقدّمة من الكونغرس". فجأة ارتفع صوته وارتجف. "هذا مثالي! هذا جميل! إنها عملية نصب تقوم بها كلية حقوق كبيرة وعملاقة، عملية خالية من المخاطر. إذا افترضنا أن دافعي الضرائب يدفعون المال. على راكلي أن يخصّص الأرباح ويسوّي الخسارات".

فجأةً ألقى بكوبه نحو الجدار. ارتدَّ عن الجدار دون أن يُكسر وتدرج على الأرض. جلس جوردي قبالة الجدار، مواجهاً إياهم، ومدَّ ساقيه. أسفل قدميه كان أسود اللون.

لوقت طويل لم ينبس أحد بينت شفة. حدّق مارك إلى الجدار واستوعب المؤامرة. لم يكن هنالك شكّ في أبحاث جوردي. حدّق تود إلى الجدار كما لو أنه مفتون بالمؤامرة. وحدّقت زولا إلى جوردي وفكّرت بما كان يتوجّب عليهم فعله تجاهه.

أخيراً، همس جوردي قائلاً: "قرضي يبلغ 276 ألفاً. كم يبلغ قرضك يا مارك؟".

لم يكن هنالك آية أسرار. فأربعتهم كانوا يعرفون بعضهم جيّداً بما يكفي. أجابه مارك: "بالإضافة إلى هذا الفصل، 266".

"تود؟"

"195".

"زولا؟"

"191".

هزّ جوردي رأسه ضاحكاً، ليس من باب المرح، بل لأنه كان مذهولاً. "قراءة المليون. من هم أولئك الذين في كامل قواهم العقلية والذين قد يقرضون أربعتنا مليون دولار؟" في تلك اللحظة، بدا الأمر غير منطقيّ بالفعل، بل ومثيراً للضحك أيضاً.

وبعد فترة طويلة من الصمت قال جوردي: "لقد كُذّب علينا وضُلبنا وخدعنا، وكنا مخدوعين بهذا المكان البائس".

وقف تود وخطا نحو الجدار. أشار إلى مركز الجدار وسأل قائلاً: "ما هو سورفان ليندرز؟"

أطلق جوردي ضحكةً مُزيّفةً أخرى وقال: "بقية الحكاية. راكلي، وعبر شركةٍ أخرى يمتلكها وهي الآن رابع أضخم شركة خاصة تقدم قروضاً للتعليم يقرض من لا يستطيع الحصول على المال الكافي من الحكومة، وهنا بالطبع

معدّلات الفائدة أعلى، ومحصّلو الديون يجعلون المافيا تبدو وكأنها فريق كشافة. تقوم سورفان بإقراض الطلاب الجامعيين أيضاً، وتمتلك حوالي 90 مليون دولار في حافظتها الاستثمارية. إنها شركة متنامية. ومن الجليّ أن راكلي ينتهز الفرصة في ما يخصّ القطّاع الخاصّ أيضاً".

سأل تود قائلاً: "وما هو باسانت؟"

ضحكة أليمة أخرى. فهض جوردي ومشى نحو الطاولة، حيث أمسك بالزجاجة وشرب جرعة كبيرة، كشرّ، وابتلعها بصعوبة، ومسح فمه بساعده، وأخيراً قال: "باسانت هي النملة الصغيرة المزعجة، ثالث أكبر وأشهر جهة تحصيل قروض تعليمية في البلاد. وهي قائمة بموجب عقد مع وزارة التعليم ينص على أن تحدم، كما تُحبذ القول، ديون الطلاب. يوجد أكثر من تريليون دولار هناك، يدين بها حمقى من أمثالنا. باسانت تضم حفنة من الإرهابيين، تمت مقاضاتهم مرّاتٍ عديدة إثر ممارستهم أساليب تحصيل ديونٍ تعسّفية. يمتلك راكلي جزءاً منها. إن هذا الرجل شرير بكل ما للكلمة من معنى".

مشى جوردي نحو الأريكة وجلس إلى جانب زولا. وحين مرّ، اشتمّ مارك رائحة جسده الكريهة. مشى تود نحو المطبخ، وخطا فوق النفايات المبعثرة على الأرضية، فتح الثلاجة، وسحب علبتين من الشراب. ناول واحدة لمارك وفتحها الغطاءين معاً. فركت زولا ساق جوردي، متغافلة عن رائحة جسده. أوما مارك نحو الجدار وسأل قائلاً: "حسناً، منذ متى وأنت تعمل على هذا؟"

"هذا ليس بالأمر المهم. يوجد للقصة تمة إن كنت مهتماً بسماعها". قال مارك: "لقد سمعت بما فيه الكفاية. ما رأيكم لو نمشي نحو ناصية الشارع ونتناول البيتزا؟ فمطعم ماريو لم يغلق أبوابه بعد". قال تود: "فكرة عظيمة". لكن لم يتحرّك أحد منهم. أخيراً، قال جوردي: "تقع على عاتق والديّ مسؤولية تسعين ألفاً من ديوني، قرض من أيام الثانوية. هل يمكنكم تصديق ذلك؟ لقد كانا مُتردّدين،

ولسبب وجيهه، لكنني ضغطت عليهما بشدة. يا لي من أحمق! والذي يجني خمسين ألفاً في السنة وهو يعمل في مجال بيع معدات المزارع، ولم يكن بدمته أيّ ديونٍ باستثناء قرض صغير إلى أن بدأت بالاستدانة. والذي تعمل في المدرسة بدوام جزئي. لقد كذبت عليهما، أخبرتني أنني أملك عملاً رائعاً وأنني قمت بترتيب كل شيء ويمكنني تسديد القرض. لقد كذبت على بريندا أيضاً. إنها تظن أننا سنعيش في المدينة الكبيرة حيث سأسرع إلى العمل كل يوم مرتدياً بذلة أنيقة، متلهفاً لشق طريقي نحو القمة. أنا واقعٌ في ورطة، يا شباب، ولا أرى مخرجاً".

قال مارك، ولكنه لم يكن مقتنعاً بما قاله: "سننجو، يا جوردي". وقال تود: "ستخطئ ذلك". دون تحديد ما هو "ذلك" الذي كان يشير إليه أهو كليّة الحقوق؟ أم القروض؟ أم البطالة؟ أم انهيار جوردي؟ كان هنالك العديد من التحديات في تلك اللحظة.

صمتٌ آخر طويلٌ وكثيب. ارتشف خلاله مارك وتود الجمعة بصمت.

قال جوردي: "كيف يمكننا فضح راكلي؟ فكّرتُ بالاجتماع بصحفيّ، أحدٌ ما يغطي القضايا الحقوقية في صحيفة بوست أو ربما صحيفة جورنال. حتى إنني فكرت برفع دعوى قضائية ضدّ هذا المحتال. فكّر بآلاف الحمقى مثلنا والموجودين معنا على متن هذه السفينة الغارقة، والذين سيحبون الإيقاع بهذا الرجل حالما تظهر الحقيقة".

قال مارك: "لا أرى إمكانية رفع دعوى قضائية. أقصد من المؤكد أنه حاك مكيدةً ضخمة، لكنه لم يفعل شيئاً عملياً يمكن اتخاذ الإجراءات بشأنه. لا يوجد قانون يمنع امتلاك الكليات، بالرغم من أنه يسعى جاهداً لإخفائها. مكاتب المحاماة التي يمتلكها تستطيع توظيف من تشاء. إنها فاسدة وظالمة ومخادعة، لكن ذلك لا يكفي لرفع دعوى قضائية".

قال تود: "أوافقك الرأي، لكنني أحبّ فكرة مساعدة مراسلي صحفيّ للإيقاع بالرجل".

سألت زولا: "ألم يكن هنالك قضية في كاليفورنيا حيث رفعت طالبة حقوق دعوى على كليتها لأنها لم تجد فرصة عمل؟".

أجابها مارك: "نعم، لقد رفع العديد من الدعاوى، ورُفِضت جميعها ما عدا تلك التي في كاليفورنيا. رُفِعت الدعوى إلى المحكمة، ووجدت هيئة المحلفين أن القضية تصبّ في مصلحة كلية الحقوق".

قال جوردي: "لن أتخلّى عن فكرة الدعوى القضائية. إنها أفضل طريقة لفضح راکلي. هل يمكنكم تصوّر كيف سيبدو هذا الاكتشاف؟".

قال مارك: "سيكون الأمر مُسلياً ومرحاً، لكنه ليس بالشخص الغبي. يا للهول، إنه يمتلك أربعة مكاتب محاماة. فكّر فقط بالردود العنيفة التي سيوجهها نحوك. سيقضي المدّعون السنوات الخمس القادمة غارقين في قراءة الدفوع".

سأل جوردي: "ما الذي تعلمه عن الدعاوى القضائية؟".

"كلّ شيء. لقد كنت أتعلّم في كلية فوجي بوتوم".

"رُفِعت الجلسة".

انفضى الجهود الضعيف بالمزاح، وحدّقوا جميعاً إلى الأرض.

أخيراً، قال تود: "بالله عليك يا جوردي، دعنا نذهب لنحضر البيتزا".

"لن أذهب إلى أي مكان، لكنني أظن أنه عليكم الرحيل يا شباب".

قال مارك: "حسناً، لن نذهب نحن أيضاً، سنبقى هنا".

"لماذا؟ لا أحتاج لجليس أطفال. انصرفوا".

تود الذي كان واقفاً، مشى نحو الأريكة وحدّق إلى الأسفل نحو جوردي:

"فلنتحدّث عنك يا جوردي، أنت وحالتك هذه. أنت لا تنام جيّداً ولا تتناول

الطعام، ولا تستحمّ... بالمناسبة، هل تقوم بأخذ أدويةك؟".

"أيّ أدوية؟".

"هيا يا جوردي. نحن أصدقاؤك، ونحن هنا لمساعدتك".

سأل مشدداً: "أيّ أدوية؟".

قال مارك: "بالله عليك يا جوردي، نحن نعلم ما الذي يجري".

التفت جوردي نحو زولا وزجر قائلاً: "ما الذي أخبرتهما به؟".

كانت زولا على وشك أن تجيب حين قاطعها تود قائلاً: "لا شيء. لم نخبرنا بشيء، لكننا لسنا عميان يا جوردي، نحن أصدقاؤك المقربون وأنت بحاجة إلى مساعدتنا".

"لست بحاجة إلى الأدوية". انفجر غضباً، ثم انتصب واقفاً، وارتطم بتود، ثم ذهب إلى غرفة نومه. بعد ثوانٍ صرخ قائلاً: "اذهبوا". وأغلق الباب بعنف. أخذوا نفساً عميقاً وتبادلوا النظرات. بعد ثوانٍ، فُتح الباب وخرج جوردي. أمسك بزجاجة التاكيلا وقال: "ارحلوا! الآن!" واختفى مُجدداً داخل غرفته.

مضت دقيقةٌ من دون أيّ صوت. فهضت زولا وعبرت غرفة المعيشة. وضعت أذنها على باب غرفته، وحاولت الاستماع. خطت مُبتعدةً وهمست قائلةً: "أظنه يبكي".

همس مارك: "عظيم".

مضت دقيقةٌ أخرى. وبهدوء قال تود: "لا يمكننا تركه وحيداً".

قال مارك: "من المستحيل تركه، فلنتبادل الأدوار. سأخذ النوبة الأولى بالجلوس على الأريكة".

وقالت زولا: "سأبقى لن أغادر".

نظر مارك في أنحاء غرفة المعيشة وأنهى علبة الجعة. همس قائلاً: "حسناً، تمديدي على الأريكة، وأنا سأجلس على الكرسي". تود، نم أنت على الأريكة في شقة زولا، وستبادل الأدوار بعد بضع ساعات".

أوماً تود قائلاً: "حسناً، أظن هذا جيد". خطا نحو الثلاجة، تناول علبة جعة أخرى، وغادر. أطفأ مارك الأنوار واستقرّ على الكرسيّ الجلديّ المهترئ. وعلى بعد بضعة أقدام، كانت زولا مُلتفّة على الأريكة. همس قائلاً: "ستكون ليلةً طويلةً".

أجابته: "يجدر بنا الصمت، الجدران قليلة السماكة وهناك احتمال كبير أن نسمعنا".

"معك حق".

أطلقت الساعة الرقمية الموضوعة فوق المايكروويف ضوءاً مُزرقاً، والذي بدا وكأنه يزداد توهجاً في الوقت الذي تأقلمت فيه عيونهما مع الظلمة. لقد حدد الوهج ظلال طاولة الطعام الصغيرة والكمبيوتر والطابعة. كانت الغرفة كما هي، لا صوت يصدر من غرفة النوم، وأتى صوت موسيقى بعيدة وهادئة من أسفل الردهة. بعد عشر دقائق، سحب مارك هاتفه المحمول، وتفقد بريد رسائله النصية وبريده الإلكتروني. لا شيء مهم. وبدأت الدقائق العشر التالية وكأنها ساعة في حين كانت الكرسيّ تصبح أكثر إزعاجاً.

حدّق إلى الجدار. لم يستطع رؤية صورة هيندز راكلي، لكنه استطاع الشّعور بعينه تُحدّقان إليهما بتعجرف.

في ذلك الوقت، وبالرغم من أن مارك لم يكن مهتماً بشأن راكلي ومؤامراته الكبيرة. كان قلقاً بشأن جوردي. لقد كان التحديّ الذي سيواجهونه غداً هو اصطحاب صديقهم إلى الطبيب.

5

في تمام الساعة 2:00 من بعد منتصف الليل، تسلل تود إلى داخل شقة جوردي بهدوء، ووجد كلاً من مارك وزولا يغطّان في النوم. هزّ ذراع مارك وهمس قائلاً: "حان دوري". وقف مارك، ومد يديه ورجليه، ومشى عبر الردهة، حيث ألقى بنفسه على الأريكة في شقة زولا.

قبل بزوغ الفجر، نهض جوردي من سريره، وارتدى سرواله الجينز وقميصه وجواربه ومعطفه القطني. وحمل حذاءه، وقف قبالة الباب وأنصت. كان يعلم أنهم في غرفة المعيشة، مُنتظرين إياه. فتح باب غرفة النوم بلطف وأنصت. خطأ خطوةً داخل غرفة المعيشة، رآهما على الأريكة والكرسي، وسمع أنفاسهما الثقيلة، فمشى بهدوء نحو الباب. في نهاية الرواق، انتعل حذاءه وغادر.

مع بزوغ شمس الصباح، استيقظت زولا وجلست. وبعد أن رأت باب غرفة النوم مفتوحاً، هبت واقفة، أشعلت الأنوار، وأدركت أن جوردي قد هرب، فصرخت على تود قائلة: "لقد رحل، إنه ليس هنا".

نهض تود، وتوجه ناحية الغرفة، لقد كان غرفة مربعة خالية لا مكان للاختباء فيها.

فتح باب الخزانة، ودخل حمام الغرفة، وصرخ قائلاً: "اللعنة، ما الذي جرى؟".

أجابته زولا: "لقد استيقظ وغادر". تبادلوا النظرات بذهول، وتحركا لينقلبا الخبر إلى مارك.

أسرعوا بنزول السلم، ومشوا عبر رواق الطابق الأول مُتجهين نحو الباب الخلفي للمبنى. رأوا سيارات عديدة مركونة في المرأب، لكن لم تكن سيارة

جوردي بينها. لقد اختفت سيارة المازدا الصغيرة، وبذلك تحققت أسوأ كوابيسهم. عندها بادرت زولا للاتصال بهاتف جوردي لكنه لم يرد على الاتصال، وهذا ما كانت تتوقعه.

عادوا إلى الشقة، وأقفلوا الباب، ثم قصدوا الحانة الصغيرة التي تقع على بعد ثلاثة مبانٍ، حيث اجتمعوا على المائدة محاولين استعادة رباطة جأشهم باحتساء القليل من القهوة الثقيلة.

بادر مارك بالقول: "البحث عنه في المدينة أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش".

بدوره قال تود: "من الواضح أنه لا يريد لأحد أن يقتفي أثره".

هنا سألت زولا: "ألا يجب علينا إبلاغ الشرطة؟".

"وما الذي سنقوله لهم؟ صديقنا مفقودٌ ومن المحتمل أن يؤذي نفسه؟ رجال الشرطة هؤلاء مشغولون بقضايا القتل وحالات الاغتصاب وأشياء من هذا القبيل".

سأل تود: "وماذا عن والديه؟ لا أظنهما يعلمان عن حالته المتدهورة؟".

أوماً مارك برأسه: "لا أظن أن إخبارهما سيكون فكرة سيّدة، إن قمنا بذلك فإننا نضع بأيدينا حداً لعلاقتنا مع جوردي وربما تتحول صداقتنا إلى عداوة، ويجب ألا ننسى أنهما لن يستطيعا القيام بأي شيء سوى القدوم إلى هنا والبحث عنه؟".

"أوافقك الرأي، لكن لا بد أن لجوردي طبيب، إمّا هنا أو في دياره. طبيبٌ يعلم حالته جيّداً، ويصف أدويته، شخصٌ من المفترض أنه يعلم بحالته المزرية. إذا أخبرنا والديه، فسيستطيعان تحديد الطبيب لنا على الأقل. لا أظن أننا يجب أن نوازن بين صداقتنا له وسلامته، فلأخيرة الأولوية حتماً؟".

قالت زولا: "هذا منطقي، الطبيب هنا وأنا أعلم أن جوردي يزوره مرة كل شهر".

"ما اسمه؟".

"لا أعرف. لقد حاولت معرفة اسمه، لكنني لم أجد لذلك سبيلاً".

قال مارك: "حسناً، ربما سنعرفه لاحقاً، لكن علينا الآن إيجاد جوردي".
تابعوا شرب القهوة، وهم يفكرون بمدى احتمال العثور عليه في المدينة.
وعندما أتى النادل وسألهم إن كانوا يريدون تناول الفطور، اعتذروا منه بلباقة
فلم يكن لدى أي منهم شهية للطعام.

سأل مارك زولا: "هل لديك أي أفكار؟".

هزت رأسها: "لا أظن، فقد اختفى مرتين خلال الأسبوع الماضي. في المرة
الأولى استقلّ قطاراً نحو نيويورك واختفى لثلاثة أيام. وعندما عاد لم يقل الكثير،
واكتفى بالقول إنه كان على وشك الإيقاع بالشیطان الأكبر. أظنه قابل بعض
الأشخاص هناك. وتسكع ليوم أو أكثر. ومنذ أن عاد كنا معاً معظم الوقت،
لقد أكثر من معاقرة الشراب ونام لفترات طويلة، وعندما عدت من العمل لم
أجده في المنزل، واختفى مجدداً ليومين، وقتها عثر على الأستاذ الذي طرد من
فوغوي بوتوم".

سألها تود: "هل كنتِ على دراية بما كان يفعله؟".

"كلا. قبل يومين أغلق باب شقته على نفسه، ولم يرغب برؤيتي. أظنه كان
يعمل على الجدار وقتها".

سألها مارك: "ما هو مقدار معرفتك بحالته؟".

أخذت نفساً عميقاً وقالت مُترددة: "إنها أمورٌ سرّية يا رفاق، هل تفهمان؟
لقد جعلني أقسم على الكتمان".

قال مارك: "بالله عليك يا زولا، نحن جميعاً في هذا المأزق، أعرف أنها أمورٌ
سرّية".

تلقت حولها لترى إن كان أحد ينصت: "في أيلول الماضي، وجدت
أدويته، ولما سألتها عنها، أخبرني أنه شخصٌ كمریض بشنائي القطبية حين كان في
الثانوية، وقتها لم يخبر أحداً بشأن ذلك، ولا حتى بريندا. ولكنه عاد وأخبرها،
وهي تعلم الآن عن حالته تماماً، ومن خلال العلاج والمواظبة على تناول الأدوية
كانت حالته جيدة ومستقرة".

قال مارك: "لم يكن لدي علم بذلك".

بدوره قال تود: "ولا أنا".

أكملت زولا: "ليس من الغريب أن يصل المرضى المصابون بشائبة القطب إلى الحد الذي يجعلهم يظنون أنهم ليسوا بحاجة إلى الأدوية بعد الآن. فهم يقنعون أنفسهم أنهم قادرون على العيش بسلام من دونها، لذلك يتوقفون عن تناولها، وعندها تبدأ الأمور بالتدهور، وغالباً ما يلجأون إلى العلاج الذاتي. هذا ما حدث لجوردي. وإذا أضفنا إلى حالته المرضية الضغوط المترتبة عن أمور الكلية، وعدم إيجاده لعمل وقرضه، وزواجه الذي بدا مفروضاً عليه، يمكننا تقدير وضعه الذي بذل قصارى جهده لإخفائه".

"لماذا لم نخبرنا بذلك؟"

"لم يكن ليرضى، وربما كان ليقطع علاقته بي، فضلاً أنني كنت مقتنعة أنه سيتخطى الأمر. والآن عندما أستعيد ذكرى الأيام الماضية، أكاد أجزم أنه بدا على خير ما يرام معظم الوقت، ولكن تقلباته المزاجية أصبحت أكثر تواتراً، وأفرط في احتساء الشراب".

قال مارك: "كان عليك إخبارنا".

"في الحقيقة، لم أعرف إن كان يجدر بي القيام بذلك، فلم يسبق لي أن مررت بمثل هذا الموقف".

قال تود لمارك: "لوم زولا، لن يفيد بشيء الآن".

"أنا آسف".

ألقي تود نظرةً على هاتفه المحمول وقال: "إنها الساعة الثامنة تقريباً. ولم يصلنا شيئاً من جوردي. يفترض بي الذهاب إلى الحانة للعمل، ماذا ستفعلان اليوم؟".

قالت زولا: "سأذهب إلى العمل لبضع ساعات". كانت تعمل بدوام جزئي في إحدى شركات المحاسبة.

قال مارك: "حسناً، لقد عدت مبكراً هرباً من المنزل، آملاً في أن نضع سوياً خطةً لبدء الدراسة من أجل امتحان القبول، لكنني لا أريد ذلك حقاً. أظن أنني سأذهب كالمعتاد إلى نيس سكيلتون لأمضي النهار أتملق مُدراي المُستقبليين،

مُحاولاً أن أبدو مُناسباً وذا خيرة. بلا مُقابل طبعاً. أنا مُتأكدٌ أنهم بحاجةٍ إلى بعض المساعدة في غرفة النسخ".

قال تود: "عليّ أن أحبّ القانون، ولكنني سأكون أكثر فعالية في الحانة".
"شكراً".

قالت زولا: "لا أظن أنا نستطيع القيام بأي شيء سوى الانتظار".
دفع تود ثمن القهوة، وغادروا المطعم. لم يكونوا قد اجتازوا سوى مبنى واحد حين اهتزّ هاتف زولا المحمول. سحبته من حقيبتها، ونظرت إليه، توقفت في مكانها، وقالت: "إنه جوردي. إنه في السجن المركزي".

لقد أوقف أحد رجال الشرطة جوردي في تمام الساعة 4:35 صباحاً، عندما لاحظ سيارته المازدا تسير بطريقة مقلقة في جادة كونيكتيكوت. تعرّس خلال اختبار كشف الثمالة، ووافق على التّفخ في جهاز الكشف لاحقاً. لقد سجّل مُعدّل 0.11 على الجهاز، عندها كُبل وأودع في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، في الوقت الذي قطرت رافعة الشرطة سيارته إلى مرأب المدينة. وفي مركز الشرطة، قام بالنفخ مجدّداً وسجّل نفس النتيجة. قاموا بأخذ بصماته وتصويره واحتجازه، وألقوا به في زنزانية مُخصّصة للسكران مع ستة آخرين. في تمام الساعة 8:00 صباحاً، قاده مأمورٌ نحو غرفةٍ صغيرة، وأعطاه هاتفه المحمول، وأخبره أن باستطاعته استخدامه لمرةٍ واحدة. اتصل بزولا، ثم أخذ المأمور هاتفه منه وأعادته إلى الزنزانية.

بعد نصف ساعة، دخل أصدقاؤه الثلاثة عبر الباب الأمامي للمركز، مارّين عبر جهاز كشف المعادن، وُجهوا نحو قاعة كبيرة حيث من الواضح أن العائلات والأصدقاء كانوا قد أتوا ليسترجعوا أحبّاءهم المحتجزين بعد ليلةٍ عصبية. كانت المقاعد تحيط بثلاثة جدران، مع وجود المجلات والصحف المبعثرة فوقها.

خلف نافذةٍ كبيرة في أقصى الغرفة، كان هنالك كاتبان ترتديان زيّاً رسمياً مشغولتان بالأعمال الورقيّة. تجول رجال الشرطة في الأنحاء، بعضهم يدرش مع

الأشخاص المتوترين والمذهولين الذين كانوا بالعشرات؛ آباءً وأزواجاً وأصدقاء، جميعهم يبدون خائفين ويتصرفون باضطراب.

وجد كلٌّ من مارك وتود وزولا بعض المقاعد الفارغة عند الزاوية، وأخذوا يتفحصون المكان من حولهم. بعد بضعة دقائق، مشى مارك نحو النافذة وابتسم لإحدى الكاتبتين. وقال إنه أتى لاسترجاع صديقه جوردون تانر، عندها تفقدت الكاتبة بعض الأوراق، وأومات برأسها نحو المقاعد وقالت إن ذلك سيستغرق بعض الوقت. عاد مارك إلى مقعده بين تود وزولا.

راقبهم المحامي الذي كان يدرّش مع شرطيٍّ بحذر، وما لبث أن جاء إليهم. ومن دون أن يظهر أي ابتسامةٍ أدلى بجملته الروتيئية، "أنتم هنا من أجل مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول؟".

قال مارك: "نعم".

قبل أن يجيب مارك، كان المحامي قد قدّم لهم بطاقات عمله. داريل كروملي، محامٌ مُتخصِّصٌ في قضايا مُخالفات القيادة تحت تأثير الكحول. سأل داريل قائلاً: "من هو الشاب سعيد الحظ؟".

أجابه تود: "صديقنا".

سأله داريل بسرور: "أهي مخالفته الأولى؟".

أجابه مارك: "صحيح".

"آسفٌ لسماع هذا. أستطيع المساعدة. أنا متخصص في مخالفات القيادة تحت تأثير الكحول. أعرف جميع رجال الشرطة، والقضاة والكتبة والمأمورين القضائيين، وجميع المداخل والمخارج في هذا النظام. أنا الأفضل في هذا المجال".

سأله مارك بحذر ومن دون أن يظهر أي نية بتوكيله: "حسناً، ما الذي يواجهه؟".

سحب داريل كرسيّاً قابلاً للطيٍّ وجلس أمامهم، ومن دون أن يضيّع أي وقت، سأل: "ما اسمه؟".

"جوردون تانر".

"حسناً، سجّل تانر في جهاز النسخ مُعدّل 0.11، فلا مجال للمراوغة. أولاً عليكم دفع مئتي دولار لإخراجه. وتوقيع سند تعهّد شخصي، وبعدها سيستجوب لساعة تقريباً، ويطلق سراحه، أما فك حجز سيارته فسيكلف مئتي دولار، إنهما في مرآب المدينة، وعملية إخراجها ستستغرق نصف ساعة، وسيحدد له جلسة محاكمة في غضون أسبوع أو أكثر، وسأتقاضى بدل أتعاب مقداره ألف دولار تدفع مسبقاً".

سأل تود: "هل سيحتفظ برخصة قيادته؟".

"بالطبع، حتى تتم إدانته، خلال شهر تقريباً. ثم ستُحجز لسنة، وسيُدفع غرامة قدرها خمسة آلاف دولار، لكنني أستطيع حسم جزء من الغرامة فأنا أجيد المساومة، وسيقضي خمس ليالٍ في السجن، ولكنني أيضاً أستطيع تلافي ذلك أيضاً، سنقوم بتسجيله في خدمة المجتمع، وسنقيه خارجاً. صدقني، أنا ملّم بكلّ الأمور. وأنتم أيها الشبان، ماذا تفعلون أنتم طلاب".

أجابه مارك: "نعم، نحن طلاب حقوق".

"جورج تاون؟".

أجابه تود بهدوء: "كلا. فوغي بوتوم".

ابتسم كروملي وقال: "لقد كنت طالباً فيها قبل اثني عشر عاماً".

فُتح الباب، ودخل أبوان قلقان آخران إلى المكان. راقبهما كروملي ككلب جائع. وعندما التفت مُجدداً نحو الشبان الثلاثة، قال تود: "حسناً، نحن بحاجةٍ إلى أربعمئة دولار نقداً على الفور".

"كلا، تحتاجون إلى ألف وأربعمئة دولار. مئتان من أجل التعهّد. مئتان من أجل السيارة. وألف دولار من أجلي".

قالت زولا: "حسناً، لكن على الأرجح أن على صديقنا بعض الديون. كيف لنا أن نكتشف مقدارها؟".

"أنا يمكنني أن أعرف. وكلوني الآن وسأبدأ العمل. صديقكم يحتاج إلى المساعدة وهذا ما أتيت من أجله. إن طاحونة قوانين حالات القيادة تحت تأثير الكحول ستطحنه وتلفظه خارجاً".

قالت زولا: "مهلاً، صديقنا يعاني من مشاكل صحية، وهو لا يتناول أدويته، علينا اصطحابه إلى الطبيب".

أحبّ داريل ذلك! فضيق عينيه واندفع ليهتز فرصته. "بالطبع. حالما نُخرجه من هنا سأستطيع تقديم استدعاء جلسة استماع مُعجّلة. أقول لكم مرّة أخرى، لديّ علاقات قويّة مع القضاة، وبمكّني تعجيل الأمور حتى النهاية. لكن أتعبني سترداد، بالطبع. دعونا لا نؤجل العمل".

قال مارك: "حسناً، حسناً، أمهلنا بعض الوقت لنفكّر في الأمر".

نهض كروملي: "معكم بطاقتي وفيها رقم هاتفي". وابتعد. ووجد شرطياً آخر ليدررش معه بعد أن ألقى نظرةً شاملةً على الحشود ليجد ضحيّته التالية. وأثناء مراقبتهم له، همس مارك: "من المحتمل أن نكون على شاكلته بعد سنتين".

قال تود بصوت بالكاد يسمع: "يا له من وغد".

وقالت زولا: "معي 80 دولاراً، ماذا بشأنكما".

بوجه عابس قال مارك: "إنني أمر بضائقة مالية، ربما معي 30 دولاراً".

قال تود: "وأنا مثلك، ولكن أظن أنا لديّ مال في المصرف، سأذهب إلى الصراف الآلي، انتظرائني هنا".

"خطةٌ جيّدة". غادر تود القاعة بسرعة، في الوقت الذي دخل به أناس آخرون. راقب مارك وزولا كروملي والمحامي الآخر يصطادان الحشود. وبين الضحايا، كان كروملي إما يدررش مع أحد رجال الشرطة، أو يردّ على مكالماتٍ هاتفيةٍ هامةٍ على هاتفه المحمول، وغادر القاعة مرات عديدة وفي كل مرة كان يتكلم عبر الهاتف كما لو أنه كان يُلبّي بعض المسائل القانونية العاجلة في أماكن أخرى. لكنه كان يعود دائماً، ولغايةٍ ما.

قال مارك: "هذا ما لم تعلمونا إياه في الكلية، أرجح أن لا مكتب لديه".

قالت زولا. "هل تمزح؟ هذا مكتبه".

بعد مرور ساعتين على دخولهم مركز الشرطة غادره الشبان الثلاثة برفقة جوردي. وبما أن زولا لم تكن تمتلك سيارة، وبما أنه لا يمكن الوثوق بسيارة مارك البرونكو مع وجود زحمة السير، حشروا أنفسهم داخل سيارة تود الكيا ذات الباب الواحد، وشقوا طريقهم نحو مرأب المدينة في أناكوستيا. ركب جوردي في المقعد الخلفي إلى جانب زولا وأغمض عينيه ولم ينبس ببنت شفة. أراد مارك أن يقول: "حسناً، يا جوردي، هل تدرك كيف ستؤثر مخالفة قيادتك تحت تأثير الكحول على فرص توظيفك الضعيفة مُسبقاً؟" أو، "إذاً يا جوردي، هل تعلم أنه حتى ولو فرضنا أنك ستنجح في امتحان القبول، سيكون من المستحيل عملياً أن يتم قبولك للامتحان بسبب مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول؟".

وأراد تود أن يوبّخه كأن يقول له: "حسناً يا جوردي، إلى أين بالضبط كنت تنوي الذهاب عند الرابعة فجراً مع زجاجتي تاكيدا فارغتين في أرضية السيارة؟".

وأرادت زولا، بتعاطفٍ أكبر، أن تسأله: "من هو طبيبك وما هو أقرب موعدٍ يمكنك أن تقابله فيه؟".

أشياء كثيرة أرادوا قولها، لكن أياً من هذه الأسئلة لم يغادر ذهن صاحبه. في مرأب المدينة، تولى مارك أمر مُفاوضة الموظف الكاتب. وشرح له أنه يتحدث بالنيابة عن السيد تانر.

فكر الموظف، على الأرجح أنه لا يزال ثملاً، الذي لم يكن مُستغرباً إطلاقاً. دفع مارك مئتي دولار، نصف الذي كان في محفظة جوردي، ووقع الاستثمارات الضرورية. غادروا المكان، وذهب تود بسيارته ليوصل زولا إلى عملها، واصطحب مارك جوردي في سيارته المازدا.

بعد أن قطعوا مسافةً قصيرةً عبر الازدحام، خاطبه مارك قائلاً: "استيقظ يا جوردي، وتحدّث إليّ".

تمتم جوردي من دون أن يفتح فمه: "ماذا تريد؟".

كانت تفوح منه رائحة الكحول والعرق.

"أريد معرفة اسم طبيبك ومكان عيادته، فيجب أن نتوجه إليه الآن".

"لن نذهب إلى أي طبيب، ليس لديّ طبيب أصلاً".

"حسناً، أنت بحاجة لرؤية طبيب. بالله عليك يا جوردي، توقف عن الكذب. نحن نعلم بشأن اضطرابات ثنائية القطب، وبشأن الطبيب أو المعالج النفسي أو أيّاً كان من تُقابله. من الواضح أنك لا تأخذ أدويةك وأنت بحاجة إلى مساعدة".

"من أخبرك بهذا؟".

"زولا".

"تلك الساقطة".

"بالله عليك، يا جوردي، أخبرني حلاً باسم طبيبك ومكان عيادته وإلا فأنا سأتصل بوالديك وبريندا".

"سأقتلك".

"عظيم، دعنا نركن السيّارة جانباً ولنتبارز بالسكاكين، وإن استطعت قتلي لا تتردد".

أخذ جوردي نفساً عميقاً، وأحسّ باختلاجات تسري من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه. فتح عينيه، نظر خارج النافذة، وقال: "أرجوك توقف عن الصراخ في وجهي يا مارك. لقد مررت بليلةٍ عصيبة".

"حسناً، سأتوقف عن الصراخ، لكن عليك الحصول على بعض المساعدة يا جوردي".

"خذني إلى المنزل من فضلك".

"إلى مارتينزبورغ. أظنّها فكرةٌ جيّدة".

"أوه، بالطبع لا، ليس إلى هناك. سأنتحر إن قمت بذلك، لا أظنّها فكرة سيئة هذه الأيام".

"توقف عن ذلك يا جوردي. فلنذهب إلى شقتك، حيث يمكنك أن تأخذ حماماً طويلاً ولطيفاً، وربما تأخذ سِنَة من النوم. سنحضر شيئاً لناكله، ثم سأصطحبك إلى الطبيب".

بدأت فكرة سِنَة النوم مغرية.

في وقتٍ لاحق، لاحظ مارك أن صديقه كان يكفكف دموعه.

عندما استلقى جوردي في سريره، طلب من مارك المغادرة. فأجابه مارك أن ذلك لن يحدث وتكلما باختصار. استسلم جوردي، وسحب بطّانية وغطى بها رأسه، وغطّ في النوم. عندها، أغلق مارك باب غرفة النوم، وجلس على الأريكة، وأخذ يحرق إلى هاتفه المحمول.

بعد أن انقطع تواصل بريندا بخطيبها لمدة يومين، أخذت ترسل له رسائل نصية وصوتية، بدت فيها مشوشة قبل أن تتصل مرتين ولم تلق رداً، وكانت على استعدادٍ للقدوم إلى العاصمة لللاطمئنان إلى خطيبها. من ناحية أخرى، كان مارك مُرحباً تقريباً بفكرة تدخّلها، فيجب عليها أن تكون على بينة من أمر خطيبها، ويجدر بها تولي زمام الأمور، وتخفيف الضغط عن مارك والباقيين، وربما يجدر بها إعلام والديه اللذين يفترض بهما أن يكونا موجودين بالقرب من ابنهما.

من ناحيةٍ أخرى، ظن مارك أن إخبار بريندا والوالدي جوردي قد يزيد الأمر سوءاً، فلا أحد يستطيع التوقع كيف سيكون ردّ فعل جوردي عندما يراها أمامه نائحة، ربما سيثور ويصب جام غضبه على مارك، فأخر شيءٍ يحتاج إليه جوردي الآن هو المزيد من الدراما.

دخل مارك إلى الردهة واتصل بـ بريندا. وادّعى أن جوردي يعاني من إنفلونزا حادة، وأنه طريح الفراش، ولا يقابل أحداً خشية نقل العدوى إليه، وأنه يتناول الأدوية والسوائل، وأنه وتود يقومان برعايته وطمأنها إلى أن الوضع تحت السيطرة، ووعدّها باصطحابه إلى الطبيب في الغد ما لم يطرأ تحسن على وضعه، وأنه سيقبها على اطلاع بآخر المستجدات. عند انتهاء المكالمة، كانت بريندا قد اتخذت قرارها بالتوجه إلى المدينة بعد غد ما لم تتحسن حالة جوردي.

أخذ مارك المشوش يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وبدأ ممتعضاً لكذبه على بريندا، ولم يعرف ما الخطوة التالية التي سيتوجب عليه القيام بها، وأوشك عدة مرات على معاودة الاتصال ببريندا وإخبارها بالحقيقة، وكان متيقناً أنها ستكون هنا في غضون ساعتين لتعني بخطيبها لأنها أكثر من يعرفه، فهما معاً منذ كانا في الصف السابع، بينما لم يمر على صداقة مارك وجوردي أكثر من سنتين ونصف السنة.

ولكن كيفما قلب الأمر رأى أن مجيء بريندا سيزيد الأمر سوءاً، وربما ستخرج الأمور عن السيطرة، خصوصاً عندما تعلم بمخالفة القيادة تحت تأثير الكحول، فهي ستستاء من تسترهم وربما ستعرف بأمر زولا. ولم يتمكن مارك من تخيل الفوضى التي ستحصل، خصوصاً عندما تعلم كذب خطيبها بشأن فرصة العمل المرموقة التي كانت تنتظره بعد التخرج، وربما ينفجر الوضع وتطال شظاياه أشخاصاً كثيراً، وأكثر ما فكَر فيه مارك قبل معاودة الاتصال ببريندا أن جوردي لم يكن راغباً بوجودها بالقرب منه، وهو يفكر بكيفية إلغاء ارتباطه بها، ولكنه حتى هذه اللحظة لم يجد الشجاعة لإبلاغها بالأمر.

أسقط في يد مارك، ولم يجد أفضل من المماثلة فكرة استراتيجية آمنة، أقله في الوقت الراهن، فقرر أن يمضي قدماً متكناً على كذبه، ويرى كيف سينتهي اليوم. حل المساء، وجوردي لا يزال نائماً. فقرر مارك أن يستفيد من الوقت بتنظيف المطبخ وغسل الأواني ووضعها جانباً ورمي القمامة. وبعد أن فرغ من ذلك مسح الأرضية، ورتب الفوضى، وحاول إعادة ترتيب الأثاث، ولكنه لم يستطيع القيام بذلك بهدوء، فأخذ يحرق إلى الجدار محاولاً فهم العلاقات التي ربطت بين لاعبي وشركات ومؤسسات إمبراطورية راكلي. فأدرك المخطط الجهنمي، وقدّر الوقت والجهد اللذين بذلهما جوردي لجمع الأجزاء معاً وإمالة اللثام عنها. ولكن السؤال الذي طرح نفسه عليه وبالإحاح: هل كانت الأبحاث دقيقة في ظل حالة الاضطراب التي كان يعاني منها صديقه؟ وهل كان قادراً على التفكير بذهن صافٍ؟

تصفح مارك الإنترنت عبر هاتفه، وقرأ كل ما استطاع إيجاداه عن حالات الصدمة والاكئاب الناتجة عن ثنائي القطبية. كان هنالك أمور كثيرة ليقراها، وقرابة الساعة الثالثة، سمع ضجيجاً في غرفة النوم، فهرع ليلقي نظرة، وسمع صوت الماء ينسكب من الصنبور. فتنفس الصعداء. أخيراً، استيقظ جوردي وها هو يستحم. وبعد نصف ساعة ظهر في غرفة المعيشة نظيفاً حليق الذقن وسيماً كعهده به، ونظر إلى مارك وقال: "أنا أتصورُ جوعاً".

ابتسم له مارك وقال: "حسناً". غادرا المنزل، وسارا متجاوزين عدة أبنية قبل أن يصلا إلى أحد المطاعم المفضلة لديهما، وطلبا الشطائر والقهوة، وبالكاد تحدثا. فلم يبدِ جوردي رغبة في الحديث، ورأى مارك أنه من الأفضل احترام رغبته. تناول جوردي اللحم من شطيرته بأصابعه، وبعد ذلك شربا القهوة حالما سكتها النادلة، وبدا أن الكافيين أنعش جوردي على الفور، فقال وهو يمضغ البطاطا: "أشكر اهتمامك يا مارك، أشعر أنني أفضل حالاً".

"يسرني سماع ما تقوله، أسرع بإهاء الطعام، ولنذهب إلى الطبيب".

"لا داعي لذلك، إنني على خير ما يرام".

"جوردي يجب زيارة الطبيب أو المُعالج النفسي صحيح أنك على خير ما يرام الآن، ولكن الوضع قد يتغير لاحقاً".

"لا يمكنني تحمّل المُعالج النفسي، إنني اعتبره كذبة كبيرة".

سكبت النادلة مزيداً من القهوة، وعندما أنهى جوردي تناول البطاطا نحى الطبق جانباً، وارتشف من قهوته، متلافياً التواصل البصري. أخيراً، بادر مارك بالقول سائلاً: "هل تريد التحدّث فيما يخصّ مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول؟".

"لست واثقاً أنني أريد ذلك الآن، أنا أتوق لاستنشاق الهواء النظيف".

"فكرةٌ رائعة".

سدد مارك ثمن الطلبات ببطاقته وغادرا. سارا طويلاً عبر دوونت سيركل، وتوجها غرباً عبر شارع أم (M). في ظل سماء صافية وجو دافئ لم يكن التنزه فكرة سيئة. قطعاً كروسد رزك كريك ودخلا جورج تاون، حيث مشيا مع الحشود على طول جادة ويسكونسن، وكانا يتوقفان بين الفينة والأخرى ليلقيا

نظرةً على واجهات المحلات. وفي متجر الكتب المستعملة، ألقياً نظرة على الكتب الرياضية، فجوردي لاعب كرة قدم سابق، وبدا مُرتاحاً، وأخذ يتسّم بين الفينة والأخرى، ولكن مارك لاحظ شيئاً غريباً فيه فهو لم يكن صديقه المعهود، لم يكن ذلك الساحر المغرور، بدا قلقاً، وقد افتقد مزاحه وتعليقاته الساخرة التي كانا يتشاركاها. وعندما عصفت الرياح في وقتٍ متأخرٍ من المساء، وجدا ملاذهما في أحد المقاهي حيث احتسبا اللاتيه.

استقرا إلى طاولة صغيرة، وعندما سعى مارك مجدداً لبدء محادثة، لاحظ بجلاء أن صديقه في عالم آخر، وعندما قصد دورة المياه أرسل رسالة نصية إلى تود وزولا ليضعهما بصورة آخر المستجدات. وأتبعها برسالة إلى بريندا، يخبرها بتحسّن حالة جوردي، ويزف لها خبر نقله العدوى إليه وإلى تود، وأنهم أصبحوا ثلاثة مرضى يهتمون ببعضهم بعضاً في شقة خطيبها، وأخبرها أن الإنفلونزا تجتاح المدينة، ومن الأفضل لها أن تبقى بعيدة.

عند مغادرتهما المقهى، قال جوردي أنه يريد المشي على طول نهر بوتوماك. تجاوزا شارع M في ويسكونسن واتجها نزولاً نحو واجهة جورج تاون البحرية، منطقة عصرية تعج بالمُتاجر والمطاعم والكافيتريات، والتي تزدهم بالطلاب والسياح عندما يكون الطقس جيداً لا سيما في أفئتها المكشوفة ليستمتعوا بأشعة الشمس. لكن وخلال أيام الشتاء القارس، لا يكون هناك كثير من السابله. أثناء وقوفهما على ضفة بوتوماك البارد، بدا أن جوردي يستمتع بالمشهد. على يمينهما كان هنالك الجسر الرئيسي الذي يربط جورج تاون بروسلين. وعلى يسارهما جزيرة ثيودور روزفلت بالإضافة إلى جسر آخر. وليس بعيداً ينتصب مركز كينيدي، ولاح في الأفق نصب لينكولن التذكاري وغيره من الصروح الأخرى. بدا الهواء بالقرب من النهر أكثر برودة بسبب كتلة من الثلج كانت تعبر المياه. حين استدار جوردي، اعتلت ابتسامة شفّيته وبدت نظرتة غريبة ومليئة بالسلام والرضا.

فقال مارك: "نكاد أوصالي تتجمد، ما رأيك بالمغادرة؟".

حين وصل تود وزولا بعد حلول الظلام، كان جوردي قد نام مجدداً، ومارك يقرأ كتاباً ورقي الغلاف. بصوتٍ خافتٍ لخص ثلاثتهم أحداث النهار، وحاولوا التخطيط لما سيفعلونه ليلاً. ناقشوا فكرة الاتصال ببريندا وإخبارها بالحقيقة، لكن لم يكن أحدٌ منهم جاهزاً لذلك. وبالأخص زولا. باستثناء فكرةٍ عابرةٍ حول إيجاد طبيبه الخاص، كان هنالك نقاشٌ صغيرٌ حول الغد. ودون أيّ ضجيجٍ حركوا الأثاث ورتبوا له غرفته. أراد مارك أن ينظف الجدار. فقد سئم من النظر إلى وجه هيندز راكلي وعصابته. كانت الأمور سيئة بما فيه الكفاية للوقوع في شرك مؤامرتهم الضخمة، لكن الاحتفاظ بهم في الغرفة كان تقريباً أمراً قاسياً. ورغم ذلك عارض تود وزولا الفكرة. لقد عمل جوردي بجِدٍّ على تُحفته الفنية تلك، وقد يجعله تدميرها يضطرب مجدداً.

عندما وصلت البيتزا، دخلت زولا غرفة النوم بهدوء، وحاولت إيقاظ عشيقها. إلا أنها عادت وهي تقول إنه بالكاد تجاوب معها، وأنه كان فظاً. تناولوا البيتزا، ولم يشربوا شيئاً سوى المياه، قبل أن يمضوا بعض الوقت. مفاتيح جوردي كانت مع مارك وهو بالطبع سيحتفظ بها، واستقر رأيهم أن يتناوبوا الأدوار في الليل كما في السابق، حيث ستكون المناوبة الأولى من نصيب زولا على الأريكة، بعدها غادر تود عبر الردهة إلى شقة زولا بينما غادر مارك إلى شقته التي تبعد أربعة أبنية واستحم للمرة الأولى في ذلك اليوم.

بعد مغادرتهما، ومن ظلمة وهدوء غرفة المعيشة، بدأت زولا بالمراسلة. وتلقت اتصالاً من والدها فاقم من مآسي هذا اليوم المشؤوم بامتياز. لقد رفضت محكمة الهجرة عريضته الأخيرة، وأصدرت حكماً بترحيله مع أمها وبو؛ أخيها العازب. بعد إقامتهم لست وعشرين سنة في الولايات المتحدة الأمريكية، سيرحلون على متن طائرةٍ إلى السنغال مع مجموعةٍ من اللاجئين. ست وعشرون سنة من الكدح والعمل في مِهْنٍ وضيعةٍ وبأجرٍ رخيص. ست وعشرون سنةً من التثبُّت بلقمة العيش، وادّخار المال قدر المستطاع والامتنال لجميع القوانين، ومن

بينها التقيّد بحدود السرعة. ست وعشرون سنة من اعتبار أنفسهم مواطنين أمريكيين وامتنانهم لتواجدهم هنا. والآن، يجبرون على العودة إلى بلدٍ لم يكونوا يعرفونه، ولم يريدوا أن يكونوا جزءاً منه.

لقد كانت امرأة قويّة تعتر بصلابتها وثباتها، لكنها مُحمّلة بأعباء كانت أكبر بكثيرٍ من أن يتحمّلها أي شخصٍ آخر، أخطأت زولا حين أغمضت عينيها.

في تمام الساعة 1:42 بعد منتصف الليل، بدأ هاتفها المحمول الذي تضعه في جيب بنطالها الجينز بالرنين والاهتزاز. أخيراً، استيقظت. مُكاملةً فائتة. لقد كان جوردي. استغرق الأمر ثانيةً أو اثنتين لتعود إلى الواقع، هبّت واقفة، وركضت نحو غرفة نومه. تفقدت حمام الغرفة، وهي متيقنة أنه لم يكن هناك، فركضت لتوقظ تود. لليلة الثانية على التوالي، تسابقا نزولاً على الدرج نحو هُو الطابق الأول وإلى مرأب السيارات خلف المبنى. لم يكن هناك أثر لسيارة المازدا. اتصل تود بـ مارك، وأخبره أنهما آتيان لاصطحابه. داخل سيارة تود، رنّ هاتف زولا مشيراً إلى ورود رسالة نصية. "إنه هو. وهو يقول: زولا، لا يمكنني فعل هذا بعد الآن. لا مفرّ. أنا آسف".

"تبا! اتصلي به".

قالت وهي تتصل به: "لن يجيب".

مُباشرةً إلى البريد الصوتي. "مرحباً، هذا أنا جوردي. أترك رسالة".

قالت: "بريدٌ صوتي".

"سأرسل له رسالة جوردي، أين أنت؟ نحن آتون لاصطحابك".

حدّقت إلى هاتفها مُنتظرةً رده، ثم أرسلت الرسالة نفسها مُجدّداً. قالت:

"لا شيء".

"لم تشعري به حين غادر؟".

"بالطبع لا. حاولت البقاء مُستيقظة. أظن أنه كان يمتلك نسخة أخرى من

المفاتيح".

"من الواضح. أنه سيؤدي نفسه".

"لا تقولي هذا".

كان مارك يعدو بسرعةٍ خارجاً من البناء حيث يقطن، مُمسكاً بهاتفه المحمول ومُحاولاً الاتصال بجوردي. ولم يستطع ذلك. صعد وجلس في المقعد الخلفي للسيارة وقال: "ماذا سنفعل الآن؟".

سأله تود: "أما زالت المفاتيح بموزتك؟".

"إنها في جيبي. من قد يحتفظ بالمفاتيح الاحتياطية لسيارةٍ عمرها عشر سنين؟".

"أعتقد أن جوردي قد يفعل. سيقوم بفعل أحرق، هل تعلم ذلك؟".

قالت زولا: "إن ذلك مُفيدٌ جداً الآن، أنا آسفةٌ يا رفاق، لم أقصد أبداً أن أُغطّي في النوم".

كانت تلك الليلة الثانية على التوالي، فكّر كلٌّ من تود ومارك، لكنهما لم يقولا شيئاً. إلقاء اللوم عليها لن يُساعد في شيءٍ الآن، وكانت تشعر بالأسى بما فيه الكفاية. في حال قرر جوردي المجازفة مجدداً، فلن يستطيعوا إيقافه.

سأل تود وهو يمسك بالمقود: "هل تقترحان مكاناً نتوجه إليه". لم يجيباه. عندما أوقف عمل المحرك ران الصمت بينما كان المكيف يطلق هواءً دافئاً. في النهاية، خرقت زولا الصمت بقولها: "إنه يُحبّ الهرولة على طول متنزه روك كريك".

قال تود: "أشكّ أنه قد ينوي الهرولة الليلة. درجة الحرارة تبلغ العشرين درجة تحت الصفر".

قال مارك: "لنذهب ونتفقد متجر كوني. لطالما كان مكاننا المفضل الذي نقضي فيه فترة الصباح".

قال تود بعد أن أعاد تشغيل المحرك واستعد للتحرك: "فكرةٌ جيّدة، استمررا في محاولة الاتصال وإرسال الرسائل النصية".

كان عبارةً عن متجر فطائر يعمل طوال الليل على شارع 19، وكان مُفضلاً لدى المشردين والطلاب. توقف تود عند ناصية الشارع، ترحل ودخل

المتجر وهو يغذ السير، وعاد في غضون ثوانٍ وقال، "لا أثر له. لديّ فكرة. فلنذهب إلى الواجهة البحريّة في جورج تاون. لقد كنا هناك هذا المساء، وبدا أنه أحبّ المكان".

سأله تود: "ما الذي تعنيه بأحبّ المكان؟"

"لا أعلم. فقط قدنا إلى هناك".

بعد أن انعطفوا نحو شارع M، رنّ هاتف مارك. "أوه تبا! إنها بريندا. هل أجيب؟".

قال تود غاضباً: "نعم، عليك أن تجيب في الحال".

شغلّ مارك مكبّر الصوت وأجاب قائلاً: "أهلاً بريندا".

لقد كانت مذعورة: "مارك، ما الذي يجري؟ لقد وصلتني رسالة من جوردي للتو. يقول فيها إنه آسف، ولا مفرّ من الأمر، وإنه لا يستطيع الاستمرار. ما الذي يحدث بحق السماء؟ أجبني".

"إنه يقود سيّارته حول العاصمة يا بريندا. أنا وتود في السيّارة الآن ونحاول إيجادها. لقد ألقع عن تناول أدويته ويتصرّف بجنون".

"ظننت أنه في سريره بسبب الإنفلونزا".

"لقد كان مريضاً في السرير، حسناً؟ لقد كنا برفقته وفرّ منا هارباً. هل حاولت الاتصال به؟".

"بالطبع! لماذا لم تخبروني أنه ألقع عن تناول أدويته؟". كانت تصرخ بالفعل.

"لم أكن أعلم أنه لا يأخذ أدويته يا بريندا، حتى البارحة. لم يخبرنا بذلك. ولم تفعلني أنت أيضاً".

"لم يسبق لي أن تحدثت معك بالأمر. أرجوك أن تجده يا مارك!".

"إننا نبذل قصارى جهدنا".

"سأكون هناك في أقرب وقتٍ ممكن".

"كلا، الزمي مكانك وسأكلّمك لاحقاً".

عند الواجهة البحريّة، أوقفوا السيّارة على الرصيف وترجلوا منها. وحين انطلقوا نحو النهر أوقفهم حارسٌ أميّن. فقال مارك: "سيدي، نحن

نبحث عن صديق. إنه يقود سيارة مازدا صغيرة وهو بحاجة إلى مساعدتنا.
هل رأيته؟".

قال الحارس: "لا أحد يأتي إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل."
"حسناً. نحن نبحث فقط، هل يمكننا؟".
"بالطبع".

مشوا على طول المتنزه، وتوقفوا عند ضفة نهر بوتوماك، تماماً في المكان
الذي كان فيه جوردي مع مارك قبل ساعاتٍ قليلةٍ فقط. على يمينهم، عبرت
بضع سيارات الجسر فوق النهر. وعلى يسارهم، وخلف جزيرة روزفلت، كان
هنالك حالة طارئة على جسر أرلينغتون التذكاري. أضواء حمراء وزرقاء كانت
تومض في الأفق.

في الوقت الذي وصلوا فيه، كانت مسالك الجسر الغربيّة الثلاثة مسدودةً ومُزدحمة. ركن تود السيّارة على ربوةٍ عشبيّةٍ بجانب المنحدر وهرعوا نحو الأضواء الوامضة. كانت نصف دزينةٍ من سيارات شرطة العاصمة مَرَكونةً كيفما اتفق على الجسر وأبوابها مفتوحة والأضواء الزرقاء والحمراء تومض. كانت أجهزة الإرسال فيها تصدر ضجيجاً في حين كان رجال الشرطة يصرخون من خلالها. وقف اثنان منهم على الرصيف بجانب السياج، محذّقين نحو النهر المُظلم في الأسفل. كانت سيّارة إسعافٍ بصفّارة إنذارٍ مُدويّة تشق طريقها عبر الزحام مُحاولةً الوصول إلى مكان الحادث. وبعد مئة قدمٍ فوق الجسر، أوقفهم رجل شرطة وصرخ:

"عودوا إلى هنا، إلى أين تظنون أنفسكم ذاهبين؟" توقّفوا في مكّانهم، وحاولوا استيعاب الفوضى التي أمامهم. من فوق كتفيه وخلف سيارات الشرطة رأوا سيّارة جوردي المازدا مُعطّلةً في المسلك الأوسط للجسر، وأنوارها الأماميّة مُتوهّجة. وباب السائق مفتوح.

سأل مارك الشرطي: "ما الذي حدث؟".

"لا شأن لك، ابتعدوا".

قال تود: "سيّدي، نحن نعرفه. إنه صديقنا. ما الذي حدث له؟".

أخذ الشرطيّ نفساً عميقاً وهدأ نفسه. ثم قال: "لقد قفز، حسناً؟ لقد أوقف سيّارته وقفز".

صرخت زولا ولطمت وجهها بيديها. وتمكن تود من الإمساك بها قبل أن تنهار أرضاً. ارتجفت ركبنا مارك وكان على وشك أن يتقيأ. وحاول أن يقول: "كلا".

أسند الشرطيّ مارك بكتفيه، وأوماً برأسه نحو اليسار، حيث كان هنالك رجلا شرطةً يواسيان امرأةً في منتصف العمر. قال الشرطيّ: "تلك المرأة كانت تقود خلفه حين توقّف. رآته حين ركض وألقى بنفسه. أنا متأسّف".

قال مارك مجدداً: "كلا". بينما أبعد تود صديقتهما زولا بضعة أقدام. جلست بصعوبةٍ وأسندت ظهرها إلى السور الإسمنتيّ للجسر، وبدأت بالنحيب وبدت في غاية اليأس.

قال الشرطيّ مُجدداً: "أنا متأسّف، نحن نحاول معرفة هويّته. إنه من فيرجينيا الغربيّة، صحيح؟".

"صحيح. اسمه جوردون تانر. نحن طلاب جامعة".

"تعال معي". تبعه مارك وتجاوزا سيّارات وعناصر الشرطة، ثم توقفا خلف سيّارة جوردي. حدّق مارك إلى السيارة مرعوباً وهزّ برأسه. فقال الشرطيّ: "من هنا". وتقدم مارك نحو حافة الجسر. كان هنالك شرطيّان يمسكان بكاشفين ضوئيين محمولين ويسلّطان الضوء نحو المياه المظلمة لنهر بوتوماك. وفي الأسفل كانت تشعّ الأضواء الزرقاء لزورق شرطةٍ سريع كان يتجه نحوهم مباشرةً.

قال الشرطيّ: "لقد قفز من هنا. يوجد كتلٌ ثلجيّة في الأسفل. لا أحد يمكنه البقاء حيّاً لأكثر من دقيقتين".

حدّق مارك إلى مياه النهر وشاهد الزورق السريع وهو يعبر أسفل الجسر. غطى عينيه، وتنهد بحسرة.

اقرب مُحقّقٌ يرتدي معطفاً طويلاً منهما وسأل قائلاً: "من يكون هذا؟". قال الشرطيّ: "إنه صديق الشّاب".

نظر مارك نحو المُحقّق، وحاول استعادة رباطة جأشه.

قال المُحقّق: "أنا متأسّف يا بنيّ. ما الذي يمكنك إخبارنا به؟".

كفكف مارك دموعه، وصرّ أسنانه. وبصوت مرتجف قال: "إنه صديقنا، وكان يعاني من بعض المشاكل مؤخراً. لقد حصل الليلة الماضية على مخالفة قيادة تحت تأثير الكحول، ولقد بقينا نراقبه طوال اليوم. كنا خائفين أن يقدم على عمل أحمق".

"هل كان يعاني من مشاكل عقلية؟".

"كلا، كان فقط مُقلعاً عن تناول أدويته". كان صوته يتقطع وكفكف دموعه مجدداً "لا أستطيع تصديق هذا".

"أنا مُتأسف يا بني. أنا المُحقّق سوايز، من مركز شرطة واشنطن. وهذه بطاقتي ورقم هاتفي".

أخذ مارك البطاقة وقال بصعوبة: "لك الشكر".

"نحن نبحث عنه الآن وسيستغرق الأمر بعض الوقت، لكننا سنجده. هل تعرف عائلته؟".

"نعم".

"من أين هو؟".

"من مارينزبورغ، فيرجينيا الغربية".

"هل تمنع الاتصال بهم؟ من المؤكد أنهم سيفضّلون القدوم إلى هنا".

كان ذلك آخر اتصال يوّد مارك القيام به، لكنّه أوماً برأسه قائلاً: "بالطبع".

هل يمكننا المساعدة في البحث، أو أيّ شيء؟".

"آسف يا بني، لا يسعك سوى الانتظار. أرسل لي رسالة برقم هاتفيك وسأتصل بك حين نجده".

"كم من الوقت سيستغرق ذلك؟".

هزّ المُحقّق كتفيه قائلاً: "لا يمكنك معرفة كم من الوقت تستغرق مثل هذه الأمور. أقترح أن تذهب إلى مكانٍ دافئ وتنتظر. سأتصل بك لاحقاً لأطلعك على المُستجدّات. وأخبر عائلته أنه يمكنهم الاتصال بي أيضاً. وانظر، لقد بحثنا داخل السيّارة ولم نجد آية ملاحظة. هل تعلم أين يسكن؟".

"بالطبع".

"حسناً. هل تمنع لو تبحث في مكان إقامته لترى ما إذا ترك خلفه آية وصيّة؟ إنهم يقومون بذلك عادةً. وإن وجدت شيئاً، اتصل بي فوراً".

رَبّت المُحقّق سوايز على كتف مارك وقال: "أنا مُتأسّف حقاً يا بني".

"لك الشكر". بدأ مارك بالمشي على طول الرصيف. كانت سيارّة إسعاف أخرى تقترب من جهة الغرب، وكانت السيّارات المتزاحمة تتراجع في نفس الاتجاه أيضاً. بدت وكأنها ملايين من الأضواء المتوهّجة. انضمّ زورقان كبيران آخران بأضواءٍ كثافةٍ إلى الزورق السابق، وأخذت الزوارق تتحرك تحت قناطر الجسر.

ساعد كلّ من مارك وتود زولا لتقف على قدميها. كادوا يتجمدون من البرد، ويشعرون بالخدر، لكنهم كانوا مصدومين لدرجة أنهم لم يستطيعوا الشعور بشيء. حملاً زولا نحو السيّارة التي كانت عالقة وسط الزحام. شقّل تود مُحرك السيّارة ومكيف الهواء، وجلسوا ذاهلين ويتمنون أن كل ما يجري لا يعدو كونه أضغاث أحلام. جلست زولا في المقعد الأمامي للسيّارة وأخذت تبكي. اتكأ تود على نافذته، وبدا شاحباً كشبح. أجهش مارك بالبكاء وحاول التقاط أنفاسه. مضت دقائق عدّة في حين كان هاتفه المحمول يهتزّ باستمرار. أخرجه أخيراً من جيبيه وقال: "لقد اتّصلت بريندا أربع مرّات. على أحدنا أن يُخبرها".

قال تود: "أنت من سيخبرها يا مارك. ليس لديك خيار".
"لم لا تتصل أنت بها؟".

"لأنك تعرفها أكثر مني. إنها تتصل بك أنت".

أمسك مارك بهاتفه المحمول بإحكام وانتظر. شقّت رافعة بأضواء صفراء اللون طريقها عبر الزحام والتفتّ حول سيّارات الشرطة. قرّر أحد الرجال ذوي السلطة أن سيّارات الإسعاف لن تكون مفيدة، لذا غادرت المكان مع بعضٍ من سيّارات الشرطة.

سأله تود: "هل ستصل بها؟".

قال مارك: "إنني أحاول أن أستجمع قواي".

قالت زولا وهي تنحب: "هذه غلطتي".

قال تود بنبرة المقتنع الواثق مما يقول: "إنها ليست غلطة أحد، وأنت تعلمين ذلك".

قالت زولا: "الذنب ذنبي، الذنب ذنبي".

استمرت الأضواء الصفراء بالدوران، وشاهدوا الرافعة تقترب منهم عبر أحد مسارات الجسر الشرقية. تجاوزتهم وهي تجرّ سيارة جوردي على عجلتها الخلفيتين. وصل المزيد من زوارق الشرطة، وانتشر ذلك الأسطول إلى الجنوب من الجسر موسعاً من دائرة البحث. وأفرغ رجال الشرطة اثنين من المسارات الغربية، وبدأت زحمة السير تشهد حلحلة.

قال مارك: "ماذا سأخبرها؟ لا أستطيع القول إنه مات، فنحن لسنا متأكدين بعد، أليس كذلك؟".

قال تود: "إنه ميت يا مارك. أخبرها أنه قفز من الجسر إلى نهر بوتوماك وأن البحث جارٍ عن جثته".

"لا يمكنني قول ذلك".

"ما من خيار أمامك".

أخذ مارك نفساً عميقاً لكنه لم يجزِ المكالمة. قال: "كنت معه عندما اتخذ قراره. كنا عند الواجهة البحرية، وكان جوردي يحدق إلى هذا الجسر. عندما استدار كان هادئاً ومبتسماً. لقد اتخذ قراره، وكان مرتاحاً لخطته. يا لغبائي لم أدرك ما كان يخطط له". قال مارك: "نحن لسنا في صدد تحميل المسؤولية لأحد، ولكن ليكن بمعلومكم أن بريندا ستلقي باللوم عليّ فأنا من كان يتواصل معها، وأنا من كذب عليها، ما كان يجدر بي القيام بذلك".

فقال تود: "لقد قمنا بكل ما نستطيع القيام به وإن لم تؤت جهودنا أكلها فلا يمكننا لوم أنفسنا".

عندها صرخت زولا: "الذنب ذنبي، الذنب ذنبي".

نهرها تود بقوله: "توقفي عن هذا يا زولا".

أشار إليهم شرطي بإشارة ضوئية أن يمضوا قدماً، فقاد تود بسبطه فوق العشب، وسلك طريقاً فرعياً يقود نحو الغرب. كان هناك ثلاث سيارات شرطة تصطف على الطريق الجانبى وصادات صدماتها متلاصقة ببعضها البعض. جلست مجموعة من رجال الشرطة على الرصيف، بالقرب من المنطقة التي قفز منها جوردي. سأل مارك: "إلى أين نحن ذاهبون؟"

"لا أعرف".

عبروا النهر، وانعطفوا جنوباً إلى طريق (GW) وانطلقوا إلى جزيرة كولومبيا. ركن تود السيارة أمام نادي اليخوت حيث كانت مئات اليخوت تمايل على سطح المياه. جلسوا في دفة السيارة يحدقون إلى سماء الليل البهيم. بدأ هاتف مارك يهتز في جيبه. نظر مارك إلى هاتفه وقال: "هل ستتصل بها؟".

"لا داعي لذلك فهي من يتصل". فتح باب السيارة وترجل، وبدأ يمشي باتجاه الرصيف حيث ترسو اليخوت وضع الهاتف على أذنه وقال: "بريندا، لقد حصل أمر مريع".

اصطحب تود ومارك زولا إلى شقتها وجعلها تستلقي على الأريكة. غطاها مارك بلحاف، وجلس على طرف الأريكة ممسكاً بقدميها، بينما شغل تود إبريق تسخين المياه من أجل تحضير القهوة، جلس على الأرض مسنداً ظهره إلى الأريكة بانتظار أن تسخن المياه. فوضعت زولا يداً على كتفه. ران الصمت لفترة طويلة، فلم يسمع سوى صوت غليان المياه في الإبريق.

اهتز هاتف مارك فأخرجه من جيبه وقال: "إنه والد بريندا مُجدِّداً" نقر على الشاشة، مشغلاً مُكبِّر الصوت، وقال: "نعم، دكتور كارفي".

"مارك، نحن في طريقنا إلى العاصمة، من المفترض أن نكون هناك في غضون ساعة. سنقيم في فندق ماريوت في بيتاغون. هل يُمكنك مُلاقاتنا هناك قرابة الساعة السابعة؟" بدا صوته هادئاً ومُطمئناً.

"بالطبع دكتور كارفي. سأكون هناك".

"لك الشكر. لقد قمت بالاتصال بالمحقق سوايز وأصبح رقم هاتفي موجوداً لديه".

"جيد. أراك في تمام السابعة".

أنهى مارك المُكالمة وقال: "ذلك بالضبط ما كنت أريد فعله. التعامل مع امرأة تتصرّف بهستيريّة".

قال تود: "سأذهب معك لكننا لن نتعرّض للإساءة".

"بل هذا ما سيحصل بكل تأكيد. لقد صرخت عليّ مُسبقاً مرّتين. إنهما غلطتنا جميعاً لأننا كذبنا عليها، ولأننا تركناه يُفلس منا ويهرب، ولأننا لم نتصل بعائلته، ولأننا لم نأخذه إلى الطبيب".

همهمت زولا دون أن تفتح عينيها: "إنها غلطتي".

"إنها ليست غلطتك، ولن يذكر أحد اسمك".

قال مارك: "فلنحافظ على الأمور على هذا الشكل".

قال تود: "إذا بدأت بالصرخ سأغادر، أنا منزعج بما فيه الكفاية، ولن أتحمّل دراما بريندا وعائلتها".

قال مارك: "حين كنا نقود البارحة مُبتعدين عن المدينة هدّدني جوردي بالقتل في حال اتصلت بها. أعني، لم يكن تهديداً حقيقياً، على ما أظن، لكن تلك كانت طريقة تفكيره. لم يكن يريدنا أن نعلم. ورفض الحديث حول ذهابه إلى الطبيب. ما الذي كان ينبغي علينا فعله؟".

قال تود: "لقد سبق أن تحدثنا مطولاً بشأن هذا يا مارك".

ثم نهض وسكب ثلاثة أكواب من القهوة. كانت الساعة 4:00 بعد منتصف الليل تقريباً. وكانوا مُرهقين جسدياً ووجدانياً. نهضت زولا، وجلست على الأريكة، أخذت كوب قهوتها، وحاولت أن تبسم. عيناها الحمراء والغائرتان أوحتا أنها كانت على وشك الانهيار في أي لحظة. قالت: "لا أظن أنني سأرافقكما".

ردّ عليها مارك قائلاً: "كلا، عليك البقاء هنا لتأخذني قسطاً من الراحة".

بدوره قال تود: "فكرة سديدة، لا يجدر بك التواجد بالقرب من بريندا".

"لقد سبق لي أن قابلتها مرة، إنها تعتبرنا جميعاً أصدقاء جيدين. وجوردي قال إنها لا تملك أدنى فكرة عن علاقتنا".

قال مارك: "أنا متأكد مما قاله جوردي، لكنها رغم ذلك قد تشعر بالغيرة، فهي لم تكن تؤيد فكرة تواجده هنا من دونها".

خيم صمتٌ طويلٌ آخر وهم يرتشفون القهوة. كسر مارك جو الهدوء قائلاً: "حسنًا، علينا البحث في الأرجاء عن وصية انتحار. طلب منّي المحقق ذلك".

قال تود: "سيكون ذلك مُسلياً". مشوا عبر الردهة، دخلوا شقة جوردي، وأناروا المصابيح. لم يتغيّر شيء منذ أن غادروا مذعورين. على الوصيّة أن تكون في غرفة النوم ولم يجدها هناك.

"المكان مُتسخ". قال مارك وهو ينظر حوله. كانت الأوراق مُجمّعة على شكل كومة، والثياب مُكدّسة على الأرض. وكان هنالك زجاجتا كحول فوق الخزانة.

قالت زولا: "سأنظف المكان حين تغادران يا شباب، أنا مُتأكدة من أن عائلته ستودّ رؤية شقته".

خطوا داخل غرفة المعيشة، وحدّقوا إلى جدار جوردي المليء بملصقات المؤامرة. سأل تود: "ما رأيكما؟".

قال مارك، "النزل الأوراق ونحتفظ بها، لا داعٍ لأن تراها عائلته". ملأت زولا سلّة غسيل بالملاءات المُتسخة والمناشف والملابس، وأخذتها إلى غرفة الغسيل في القبو، في حين أزال كلّ من مارك وتود بجذر الملصقات وقصاصات الأوراق عن الجدار. كانت وجوه راكلي وحلفائه موضوعةً بطريقةٍ مُتقنة وأنيقة تجعل من غير المُحبذ إزالتها. إلى جانب حاسوب جوردي، وجد مارك سواقي تخزين فوضعهما في جيبه تلقائياً من دون أن يخبر أحدهم.

في تمام الساعة السادسة، غادر وتود المبني واتجه نحو بيتاغون. ولعدم وجود ازدحام في طريقهما، وصلا إلى ماريوت في غضون عشرين دقيقة، وذهبا إلى المقهى من أجل القهوة والبسكويت. في الوقت الذي كانا يأكلان فيه كانا يحاولان التهرّب من اللقاء.

قال تود: "على الأرجح أنها ستكلّم معنا بطريقةٍ سيئة".
"لقد فعلت ذلك مُسبقاً".

"لا يجدر بنا القبول بالإهانة".

"علينا أن نصبر ونبدي تعاطفنا، فهي فتاة خسرت للتو خطيبها الذي كانت تعشقه".

"حسناً، لكنه لم يكن يبادلها الشعور نفسه، ولن يبادلها إياها أبداً".

"لن تعرف بحقيقة مشاعره، أم تظن خلاف ذلك؟".

"من يعلم؟ حسبما قالت زولا، تشاجر جوردي وبريندا كثيراً قبل عيد الميلاد. من يعلم ماذا قال لها حينها؟".

"ربما ألغى الزفاف".

"لو حصل ذلك، كان ليخبرنا فنحن أقرب أصدقائه على الأقل هنا في العاصمة، أراهنك، أن الزفاف كان قائماً وأن بريندا كانت تتوق ليلتها الميمونة، ولكنها اليوم مفضورة القلب".

سأل تود: "برأيك هل كان يجدر بنا التصرف بطريقة مختلفة؟".

"لا أدري، لكنني لست متأكداً إن كنت سأتصل ببريندا. كان جوردي سيغضب منّا كثيراً وكان الوضع سيزداد سوءاً".

"وهذا ما حصل في نهاية المطاف".

"صحيح. من الأفضل أن نتحرك الآن".

استقلا المصعد نحو الطابق الثالث وطرقا الباب. كان الدكتور كارفي ينتظرهما وبدا ذلك من سرعة فتحه للباب. عرف عن نفسه بصوت هادئ، وصافحهما بحرارة، وابتسم برزاة الأمر الذي مس جانبا حساساً فيهما في ظل الظروف الراهنة. ثم أتاح لهما الدخول إلى ركن الجلوس في الجناح. عرض عليهما القهوة فرفضاهما. ولم يكن هنالك أي أثر لبريندا أو أي شخص آخر.

لقد تحدّث جوردي عن حماه المستقبليّ مرّاتٍ عديدة، وكانا يعلمان أن عائلة كارفي من ملاك الأراضي الأثرياء. والدكتور كارفي طبيب قلب ويحظي باحترام كبير في مارتينزبورغ. كان في الخمسينيات من عمره، رجلاً قديراً ورزينا غزا الشيب مفرقه. ارتدى معطفاً من دون ربطة عنق، وبدت ملابسه باهظة الثمن بوضوح. جوردي الذي كان عادةً ما يرمي بالنكات السخيفة على الجميع، لم ينطق يوماً بكلمة سيئة عن هذا الرجل.

جلسوا إلى طاولة صغيرة وتحدّثوا وتحدّثوا بصوت خافت. كانت بريندا في غرفة النوم مع أمها. فقد أعطاهما الدكتور كارفي مهديّاً وكانت تستريح، فالتو

غادرت الشرطة بعد أن أخذت المعلومات من العائلة، وكان والدا جوردي في طريقهما إلى العاصمة وسيكونان هناك في غضون ساعة.
قال الدكتور كارفي: "رجاء أخبراني ما الذي تعرفانه".

أوماً مارك لتود، الذي حاول أن يبدو رابط الجأش، وبدأ بتلخيص الأحداث التي دارت في الأيام القليلة الماضية. ذلك أن أحد الأصدقاء من كلية الحقوق والذي كان يعيش في المبنى نفسه، كان يشعر بالقلق اتجاه تصرفات جوردي، جاء إلى الحانة التي كان تود يعمل فيها طلباً للمساعدة، وجدوا جوردي في شقته، حيث عزل نفسه في شقته ولم يغادرها ليومين، وكان ثملاً ووضعه مزريراً، وبدأ مُنعزلاً ويحتاج لانتباههم بوضوح، وتحدث عن خوفهم من تركه وحيداً، لكنه تسلل وخرج هارباً. حين شرح له تود عن مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول قبل يومٍ من ذلك، امتعض الدكتور كارفي وهزّ رأسه، وكان ذلك أول تعبير يديه. بعدها استلم مارك زمام الحديث، ووصف مُحاولاته الجاهدة في إبقاء جوردي آمناً خلال اليوم السابق، وكيف رفض جوردي مناقشة حالته، ولم يعطِ اسم الطبيب الذي كان يذهب إليه، وكيف هدّد مارك في حال اتصل ببريندا أو بوالديه، وكيف أصبح جوردي يكثر من النوم وتوقف عن معاقرّة الشراب، وبدأ يظهر وكأن حالته تشهد تحسناً، وكيف بقوا إلى جانبه مجدداً الليلة الماضية، لكنه استطاع في النهاية التسلل والهرب منهم، وكيف هلعوا عندما اكتشفوا هربه وشرح كيف جابوا المدينة بحثاً عن سيارته قبل أن يروا أضياء الطوارئ على الجسر.

حين أنهى مارك حديثه، نظر إلى تود، الذي أوماً برأسه. كانت القصّة مُكتملةً وكافيةً إلى حدّ ما حتى هذه اللحظة.

قال الدكتور كارفي: "شكراً لكما. حين جاء جوردي إلى المنزل في العطلّة، كان لديه ولدى بريندا بعض النقاشات الجدّية حول مُستقبلهما، كما يفعل جميع المخطوبين. لقد كانت فترةً عصيبة بلا شك، لكن بريندا ظنّت أنّهما قد حلّا القضية. لكنه غادر دون أن يقول وداعاً، وعاد إلى هنا".

قال مارك: "لقد سمعنا شيئاً من ذلك".

سأله تود: "هل كانت بريندا تعلم أنه كان مُقلعاً عن تناول أدويته؟".
"حسناً، لم نكن نعلم أن جوردي مصابٌ بشنّاية القطنية إلا قبل أشهر. كان ذلك أحد أسباب نقاشاتهما الحادّة. كان يحاول إخفاء الأمر، الشيء الذي لم يكن أمراً طبيعياً".

هزّ كلٌّ من مارك وتود برأسه مذهولاً.
قال الدكتور كارفي: "انظرا، أعلم أن بريندا قالت بعض الأشياء الجارحة قبل ساعات، وأنا أتأسف بالنيابة عنها. إنها مصدومةٌ ومفطورة القلب. نحن مذهولون مثلكما تماماً، لقد عرفنا جوردي منذ أن كان طفلاً، عملياً كنا نعتبره أحد أفراد عائلتنا".

قال مارك: "لا داعي للأسف".
"نحن متأسفون جداً يا دكتور كارفي. لم نكن متأكدين مما كان ينبغي علينا فعله. لم نشك للحظة أنه سيقدم على ما أقدم عليه".
"لقد قمتم بأفضل ما لديكما في ظلّ تلك الظروف". قال الدكتور كارفي بالأسلوب الذي يُهدئ به المرضى. حيث شعر مارك وتود بالارتياح للمرّة الأولى منذ دخولهما، صدمهما الدكتور كارفي حين سألهما بصوت أخفض "هل كان هنالك فتاةٌ أخرى؟".

أجفلا وأخذوا يحدقان إلى أيديهما. كان مارك سريع البديهة وسأله قائلاً:
"حسناً، إذا كانت الإجابة نعم، هل ستخبر بريندا؟".
"كلا. فذلك سيجعل الأمور أكثر سوءاً".
عندها سأله تود: "ما دام الأمر كذلك، لماذا تسأل؟".
فكّر للحظة ثم قال: "فلننسَ الأمر".
"فكرةٌ جيّدة".

كانا متحمسين للمغادرة قبل أن يظهر أحدهم من غرفة النوم، قاما بإفهاء الأمور بسرعةٍ وودعا الدكتور. خرجا مُسرعين من الجناح ثم من الفندق، واتجها بالسيارة بلا هدفٍ مُتجاوزين مطار ريفان الوطني. كانا قلقين على زولا لكنهما لم يرغبوا في العودة إلى شقة جوردي. عبرا مدينة أليكساندريا، واتجها جنوباً، ثم

انعطفوا شرقاً، وعبرا جسر وودرو ويلسون فوق النهر، ثم توقفا عند الميناء. كان نهر بوتوماك مُمتدّاً أمامهما، والذي بدا بعرض ميل، ومياهه تجري باتجاه الجنوب وكان كل شيء كان على ما يرام.

لم يكن هنالك أي أثرٍ لعمليات بحث. لقد شاهدنا سفينتين من سفن حرس السواحل مع زوارق الشرطه بجانب المطار، لكن لم يكن هناك أي قوارب تحت جسر أرلينغتون التذكاري.

قال مارك: "هل تعتقد أن بإمكانهم معرفة مقدار مسافة وسرعة انتقال جثة عبر النهر؟".

أجابته تود: "أستألني؟".

"ظننتك تعرف. ألم يكن لديك صديقٌ غرق أيام الثانوية؟".

"صحيح، جوي بارنز. كان في الخامسة عشرة". نقر تود بأصابعه على عجلة القيادة، وأخذ يفكر بصديقه القديم. "ضحايا الغرق يغوصون ويغرقون نحو القاع، بغض النظر عن العمق، وإن كانت المياه باردة يستغرق الأمر وقتاً أطول. وحين يصلون إلى القاع، تحدث بعض التفاعلات الكيميائية، فتطفو الجثة. هذا غالباً ما يحدث في مكان قريب من المنطقة التي سقطوا فيها. ولكن يبقى هناك احتمال أن تعلق الجثة بشيء ما وتبقى في الأسفل".

فكروا في ذلك في حين توقف مكيف السيارة عن العمل. قال مارك: "سيكون قد اغتسل تماماً، ألا تظن ذلك؟".

"سيجدونه. لا بد من جنازة وقيبر يضعان حداً لكل هذه الفوضى. لا يمكنني تصوّر جنازة من دون جثة".

"سيجدونه. وبعدها سندفنه. ومن ثم علينا أن نعود سريعاً إلى كلية الحقوق من أجل فصلنا الأخير".

"لا يمكنني حتى التفكير في ذلك".

"كلية الحقوق هي السبب بموت جوردي يا تود. لو لم يذهب إلى كلية الحقوق لكان الآن في أفضل حال".

"ألم نكن كلنا سعداء لولا حدوث ذلك؟".

"لا يمكنني العودة مُجددًا".

"فلتحدث بخصوص ذلك لاحقاً. الآن نحن بحاجةٍ لقسطٍ من النوم".

بعد الظهر، اتصل الدكتور كارفي بمارك وسأله إن كان باستطاعته وتود استرجاع سيارته جوردي، وقيادتها نحو الفندق، ومقابلة السيد والسيدة تانر. لم يستطيعا التفكير في شيء أسوأ من ذلك، لكن في تلك اللحظة كانت العائلة بحاجة إليهما، ولم يكن أحدهما سواهما موجوداً. فللمرة الثانية على التوالي خلال يومين، ذهبوا إلى مرآب المدينة لإحضار سيارته المازدا الزرقاء العائدة لجوردي. قبل ثوانٍ قليلةٍ من إلقاء نفسه في النهر، أطفأ المحرك، ومن الواضح أنه احتفظ بالمفاتيح الاحتياطية في جيبه. لكن لحسن الحظ، كان مارك لا يزال يحتفظ بمجموعة المفاتيح الأخرى. مرآب المدينة أعفاهما من رسوم الركن والرافعة البالغة مئتي دولار.

كان جناح كارفي في الفندق أسوأ حتى من المشرحة. جلست بريندا على الأريكة بين أمها والسيدة تانر، المرأتين اللتين من المفترض أنهما كانتا تحتقران بعضهما، وتشاجران فيما يخصّ تحضيرات الزفاف. الآن وبالرغم من ذلك، تناستا ذلك، وهما تتشاركان العذاب والمأساة.

مرةً أخرى، جلس كلٌّ من مارك وتود مع الجماعة ليخبراهم بالقصة المؤلمة التي حدثت خلال الأيام القليلة الماضية، وحاولا صرف اللوم عنهما قدر الإمكان. الرقة والرزانة التي تحدّث بها الدكتور كارفي ذاك الصباح كانت قد اختفت، بالرغم من أنه حاول إبقاء الأمور هادئة. إلا أن السيد تانر طرح العديد من الأسئلة المخرجة حول ما فعله كلٌّ من تود ومارك أو ما لم يفعله. مثل لماذا كذب مارك وقال إن جوردي كان مُصاباً بالإنفلونزا؟ ولماذا لم يتصلا ببساطةٍ بعائلته طلباً للمساعدة؟ وكيف سمحا لجوردي بالهرب مرتين؟ وما الخطوات التي اتبعاها للحدّ من معاقبته الشراب؟ وما إلى ذلك. لم تقل بريندا الكثير. بل كانت تحدّق إلى الأرضية وتمسح عينيها، أو تحملق بهما وكأنهما هما من ألقيا بـ جوردي من أعلى الجسر. لقد كان لقاءً فظيماً ومؤلماً، وفي لحظةٍ كان الجميع

ومن بينهم تود ومارك يجهشون بالبكاء. في الوقت الذي كانت فيه الأمور تدهور، انتفض مارك أخيراً، وقال لقد طفح الكيل، واندفع خارجاً من جناح الفندق وتبعه تود في الحال.

قادا السيّارة بعيداً، ولم ينطقا بكلمة، صدمة عندما عرفا أن العائلة ستحمّلهما مسؤوليّة موت جوردي، وغضبا لفكرة أن اللوم سينصب عليهما. كان الأمر سهلاً جداً الآن، بعد الإدراك المتأخر للأمر، لتحليل أفعالهما وإدانة قرارهما. لكنهما كانا مقتنعين أن جوردي كان مريضاً وأنهما بذلا قصارى جهدهما لمساعدته.

لم يذكر أحد اسم زولا.

كان الانتظار موجعاً. أمضى تود بعض الوقت وهو يعمل في الحانة، أما مارك وزولا فقصدوا السينما. كلما رنَّ هاتف أحدهما كان يجفل، فأعمال البحث لم تعثر على الجثة، وكان زملاؤهم في الكلية يتصلون بهم لمعرفة آخر المستجدات، وضحت مواقع التواصل الاجتماعي بالشائعات، أما النسخة الإلكترونية للصحيفة المحلية فتكتمت على الخبر.

بعد أن أنهى عمله، وصل تود إلى شقة زولا ومعه ست زجاجات من الجعة، وطلبوا بيتزا على العشاء. وأثناء تناولهم الطعام، أخبرتهم زولا عن والديها وأخيها. خلال المساء، نقلوا إلى مركز احتجاز للمهاجرين في بنسلفانيا. وأمهلهم عملاء دائرة الهجرة والجوازات ساعة لحزم ملابسهم وأغراضهم الشخصية التي استطاعوا حملها، ثم سيقوا كالقطيع، وأيديهم مكبلة، برفقة أربعة آخرين، داخل شاحنة مغلقة صغيرة.

اتصل بها والدها من داخل المركز، والذي وصفه بأنه "أسوأ بقليل من السجن". لم يكن لديه فكرة كم من الوقت سيقون محتجزين هناك قبل أن تعود بهم الطائرة إلى السنغال.

صدم مارك وتود لما سمعاه، كان التوقيت سيئاً للغاية، فزولا في حالة صدمة، وتحاول تجاوز فكرة انتحار عشيقها، والآن تتلقى هذا الخبر. قرروا البقاء معاً، ومع تأخر الوقت غطوا في نوم عميق؛ زولا على سريرها، ومارك على الأريكة، وتود على الكرسيّ بجانبه.

في الصباح الباكر، وبينما كانوا يشربون القهوة سمعوا أصواتاً وخطوات عبر الردهة. شقَّ مارك الباب واختلس النظر.

كان كلٌّ من الدكتور كارفي وبريندا وعائلة تانر في شقّة جوردي. لقد وجدوها نظيفةً جداً، حيث كانت الأطباق جميلةً ومُرتبةً في مكائها، والثلاجة مُفرغةً من الطعام الفاسد، وخالية تماماً من أي قطرة كحول. كانت غرفة الجلوس مُرتبة، وأرضيتها نظيفة، ومساحة عمله فوق طاولة الطعام مُنسّقةً بشكلٍ أنيق، وسريره فائق الترتيب. وكلّ قطعة ملابس كانت نظيفةً وموضوعةً في مكائها. وفوق خزائنه صورةٌ كبيرةٌ مؤطرةٌ لبريندا، صورةٌ كان يحتفظ بها عادةً في الجارور. في الحمام، كانت مناشفه مطويةً. افترضوا أنه قد قام بإجراء استثنائيٍّ في جعل المكان أنيقاً ومُرتباً قبل الامتحان. فجأةً انهارت بريندا. جلست على الأريكة، وأجهشت بالبكاء في حين كان والدها يفرك لها ركبتيها. عبر الردهة، كان الثلاثة يُنصّتون بهدوءٍ مُخيفٍ.

قرّرت عائلة تانر أن نظرةً سريعةً كانت كافيةً. وقرروا العودة لاحقاً لاسترجاع أغراضه. أقفلا باب الشقة، وغادرا برفقة بريندا ووالدها. عبر نافذة ردهة الطابق الثاني، شاهدوهم يغادرون بعيداً، وشعروا بالأسى الشديد لما ألم بهم.

إنه الاثنين السادس من كانون الثاني، سيُستأنف جدول الحصص خلال أسبوع، لكنهم لم يفكروا بكلّية الحقوق. توجب عليهم مغادرة المدينة والتوجه إلى مركز احتجاج المهاجرين. أخذت زولا إجازةً مرضيةً، وأخذت تود يوم عطلةٍ من العمل في حانة أولد ريد كات. غادروا العاصمة واتجهوا شمالاً. ولتفادوا المرور بجانب نهر بوتوماك، سلكت تود جادة كونيكتيكوت. خلال نصف الساعة الأولى، لم يتحدثوا كثيراً. كانت زولا تجلس في المقعد الأمامي مصدومةً ومنهكة تنظر خارج النافذة بذهول، ارتشف تود القهوة من كوب ورقّي وهو يعبث بالراديو، ثم استقرّ على محطةٍ للأغاني القديمة، ولكنه أبقى الصوت منخفضاً.

في المقعد الخلفي، قلب مارك صفحات الإنترنت واسترجع مقالة صحفية، وبدأ يقول: "اعتماداً على ما ورد في موقع دائرة الهجرة والجوازات هناك خمسة

عشر مركزاً للاعتقال حول البلد، كل يوم توقف الدائرة 35 ألف شخص. وأوقفت الدائرة خلال العام الماضي قرابة 400 ألف عامل غير مُسجّل، ورحلت ما يقارب العدد نفسه، بكلفةٍ تتجاوز 20 ألف دولار لكلّ شخصٍ مُرحّل. نظام الاحتجاز بأكمله يكلف الخزينة نحو مليار دولار سنوياً. وهو أضخم نظام احتجاز للمُهاجرين في العالم. بالإضافة إلى مراكز الاحتجاز الخمسة عشر التابعة لدائرة الهجرة والجوازات، عقد الفدراليون اتفاقات مع المئات من سجون المقاطعات، ومراكز احتجاز الأحداث، وسجون الولايات لإيواء مُعتقليها، بكلفةٍ تقارب 150 دولاراً يومياً لكلّ معتقل، و350 دولاراً لكلّ عائلة. تشغل ثلثي هذه المراكز شركات خاصّة. بالنسبة إليهم المزيد من المُعتقلين يعني مزيداً من المال. إن الأمن الداخلي، والذي تتبعه دائرة الهجرة والجوازات، له حصّة، والتي صدرت بتكليفٍ من الكونغرس. لا يوجد وكالة تطبيق قانون (أو وكالة أمنية) أخرى تعمل على نظام تحديد الحصص".

قالت زولا التي كانت تعلم أكثر من مارك: "وتكون شروط الاحتجاز مؤسفةً".

"بالطبع مؤسفة. وبغياب الرقابة المُستقلّة، يتعرّض المُعتقلون عادةً لسوء المعاملة، ومن ضمن ذلك حبسٌ انفراديٌّ لفترات طويلة ورعاية صحّيّة غير كافية وطعامٌ رديء. يكونون مستضعفين ويتعرّضون للاعتداء، وحتى الاغتصاب. في العام الماضي، توفي 150 شخصاً في المعتقل. يُحتجز المُعتقلون عادةً برفقة مُجرمين عدائيين. وفي العديد من القضايا، لا يتاح لهم توكيل محامين. لدى دائرة الهجرة والجوازات معايير خاصّة بمراكز الاعتقال، لكن لا يمكن تطبيقها بموجب القانون. وعملياً، لا توجد مُساءلة حول كفيّة إنفاق الفيدراليين للمبالغ التي يُزوّدون بها. في الحقيقة، ما من أحد يُراقب، ولا أحد يهتم، باستثناء المُعتقلين وعائلاتهم. إنهم أناسٌ منسيون".

قالت زولا: "هذا يكفي".

قال تود من الخلف بصوتٍ مُرتفع: "نعم، هذا يكفي، ولماذا نتحدّث عن

ذلك؟".

"ما الذي تريد التحدث عنه؟ جوردي؟ بريندا؟ كلية الحقوق؟ ستبدأ الحصة خلال أسبوع ولا يمكنني الانتظار".

أوقف ذلك المحادثة لبعض الوقت. قلب مارك مزيداً من المقالات وهمهم مع الأغاني على الراديو. أخيراً، سألت قائلاً: "إذاً يا زولا، هل يمكننا الحديث عن عائلتك؟".

"بالطبع".

"لماذا غادروا السنغال؟".

"لم يتحدث والداي كثيراً عن السنغال. لقد كانا سعيدين ببقائهما بعيدين عنه، وعازمين على السعي لبدء حياةٍ جديدة هنا. كلما كنت أكبر كنت أسأل أكثر عن الأمر، لكنهما كانا يتملّصان من الإجابة. عمل والدي لدى جمعية تعاونية للمزارعين، وكان لديه مشكلة مع الحكومة. وهذا أنتج بعض العداوات، وخسر عمله، وظنّ أنه من الأفضل أن يسافر بعيداً، لقد كان خائفاً دوماً من فكرة العودة. أفراد عائلته كانوا مُبعثرين ولم يكن هنالك شيء ليفعله هناك، لا شيء سوى المشاكل. كان خائفاً من أن يتم اضطهاده في حال عودته".

"وماذا عن أخويك؟".

"سوري، أخي الأكبر، متزوج من أمريكية، ويعيش الآن في كاليفورنيا. زوجته ليست مسلمة، ووالداي لا يتواصلان معه كثيراً. أخي الأصغر، الذي ناديه بو اختصاراً، وُلد في السنغال، فهو في مشكلة أيضاً. لم يتزوج أبداً وهو مُتدينٌ مُتشدد".

قال تود: "ظننت أن لدى دائرة الهجرة والجوازات سياسة لم تشمل العائلات".

علق مارك: "قد يكون ذلك مُدوناً في مكان ما، لكن ذلك لا يطبق دائماً. البارحة قرأت مقالةً عن عائلةٍ من الكامبيرون، أبوين وخمسة أطفال، جميعهم يعيشون في شقةٍ في برونكس. طرق عناصر دائرة الهجرة والجوازات الباب ذات ليلة، واعتقلوا الأب، ورحّلوه على متن سفينةٍ إلى إفريقيا. الأم غير مُسجّلة أيضاً،

وتعيش هي وأولادها في حالة خوفٍ من أن يأتي عناصر دائرة الهجرة والجوازات فيأخذونها أيضاً. تخيلوا ما سيكون عليه الحال لو حدث ذلك. لقد وُلد الأطفال هنا، كما هو الحال مع زولا، فمن الممكن أن يفترقوا عن والديهم. حين سُئلت دائرة الهجرة والجوازات عن القضية، قال أحد الموظفين شيئاً من قبيل: "تمتلك ولاية نيويورك نظام رعاية أطفال مُمتاز. هل يمكنكم تصديق ذلك؟".

قالت زولا: "أفضّل التحدّث عن كليّة الحقوق".

قال مارك: "أنا لا أفضّل ذلك، لا أستطيع العودة. هل تنويان حقاً العودة إلى الفصل الاثنين القادم؟".

سألته زولا: "ما هي خياراتك الأخرى يا مارك؟ إذا لم تحضر، ستخسر عملك. لا يمكنك التوقّف ولا يفصلك عن التخرج سوى فصل واحد".

"سيكون لديّ عملٌ فقط في حال اجتزت امتحان القبول، الذي يبدو مستحيلاً الآن. فأنا لست مستقراً لا نفسياً ولا عاطفياً لأدرس بجدّ خلال حصص المراجعة. هل أنت كذلك يا تود؟".

"هذا يجعلني أشعر بالغثيان".

قالت زولا: "لكن يفصلنا عن الامتحان سبعة أشهر".

"لم لا نضحّي بهذا الفصل، كنوعٍ من تفادي الوقوع في المشاكل لفترة؟".
"لأنّ جياة القروض المتوحّشين سيقومون بالتهامنا. إن لم نكن في الكليّة، سيكون علينا البدء بالتسديد. ربما هناك منفذٌ من ذلك في مكانٍ ما، لكنني أشكّ أننا نستطيع إيجاداه".

"كلا، لن نكون محظوظين إلى هذا الحدّ".

قالت زولا: "فلنتحدّث عن شيءٍ آخر".

قال مارك: "حسناً، لكن لم يبقَ لدينا أية مواضيعٍ لتحدّث عنها".

ران صمت طويل، قبل أن يقول مارك: "حسناً، لديّ اعتراف. عندما كنا ننظف غرفة جوردي يوم السبت، وجدت سواقتي تخزين بجانب الحاسوب. أخذتهما وحسبت أن لا والداه ولا بريندا قد يحتاجان إليهما".

"راكلي؟".

"نعم، لكن هناك المزيد. هل كنتما تتابعان الفضيحة المتعلقة بينك
سويفت؟"

أجابت زولا: "قرأت بعض عناوين الصحف حول ذلك".
قال تود: "كلا، لدي ما يكفي من المشاكل".

"بنك سويفت هو تاسع أضخم بنك في البلد. قبل بضع سنوات، حاول
البنك أن يحصل على تصنيفٍ أعلى، لكن الفدراليين رفضوا ذلك. لحسن الحظ،
لم يفشل، وقد أبلى بلاءً حسناً منذ ذلك الحين. لقد كان غارقاً حتى أذنيه في
جرائم تزوير الرهون العقارية، ولديه سوابق في عمليات الاحتيال والفساد. إنه
حقاً مشروعٌ غير أخلاقيٍّ ومتورطٌ في جميع أنواع التمويل الرخيص (ذات الحد
الأدنى) من القروض، في حين أنه، وفي الوقت نفسه، يُنفق أموالاً طائلة على
الترويج لنفسه حتى يكون المصرف الذي يلجأ إليه كل شخص في الجوار".
قال تود: "لقد شاهدنا الإعلانات".

"جيد. حسناً، يعتقد جوردي، أو كان يعتقد، أن راكلي يمتلك جزءاً من
بنك سويفت. ولم يكن متأكداً ما هو حجم هذا الجزء، لأن راكلي، كعادته،
يعمل خلف غطاء من الشركات الوهمية، والعديد منها مُتمركزٌ في الخارج.
قامت هذه الجهات بشكل تدريجيٍّ وسريٍّ بشراء أسهم بنك سويفت، مُحافظَةً
دوماً على قيمة شراء أقل من 5 بالمئة. لأنها في حال تخطت هذه النسبة عليها
التسجيل لدى لجنة الأوراق المالية والتبادل. تقصى جوردي أمر ثلاث شركات
وهيئة مُتفرقة من الواضح أنها غير ذات صلة، والتي امتلكت ما مجموعه 12 بالمئة
من بنك سويفت. القيمة الحالية تقارب أربعة مليارات دولار، وتجعل راكلي
أكبر حامل أسهم على الإطلاق، وهو شيءٌ لن يرغب في البوح به أبداً".
قال تود: "حسناً، وما هو دورنا؟".

"لست متأكداً من أن لنا دور، لكن قراءة ذلك مُمتعة، وبما أننا لن نتفق
على أي شيءٍ آخر لتحدث عنه، سأتابع الثروة حول بنك سويفت وهيندز
راكلي. هل من اعتراضات؟ جيد. منذ حوالي شهر، تصدر بنك سويفت الأخبار
بفضيحةٍ أخرى، لا شيء جديد بالنسبة إلى هؤلاء المختالين، لكنهم ربما تفوقوا

الآن على أنفسهم. فدعونا نقول مثلاً إنك يا تود دخلت إلى فرع لبنك سوفيت في منطقتك وقمت بفتح حساب بنكيّ روتينيّ. وأودعت ألف دولار، وحصلت على بعض الشيكات المؤقتة اللطيفة، كل شيء ممتاز، ولقد أحببت بالفعل مُديرة المحاسبة الحسنة، والتي كانت غايةً في اللطف. حسناً، حالما تُغادر، ستتقلب الحسنة إلى عاهرةٍ صغيرة، وستفتح لك بعض الحسابات الإضافية: حساب توفير، أو اثنين، بطاقة ائتمان، وربما حساب وسيط. فبدلاً من حساب سوفيت واحد، سيكون لديك سبعة فعلياً. وستحصل هي على علاوة، وترتبة على الكتف، فتاةً مُطبعة. أنت لا تعلم شيئاً عن الحسابات الستة الأخرى، لكن البنك سيطلبك شهرياً بمزيد من الأموال لتغطية نفقات الحسابات".

سألت زولا: "من الذي أفشى هذا السر؟".

"إحداهن. يتضح أن مُدراء الحسابات في بنك سوفيت من الساحل إلى الساحل قد دربوا على أساليب شيطانية لينهالوا بتشكيل الحسابات للناس الذين لم يكونوا يريدونها، أو، في حال قاموا برفضها، يقومون بتشكيل الحسابات الإضافية على أيّ حال. الملايين من الحسابات. فتاتك وبعض الفتيات الأخريات بادرنَ وكشفنَ المستور. وزعمنَ أنهنّ كنّ يتعرّضن لضغطٍ كبير من قبل جميع العاملين من أعلى مُدير وحتى أصغر موظف من أجل تشكيل الحسابات. البنك بأكمله مقلوبٌ رأساً على عقب، وسيبدأ الكونغرس جلسات الاستماع الأسبوع القادم".

قال تود: "أمل أن يكون كل هذا صحيحاً، من أجل مصلحة راکلي".

سألت زولا: "والدعاوى القضائية؟".

"بالطبع. قد يتأثر الملايين من العملاء".

قال تود: "ليتني أودعت نقوداً في بنك سوفيت، عندها كنت سأتمكّن من

الإيقاع بذلك الأحق".

"لقد غرس برائه في أجسادنا عميقاً بما يكفي".

قالت زولا: "دعونا نغيّر الموضوع".

يقع مركز اعتقال باردتاون الفدرالي في وادٍ معزول، يبعد ثلاثة أميال عن الجادة 99، وعشرين ميلاً شمال ألتونا. إن كان هنالك بلدة مُجاورة، فلا يمكن رؤيتها. كان المدخل عبارة عن طريق إسفلي عريض بدا جديداً ويتجه إلى أسفل المنحدر، مقدماً مشهداً بانورامياً للمكان عند الوصول. ومن أمامهم امتد مُجمّع ذو سطح أفقي، أبنية جاهزة مُشابهة جداً لمقصورات الفصول الدراسية التي تُستخدم في المدارس المكتظة. صفان من الأسيجة الشبكية الطويلة مُحيطَة بصفوف المباني على شكل مُربّع أنيق. لفات سميقة من الأسلاك الشائكة فوق الأسوار تعطي المركز بأكمله مشهداً منذراً بالشؤم ليبدو شيئاً لا يشبه سوى السجن.

بعد أن خفف تود من سرعته قال: "يبدو وكأنه أحد مُخيّمات النازية التي كانت تظهر في الأفلام القديمة بالأبيض والأسود".
قالت زولا: "شكراً لك يا تود".

لقد كان مشهداً محبطاً، ولم تستطع زولا التحكم بمشاعرها. كانت تبكي حين ركن تود السيارة في المرأب الحصريّ. جلسوا لوضع دقائق وحدّقوا إلى بناء مؤلّفٍ من طابقين أمامهم، كان واضحاً أنه المكان الذي يقصدونه. حتى الآن، أعطى المركز بأكمله انطباعاً وكأنه قد أنشئ بين ليلةٍ وضحاها.
أخيراً، قالت زولا: "هيا بنا". مشوا باتجاه الباب الأمامي، الذي كان بجانبه لافتة كتب عليها "مركز اعتقال باردتاون الفدرالي. دائرة الهجرة والجوازات. مكتب الاحتجاز وعمليات الترحيل. وزارة الأمن الداخلي. المبنى الإداري".

عبروا الباب ودخلوا غرفة استقبال.

لم يكن هنالك لافتاتٌ لتدلّهم على وجهتهم، فأوقف مارك شاباً ضخماً يرتدي زيّاً رسمياً. "معدرةٌ سيّدي، لكن أين تقع غرفة الزيارة؟".
"أي نوعٍ من الزوّار أنتم؟".
"حسناً، نوّد رؤية أحد الموقوفين لديكم".
"اسمهم معتقلون".
"حسناً، نوّد رؤية أحد المعتقلين لديكم".
على مضض، أشار نحو أسفل البهو قائلاً: "ابحثوا هناك في الأسفل".
"شكراً جزيلاً لك".

تحركوا نزولاً نحو الردهة الفسيحة، باحثين عن إشارة تحدّد لهم أيّ شيءٍ يخصّ الزيارات. ولأنه مركز اعتقال فدرالي، كان الموظفون في كلّ مكان، جميعهم بأزياء رسمية متباينة. شبّان ضخام يتبخثرون وأسلحتهم مدلاة من أحزمتهم. موظفو الشؤون يرتدون قمصاناً بيضاء وربطات عنق ويضعون شاراتٍ ذهبية فوق جيوبهم. لقد بدا رجال الشرطة وكأنهم من نوابٍ المقاطعة.

مشوا نحو منضدةٍ حيث كانت تجلس ثلاث سيّداتٍ شابّات. إحداهنّ كانت تُقلّب بعض الأوراق في حين كانت الأخرى تستمتعان بتناول مقرمشاتهما. قالت زولا: "المعدرة، لكنني هنا لأرى والدي".
سألت الشابة التي تقلّب الأوراق: "ومن هما والداك؟".
"مال. أبي اسمه عبدو، وأمّي اسمها فاتنا. مال. م. ا. ل".
"ومن أين هما؟".

"حسناً، إنهما من نيوجيرسي، لكنهما من السنغال بالأصل. أوقفنا بالأمس".

"أوه، أهما معتقلان؟".

حاول مارك كظم غيظه وكان على وشك أن يقول: "بالطبع هما معتقلان. وإلا لماذا نحن هنا" لكنه حدّق إلى تود ولم يقل شيئاً.
قالت زولا بأدب: "نعم، إنهما كذلك".

"هل لديكم موعد مقابلة؟".

"حسناً، كلا، لكننا أتينا من مكانٍ يبعد ساعتين من هنا لكي نراها".

هزّت الشرطيّة رأسها، في حين وضعت الأخرى كعكتها جانباً، وبدأت تنقر على لوحة مفاتيح. الثانية التي كانت امرأة أكبر سنّاً ويضاء البشرة، قالت: "لم يتم تسجيلهما بعد". كان من الواضح أن ذلك غير قابل للنقاش.

قالت زولا: "حسناً، جيد، قومي بتسجيلهما".

قالت الأولى: "سنهتّم بذلك، حسناً؟ لكنني أخشى أنكم لن تستطيعوا

رؤيتهما قبل أن يتم تسجيلهما".

قالت زولا: "لا بدّ أنك تمازحيني".

قالت من دون أن تبدي تعاطفاً: "أنا متأسفة".

سألته زولا: "كيف لكم أن تحتجزوهم وهم غير مُسجّلين؟".

الشابّة الأولى، المرأة سمراء البشرة والتي في أواسط العمر، هزأت منها وكأنها

ستستمع لو جلست زولا مكانها. وقالت بحزم: "لدينا أنظمة نعمل وفقها".

خطا كلّ من مارك وتود خطوةً نحو المنضدة. كان تود يرتدي بنطال جينز

ومعطفاً جلدياً عتيقاً ويتعلّ حذاءً رياضياً. أما مارك فكان يرتدي زيّاً أفضل

بقليل وسترةً مطريّةً ويتعلّ حذاءً. أوماً تود لـ مارك، والذي انحنى إلى الأمام

وقال بصوتٍ عالٍ: "انظري، أنا محاميها، وبصفتها مواطنة أميركية لديها الحقّ في

رؤية عائلتها. لقد قدنا السيارة طوال ساعتين من أجل هذه الزيارة ولن تمنعيها

من ذلك. تم اعتقال والدها وأخوها البارحة وهم على وشك الترحيل إلى

أفريقيا. وقد لا تراهم مجدّداً".

توقّفت الشابّة الثالثة عن الأكل. وتوقّفت الثانية عن النقر على لوحة

المفاتيح. أما الأولى فتراجعت وحاولت القول: "أخشى أن عليكم مُقابلة المُشرف

المسؤول".

صرخ مارك: "عظيم أين هو".

جذب الضجيج بعض الانتباه واقترب عنصران من دائرة الهجرة

والجوازات. سأل أحدهما المدعو غيبسون: "هل من مشكلةٍ هنا؟".

صرخ مارك في وجهه: "بكل تأكيد يوجد مشكلة مُوكّلتي جاءت من واشنطن العاصمة لرؤية عائلتها للمرة الأخيرة قبل أن تُرحل إلى أفريقيا. والآن يجربوننا أننا لا نستطيع رؤيتهم بسبب بعض الأعمال الورقية غير المنجزة".

نظر العنصران إلى موظفات الشؤون الثلاث. فقالت الأولى: "تعرفان الأنظمة. لا يسمح بالزيارة قبل التسجيل".

نظر غيسون إلى مارك مُجدداً وقال: "حسناً، ها قد سمعت ذلك. يجب التقيّد بما تفرضه الأنظمة".

سأل مارك: "هل يمكنني أن أقابل المدير المسؤول؟".

"يمكنك أن تتوقف عن الصراخ، هذا ما يمكنك فعله". وأخذ خطوة أقرب نحوه، وبدا أنه كان يسعى وراء احتكاك جسدي. وهبّ عميلان آخران مُساندة رفيقهما.

قال مارك: "فقط دعني أتحدّث مع المدير المسؤول".

قال غيسون: "لا يروقني أسلوبك".

"ولا يعجبني أسلوبك أيضاً. ولم قد يكون الأسلوب مُهماً في هذا المكان؟ ما الخطأ في السماح لموكّلتي برؤية عائلتها؟ اللعنة، إنهم على وشك أن يُرحّلوا من هنا. قد لا تراهم مُجدداً".

"إن كانوا سيُرحّلون فذلك لأن القاضي أمر بذلك. إن لم يُعجبك ذلك، فاذهب وكلم القاضي".

"حسناً، الآن وقد ذكرت موضوع القاضي، فأنت تلعب لعبتي ستكون مقاضاتك في المحكمة الفدرالية أول شيء سأفعله في الصباح. ما هو اسمك الأول، غيسون؟". أخذ مارك خطوة نحوه وألقى نظرة على لوحته الاسميّة.

"م. غيسون. هل لي أن أعلم ما يشير إليه حرف م؟".

"موريس".

"حسناً، موريس غيسون. دوته يا تود". أخرج تود قلماً وأخذ قصاصة ورق عن المنضدة. نظر مارك إلى عميل دائرة الهجرة والجوازات التالي وقال:

"وما اسمك أنت؟".

"ولماذا تريد أن تعلم؟" أجابه بابتسامةٍ صفراء.

"من أجل الدعوى القضائية يا سيدي، لن أستطيع مقاضاتك دون معرفة اسمك".

"جيرى دونلاب".

استدار مارك، وألقى نظرة نحو الموظفين اللوآقي بدون مصدومات: "ما هو اسمك؟" صرخ في وجه الشابّة الأولى. حدّقت إلى الأسفل نحو لوحتها الاسميّة وكأنّها تتحقق من شيء، وقالت: "فيليس براون". قام تود بالخرابشة.

"وماذا عنك؟" سأل مارك الشابّة الثانية. "ديسي أكينبورغ".

سأل تود: "هلاً هجّاته لي من فضلك؟" قامت بذلك. ونظر مارك إلى الشابّة الثالثة وقال: "وأنت؟" أجابه: "كارول موت".

استدار مارك مُجدّداً ولاحظ أربعة من رجال دائرة الهجرة والجوازات يشاهدون الخلاف. "هل يودّ أيّ منكم التورّط في هذا أيضاً؟ إنها دعوى قضائيّة إلى المحكمة الفدرالية، وستصدّر قائمة الشكاوى غداً صباحاً. ستضطرون لتوكيل المحامين، على الأقل واحد لكلّ منكم، وسأجعلها تطول لمُدّة سنتين قادمتين. أريد أحدكم الانضمام؟". تراجع الأربعة.

اقرب رجلٌ بزيّ رسميّ كان في الأرجاء وقال بغضب: "ما الذي يحدث هنا بحقّ الجحيم؟".

أخذ مارك خطوةً نحوه وقال بصوتٍ عالٍ: "أنا أجمع الأسماء من أجل دعوى قضائيّة فدرالية. هل أنت المدير المسؤول؟".

أجابه بفخر: "نعم".

"عظيم، ما اسمك؟".

"من أنت بحقّ الجحيم؟".

"مارك فرايزر، من مكتب نيس سكيلتون للمحاماة في واشنطن. أنا وكيل زولا مال، السيدة التي تقف هناك. لقد أتينا من العاصمة لكي ترى عائلتها. هي مواطنة أمريكيّة ولديها الحقّ في رؤية عائلتها قبل أن يتم ترحيلها. اسمك لو سمحت".

"جورج مكلواين".

"شكراً لك. وأنت الشخص المسؤول في هذا المكان؟".
"صحيح".

لا يزال تود يخربش الأسماء. انتزع مارك هاتفه الخلوي، نقر عليه، ولم يتصل بأحد. مُحدّثاً بمكلواين، قال مُحدّثاً على هاتفه: "مرحباً كيلى، أنا مارك. أوصلني بكينسي من أجل دعوى قضائية، في الحال. أخبريه أنها حالة طارئة". صمت. "لا يهتمي إن كان في اجتماع. أريده الآن". صمتٌ أطول في حين اقترب مارك من رجل آخر من دائرة الهجرة والجوازات كان واقفاً بالقرب منه بعض الشيء. ومن فوق كتفه صرخ لـ تود، "أضف ت. واتسون للقائمة. ما الذي يعنيه الحرف ت؟".

نظر واتسون حوله وتمايل مُرتبكاً.

"بالله عليك يا سيّد واتسون، ألا تعلم اسمك الأول؟".
"ترافيس".

"أحسن، أضف ترافيس واتسون إلى القائمة".

خربش تود قليلاً. تراجعت زولا إلى الورا، لتترك مسافة بينها وبين هذا الرجل الطائش. عاد مارك ليتحدّث على الهاتف، وقال: "نعم، كينسي، انظر، أنا في مركز اعتقال باردتاون وهم يرفضون حقّ موكلتنا في رؤية عائلتها. أريد منك أن تحضّر استدعاءً مستعجلاً وتُقدمه بأسرع ما يمكن. سأوافيك برسالة تحوي أسماء المُدعى عليهم". صمتٌ في حين لم يكن يسمع أحداً على الهاتف. "هذا صحيح. ابدأ بالأمن الداخليّ ودائرة الهجرة والجوازات، ثم أضف الأسماء، انتظر لحظة. "أشار نحو الشبّات الثلاث، ورجال دائرة الهجرة الثلاثة، ومكلواين. "سبعة أشخاص، كلٌّ على حدة".

نظر مارك إلى العملاء الآخرين وقال: "هل يريد أيّ منكم التورّط في هذا أيضاً؟" تراجعوا أكثر إلى الورا.

"لا أعتقد ذلك. قم بذلك بسرعةٍ يا كينسي". ران الصمت مُجدّداً. رمق كلٌّ من غيسون وواتسون ومكلواين بنظراتٍ مليئةٍ بالخوف. أما الشبّات الثلاث

فكُنْ مُتَجَمِّدَاتٍ دُونَ حَرَائِكٍ وَقَدْ جَحِظْتَ أَعْيُنُهُنَّ. عَادَ مَارِكٌ لِيَتَكَلَّمَ عَلَيَّ الْهَاتِفِ، وَقَالَ: "عَظِيمٌ! سَجَّلَ الْإِسْتِدْعَاءَ مَسَاءً عِبرَ الْمَوْقِعِ الْإِلِكْتُرُونِيِّ. الْإِقْلِيمِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بِنْسَلْفَانِيَا، الْحَكْمَةُ الْفِدْرَالِيَّةُ. وَحَاوَلَ أَنْ تَكُونَ عَلَيَّ قَائِمَةُ الْقَاضِي بَاكْسْتَر. سَيَعَاقِبُهُمْ أَشَدُّ عَقَابٍ. وَاتَّصَلَ بِي خِلَالَ عَشْرِ دَقَائِقٍ".

نَقَرَ مَارِكٌ عَلَيَّ هَاتِفَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيَّ جِيْبِهِ. حَدَّقَ إِلَيَّ مَكْلَوَائِنَ وَقَالَ: "سَأَقَاضِيكُمْ جَمِيعاً فَرِداً فَرِداً بِتَعْوِضَاتٍ مَالِيَّةٍ، وَحِينَ أَحْصَلَّهَا سَأَشَارِكُ فِي الْقَضِيَّةِ، عِنْدَهَا سَأَحْرَمُكُمْ مِنْ رَوَاتِبِكُمْ وَسَأَفْرِضُ رَهُوناً عَقَارِيَّةً عَلَيَّ مِنْزَلِكُمْ" اسْتَدَارَ إِلَيَّ الْخَلْفُ وَصَرَخَ لِتُودَ: "أَعْطِنِي تِلْكَ الْأَسْمَاءَ". تَبِعَهُ كُلٌّ مِنْ زُولَا وَتُودَ نَحْوَ صَفٍّ مِنَ الْكِرَاسِيِّ قِبَالَةَ الْجِدَارِ. جَلَسُوا وَسَحَبَ مَارِكٌ هَاتِفَهُ مُجَدِّداً. مُمَسِّكاً بِالْقَائِمَةِ الَّتِي كَتَبَهَا تُودُ، أَظْهَرَ وَكَأَنَّهُ يُرْسِلُ الْأَسْمَاءَ بِرِسَالَةٍ نَصِيَّةٍ. أَحْيِرًا، تَحَرَّكَ مَكْلَوَائِنَ. أَخَذَ نَفْسًا عَمِيقًا وَخَطَا نَحْوَهُمْ. ثُمَّ قَالَ بِابْتِسَامَةٍ مُزَيِّفَةٍ: "انظُرُوا، قَدْ نَسْتِطِيعُ حَلَّ الْمَسْأَلَةِ هُنَا".

بَعْدَ عَشْرِينَ دَقِيقَةً. قَادَهُمُ الْعَمِيلُ غَيْبِسُونُ إِلَى غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ خَلْفَ الْمَسْبِنِ الْإِدَارِيِّ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنْ يَنْتَظِرُوا هُنَاكَ. وَحِينَ أَصْبَحُوا وَحَدَّهُمْ، قَالَ تُودُ: "أَنْتَ مَجْنُونٌ، أَتَعْلَمُ ذَلِكَ؟".

فَأَجَابَهُ مَارِكٌ "لَقَدْ نَجَحَ الْأَمْرُ". وَابْتَسَمَ مَزْهُواً. أَرَادَتْ زُولَا أَنْ تَضْحَكُ وَتَقُولَ: "لَنْ أُرْغَبُ فِي أَنْ تَقَاضِيَنِي أَنَا أَيْضاً". سَأَلَ مَارِكُ: "مَنْ يَحْتَاجُ لِرُخْصَةِ مُحَامَاةٍ؟". قَالَ تُودُ: "حَسَنًا، الْعَمَلُ دُونَ رُخْصَةٍ قَدْ يَوْقَعُكَ فِي الْمَشَاكِلِ". "وَهَلْ تَظُنُّ أَنْ هُوَ لَاءَ الْمُهَرِّجِينَ سَيَتَّصِلُونَ بِرَابِطَةِ مُحَامِي الْعَاصِمَةِ لِيَتَأَكَّدُوا مِنْ الْأَمْرِ؟".

فَتَحَتْ زُولَا حَقِيْبَتَهَا الضَّخْمَةَ، وَأَخْرَجَتْ مِنْهَا حِجَاباً أَسْوَدًا. فِي حَيْثُ كَانَ يَشَاهِدَانِهَا، وَوَضَعَتْهُ فَوْقَ رَأْسِهَا وَكَفَيْهَا، ثُمَّ بَدَأَتْ تَشُدُّهُ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ. "مَنْ الْمُفْتَرِضُ أَنْ أَرْتَدِيهِ فِي حَضْرَةِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ عَائِلَتِي". قَالَتْ بِصُورَةٍ لِائْتِقَةٍ.

قال تود: "يا لك من شابةٍ مُسلمةٍ مُطيعَةٍ، واخترتِ ارتداءَ فستانٍ طويلٍ بدلاً من بناطيل الجينز التي أثارنا لسنوات".

"أي بناطيل جينز؟ إنه أقل شيءٍ أستطيع فعله لأجل والديّ في حين أنني قد لا أراهما لوقتٍ طويلٍ".

قال مارك: "تبدين في غاية اللطف".

"نعم أنا لطيفةٌ، لكن لا تقولوا شيئاً اتفقنا؟ فإن وضع والدي مشبوهٌ به. بما فيه الكفاية الآن".

قال تود: "تبدين عذراءً نسبيّاً".

قالت زولا: "توقف عن ذلك".

فُتح الباب. ودخل والدها وبو الغرفة. فما كان من والدتها إلا أن جذبتها نحوها واحتضنتها وأخذتا تبكيان، قبل أن تحتضن والدها وأخاها ثم نظرت أخيراً إلى تود ومارك. عرّفت عنهما، ووصفتها بأنهما صديقان من كلية الحقوق، وشرحت كيف أوصلها إلى هنا من العاصمة.

صافح كلٌّ من تود ومارك والدها عبدو وبو، لكنهما لم يصافحا والدتها. شكرهما والدها كثيراً، وعندما بدأ الوضع يصبح مُخرجاً، قال مارك: "سنكون في الرواق".

عندما غادر مارك وتود الغرفة، أخذ أفراد العائلة سيكون.

في وقتٍ مُبكرٍ من صباح الثلاثاء، كان هنالك زورقُ شرطةٍ يطوف حول حوض تيدال باسين على الضفة الشرقية لنهر البوتوماك. لاحظ أحد رجال الشرطة شيئاً غير اعتيادي. بعد إلقاءه نظرةً عن قرب تبين أنها جُثة، مُبيضّة ومُتفخخة وعالقةٌ ببعض الشجيرات عند ضفة النهر، بالقرب من نصب جيفرسون التذكاري.

كان مارك نائماً حين اتصل المُحقق سوايز. شرح له ما وجدوه وقال إنه تكلم للتوّ مع السيد تانر، الذي عاد إلى موطنه في مارتنزبورغ مع والدة جوردي وعائلة كارفي. لا مارك ولا تود كان قد تكلم مع بريندا أو والدها أو عائلة تانر منذ لقائهم البغيض مساء السبت.

من الواضح أن أفراد العائلتين قرروا أن انتظارهم في العاصمة لن يفيد شيئاً. أخبر مارك كلا من تود وزولا بالأخبار. واتفقوا على أن يلتقوا في شقة زولا خلال ساعة. بعد عشر دقائق، عندما كان مارك جالساً على أريكته في الظلام، يحتسي كوباً من القهوة، رنّ هاتفه النقال. كان والد جوردي. حدّق مارك إلى الهاتف، ودون تعاطفٍ، ردّ على المكالمة مرغماً. قدّم تعازيه، وكان على وشك أن يستنفد كل ما يمكنه قوله حين قال السيد تانر: "قل لي يا مارك، هل يمكنك أن تسدي لنا خدمة؟".

في لا وعيه كان على وشك أن يقول لا، لكنه لم يستطع في تلك اللحظة. "حسناً، بالطبع".

"هل يمكنك وتود أن تذهبا إلى المشرحة وتتعرفا إلى الجثة. لا أستطيع القدوم، وخصوصاً لأمر كهذا".

كان مارك مذهولاً. قبل ثلاثة أيام مضت كان أفراد العائلتين يلومونه بشأن

موت جوردي، والآن يطلبون منه القيام بأسوأ مهمة يمكن تخيلها؟ وحين لم يُجب مارك، قال السيّد تانر: "نحن فقط مُستأوون كثيراً الآن يا مارك، وحسناً، أنت وتود هناك بالفعل. أرجوك. أعلم أن هذا طلبٌ بغيضٌ جداً، لكن ذلك سيكون إسهاماً كبيراً منكما".

بطريقةٍ ما استطاع مارك أن يُجبر نفسه على القول: "بالطبع".

نُقلت الجثة إلى مكتب الطب الشرعي، الذي يضمّ المشرحة أيضاً. ركن تود السيّارة عند ناصية الشارع قبالة المبنى المزجج العصريّ ووجد المدخل. قابلهم المحقق سوايز في البهو وشكرهم على قدومهم. نظر إلى زولا وقال: "لا أظن أن عليك إلقاء نظرة".

"لن أذهب معكم. سأنتظر".

"جيد. يوجد غرفة انتظار". قال وهو يُشير بيده، فتوجهت زولا إليها. تبعه كلّ من مارك وتود نزولاً على السلام نحو رواقٍ عريض. وتوقفوا عند بابٍ معدنيّ بجانبه لافتةٌ كتب عليها "المشرحة".

قال سوايز: "الجوّ باردٌ في الداخل، لكن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً".
سأله مارك: "كم مرّة تقوم بذلك عادةً؟".

"مرتان في الأسبوع. تحوي المشرحة مئتي جثة. وهذا العدد شبه دائم هنا في المقاطعة".

قابلتهم سيّدةٌ برداءٍ مُختبرٍ عند الباب وقامت بفتحه. سألت المحقق: "تانر، صحيح؟".

قال سوايز: "هذا صحيح". وخطوا داخل برّادٍ مُعقمٍ وضخمٍ مليءٍ بالأرشف المعدنيةّ المنظّمة بإتقان، والتي تحوي عشرات الجثث الموضوعّة في أكياس، جميعها بلونٍ أزرقٍ داكن، ومُغلقةٌ بإحكامٍ بسحّاباتٍ من أعلى الرأس وحتى أسفل القدم. انحرفوا عند زاويةٍ، مُتجاوزين المزيد من الرُفوف، ثم توقفوا فجأة. كان هنالك علامةٌ موضوعةٌ على أحد الجثث وكتب عليها "ج. تانر/ غرق".

نظر مارك حوله ورأى علامةً أخرى تقول. "بجهول. عيارٌ ناري".
أمسكت السيّدة بالسحاب من فوق الرأس وفتحته بهدوء. توقفت عند
منطقة الصدر وفتحت الكيس. كانت عينا جوردي مفتوحتين ومُتوسّعتين
ولا حياة فيهما، وكأنه كان يصرخ برعب حين ارتطم بالمياه. جلده كان
ناصع البياض كالثلج. وحتى هذه اللحظة كان لسانه أشنع سمّة في جسده،
سميكاً ومتكوراً وخارجاً من فمه إلى حدّ كبير. كان هنالك خدوشٌ فوق
خدّيه. اتكأ مارك على الرفّ ليسند نفسه. تتم تود قائلاً: "تباً". وانحنى كما
لو أنه سيتقيأ.

سأل سوايز عفويّاً: "هل هذا جوردون تانز؟" أوماً مارك برأسه في حين
تراجع تود مُبتعداً.

سحبت السيّدة السحاب لتغلق على الجثة مرّةً أخرى، وأخرجت كيساً
بلاستيكياً صغيراً. وقالت: "لم يكن هنالك حذاء ولا جوارب ولا بنطال ولا
ملابس داخلية. هذا ما تبقى من كنزته. لا يوجد شيءٌ آخر".

قال سوايز: "لهذا لم نستطع التأكد من هويّته. افترضنا أنه هو، لكن محفظته
ومفاتيحه وكلّ شيء كان مفقوداً. أنا مُتأسف".

أغمض مارك عينيه وقال: "وأنا أيضاً مُتأسف". لسبب ما، لمس كيس
الجثة عند الكاحلين وربّت عليه. "وأنا أيضاً مُتأسف".

تبعوا السيّدة إلى خارج المشرحة. وفي الرواق، سأل مارك المُحقق قائلاً:
"حسناً، ماذا الآن؟".

"أتمّ أفراد العائلة الأعمال الورقيّة. وستأتي سيارة الدفن لأخذه. سيُنقل في
غضون ساعتين".

"هل يمكننا مساعدتكم بشيءٍ آخر؟".
"كلا. شكراً لكما، وأنا مُتأسف جداً مرةً أخرى".
"شكراً لك".

جلسا مع زولا في غرفة الانتظار لمُدّة طويلة. كان الوضع هادئاً وكثيراً حتى
قال تود: "لنغادر".

في الخارج، توقف مارك وقال: "أظن أنه عليّ الاتصال بالسيد تانر".

في ما تبقى من نهار الثلاثاء وطيلة الأربعاء بقي مارك وتود بالقرب من زولا. كانت عاجزةً عن العمل، وخسرت عملها كموظفة مؤقتة في شركة المحاسبة. لقد كان العمل موسميّاً على أيّ حال. وحين كان تود يعمل في الحانة لبضع ساعات، كان مارك يقي معها. سارا مسافاتٍ طويلة حول المدينة، وهما يتسكعان في محلات بيع الكتب وأمام واجهات المحلات التجارية، ويحتميان من البرد في المقاهي. وحين كان مارك يتردد إلى نيس سكيلتون، كان تود يصطحبها لمشاهدة الأفلام في السينما. لقد بقيا في شقتها كل ليلة، وبالرغم من أنها كانت تؤكد لهما أنها بحال جيدة، إلا أنها لم تبدُ كذلك. لم يكن أحدٌ منهم كذلك. بدوا كما لو أنهم يجيئون داخل كابوس، وكانوا بأمس الحاجة لشد أحدهم عضد الآخر.

في الوقت الذي كان طلاب الحقوق الآخرون يتدفقون عائدين إلى المدينة، كانوا يريدون التحدّث بخصوص جوردي، المُحادثات التي لم يرغب أي منهم التطرّق إليها. ليلة الخميس، اتجهت سيارة إلى مارتينزبورغ من أجل المشاركة في الجنازة، لكن مارك وتود وزولا قرّروا ألا يكونوا من ركبها. وفي وقتٍ لاحقٍ من الليل كان هنالك حفلٌ قيد التجهيز في أحد النوادي المشهورة، وقد قضوا ساعة مع الأصدقاء. غادروا حين بدأ الناس يحتسون الجمعة، وحين بدأ زملاؤهم برفع نخب جوردي.

بدا مارك مرتاحاً لأن بريندا لم تتصل، فلم يرد أن يكون أحد حملة النعش فمراسم الجنازة ستكون متعبة بما فيه الكفاية. خطط مارك وتود للبقاء بعيدين عن العائلات ومشاهدة الجنازة عن بعد إن كان ذلك ممكناً. وحتى أنه دار بينهما حديثٌ عن عدم حضورها، لكن ذلك سيكون تصرفاً خاطئاً.

يوم الجمعة ارتدى كل من تود ومارك أحمل ما لديهما من ملابس، قمصان بيضاء، ربطات عنقٍ أنيقةٍ أحذية جلدية، وأفضل ما لديهم من "ملابس المقابلات

الرسمية"، ثم أقلّ زولا التي ارتدت فستاناً طويلاً وبدت كعارضة أزياء. قادوا السيارة لمدة تسعين دقيقة إلى مارتينزبورغ ونظروا إلى الكنيسة من الخارج؛ مبنى حجري أحمر جميل مُزَيّن بكثير من الزجاج الملون. كان هناك جمع من الناس أمام درجات مدخل الكنيسة. عربة نقل الموتى كانت مركونة بجانب الرصيف. عند الساعة الواحدة والنصف، دخلوا الردهة وأخذوا برنامج المراسم من الحاجب، على غلاف البرنامج كانت توجد صورة لصديقهم الوسيم. سأل مارك الحاجب عن مقعد. كان المقعد الخشبي الطويل الخلفي لا يزال فارغاً عندما جلسوا عليه، أبعد ما يمكن عن المنبر.

جلست زولا بينهما، ومسحت وجنتيها بمنديل، وقالت: "الذنب ذنبي". وشرعت بالبكاء. لم يلوماها أو يجادلها. تركوا الحزن يأخذ مجراه. سيكون هناك ما يكفي من الوقت لإسكاته لاحقاً. شعر مارك وتود برغبة في البكاء أيضاً ولكنهما استطاعا الحفاظ على رباطة جأشهما.

كانت الكنيسة جميلة، بمنصة كورس خشبية، ترتفع قليلاً خلف المنبر، وآلة أورغن كبيرة على أحد الجانبين. خلف المنصة كان هناك رسم للفادي، وأدخلت النوافذ الزجاجية الملونة كثيراً من الضوء إلى الكنيسة.

تذكر مارك السيناريو الافتراضي الذي تخيله والذي تعلم فيه البلدة أن أحد أبنائها البارّين قد رحل مع أفريقيّة مسلمة، هاجراً حبيته التي يعرفها من أيام الثانوية، وهاجراً كل شخص قد عرفه. كاد الأمر أن يكون مضحكاً للغاية منذ بضعة أيام، ولكن لم يكن كذلك في هذه اللحظة. لحسن الحظ، لن تعرف البلدة ذلك أبداً. لو جرت الأمور كما خُطط لها لوقف مارك وتود إشبينين ليشاهدوا بريندا تمشي إلى المذبح لتتزوج بعد حوالي أربعة أشهر. الآن كانا يختبئان في المقعد. يقدمان تعازيهما وهما يحاولان تجنب العائلة.

أخذت عازفة الأورغن، مكاتها وبدأت بعزف لحن حزين بدأ مناسباً للغاية للمناسبة. بعد بضع دقائق، دخل الكورس من باب جانبي وملاً المنصة. كان من الواضح أن توديع جوردي سيلقى المعاملة المثالية. استمر المشاركون في هذا المآتم بالقدم حتى أن بعضهم وقف بجانب الجدار بسبب الازدحام، وانحشر

الأصدقاء ليفسحوا مكاناً لثنائيّ طاعن في السن. عند الساعة الثانية، ظهر القس ووقف خلف المنبر. وفقاً للبرنامج كان القس جايري تشيستر. رفع يده فوقف الجميع. تم إدخال النعش عبر الممشى المركزي، وكان هناك أربعة من حملة النعش عند كل جهة. مشت بريندا خلفه وحيدة، منتصبّة وثابتة القامة. السيد والسيدة تانر كانا خلفها، ثم باقي العائلة. لجوردي أخ أكبر منه وأخت في سن المراهقة كانت تعاني. وضع شقيقها يده حول كتفها ليساعدها. عندما وصل النعش - غير مفتوح بحمد الرب- إلى أسفل المنبر، والعائلة إلى مقاعدها أوماً القسّ للحضور بالجلوس.

ألقي مارك نظرةً على ساعته: 2:12. لكم من الوقت سيستمر هذا؟

بعد صلاة طويلة رنم الكورس أربعة مقاطع. وتبعها العازفة بمقطوعة لا يمكن أن تكون أكثر إحباطاً. عندما انتهت، كانت بعض النساء يبكين. وقف شقيق بريندا، ومشى نحو منصة القراءة بجانب الأورغن وقرأ المزمور 23. عاد القس تشيستر إلى المنبر وبدأ عظته. في النهاية، لقد تواجد هناك لأنه عرف جوردي جيداً، حكى قصصاً عن مراقبته وهو طفل عندما كان يلعب كرة القدم وكرة السلة. دون استخدام كلمة "انتحار" تطرق إلى الحديث عن خفايا الموت وأشكاله المربكة. كل شيء يسير وفقاً لإرادة الله، وبينما نشكك ونتساءل حول الموت، وخصوصاً المآسي، ننسى أن الله وسع برحمته العالمين. ربما يوماً ما سنفهم سبب ارتكاب جوردي لفعلة، وربما لن نفهم أبداً، ولكن لا بد لنا من تقبل قضاء الله وقدره.

كان تشيستر مطمئناً، وبدا محترفاً بحق. في بعض الأحيان كان صوته يغصّ، وكان يعاني بوضوح، ولكن بالرغم من ذلك كان لوقع كلماته أثر مريح في نفوس الجميع.

كان جيمي هاسبرو صديق الطفولة المفضّل لدى جوردي، وقد احتفل مارك وتود معه مرّاتٍ عديدة خلال أيامهم في كليّة الحقوق. أول المتحدثين عن جوردي وقال: "كطفل، كان جوردي مأخوذاً بالأفاعي وأحبّ جمعها. أمه - لأسباب وجيهة- منعه من جلب الأفاعي إلى المنزل. لقد كانت هوايةً صغيرةً

ولطيفة لاقت نهايةً مفاجئة، حين قامت إحدى الأفاعي الأمريكية (كوبر هيد) بغرز أنيابها في ركبته اليميني". كان حضور جيمي لطيفاً وكذلك كلماته حيث ألقى بعض الدعابات في المناسبة. "كمراهقين، كان شرطينا المفضل رجلاً مُسنّاً يدعى دورين، والذي للأسف لم يعد بيننا الآن. ذات ليلة اختفت سيارة الدورية الخاصة بـ دورين، وفي الصباح التالي وُجدت في بحيرةٍ خارج المدينة، وصوّلها إلى هناك كان لغزاً لم يستطع أحدٌ حلّه. حتى الآن". بأسلوب دراميّ وفكاهيّ، قصّ جيمي قصةً جوردي وهو يستعير السيارة ويقودها إلى داخل البحيرة في حين كان جيمي يقف مُتفرّجاً. انفجرت الكنيسة من الضحك الذي استمرّ لدقائق. يا له من وقتٍ مثاليّ للكشف عمّا حدث بالفعل بعد كلّ هذه السنوات. بعد أن توقف الضحك، ازداد جيمي اكتئاباً. اختلج صوته حين وصّف إخلاص جوردي. وصفه بأنه مثالٌ للرجل الذي تريدُ أن يكون برفقتك في عراك. الرجل الذي يحمي ظهرك دائماً. للأسف وبالرغم من ذلك، بعض أصدقاء جوردي لم يكونوا مُخلصين مثله. حين كان بأمسّ الحاجة إليهم، حين كان يُعاني وبجاجةٍ إلى المساعدة، بعض أصدقائه لم يكونوا على قدر المسؤولية.

أجفل مارك، وأمسكت زولا بيده، في الوقت الذي أخذ فيه تود يتلفت. شعر بصدمةٍ كبيرة.

إذاً هكذا صورت الأمور في مارتينزبورغ! لم يكن جوردي المسؤول عن أفعاله، ولا علاقة لبريندا في اختياره. كل ما في الأمر أن بعض أصدقائه في العاصمة، زملاءه في كلية الحقوق، أهملوه.

جلس الثلاثة غاضبين ومذهولين.

أخيراً، تأثر جيمي عاطفياً، ولم يستطع المتابعة. كفكف دموعه، وتنحي عن المنبر، وعاد إلى مقعده في الصفّ الثالث. عاود الكورال الترنيم، وعزف طفل من الكنيسة على الفلوت، وتولى صديقٌ من واشنطن دور المؤن الثاني، والذي لم يوجه أصابع الاتهام إلى أحد. بعد خمسٍ وخمسين دقيقة، ألقى القسّ تشيستر الصلاة الختاميةً وبدأت الأنشودة. في حين كان صوت الأورغن يهذّر، وقف

المُصلّون بينما رفع النعش على طول ممشى الكنيسة. وتبعهم بريندا باكية، ولم يلبث النحيب أن عم المكان.

كره مارك الجنازات، وتساءل عن الهدف منها، فهناك طرقٌ أفضل بكثير لمواساة الأحبة من التجمّع في كنيسةٍ مُكتظةٍ للتحدّث عن الراحل وقضاء الوقت بالبكاء.

همس تود قائلاً: "دعنا فقط نجلس هنا للحظة، حسناً؟".

أراد مارك الشيء ذاته. كانت بريندا برفقة العائلات في الخارج، ينجبون ويتعانقون بعد أن وضعوا جوردي في سيارة نقل الموتى، التي سيلحقون بها إلى المقبرة أسفل الشارع، حيث سيحتشدون مُجدّداً من أجل الدفن، وهي مهمّة مؤلمة أخرى لم يُحبّدوا ثلاثتهم حضورها، والتي سيكون جيمي هاسيرو في وسطها، والذي سيُسدّد مارك لكلمةً إلى وجهه إن التقى به وسيُفسد اليوم. بعد أن فرغت قاعة الكنيسة، جمع بعض الأشخاص الأزهار لأخذها إلى المقبرة. حين أخذت الأزهار وغادر الجميع قرر الثلاثي الجلوس والانتظار لبعض الوقت.

بصوتٍ خافتٍ قال مارك: "لا أستطيع تصديق ذلك. الجميع يلقون اللوم علينا".

قال تود: "خصوصاً ابن العاهرة ذلك".

عندها قالت زولا: "من فضلك، ليس في الكنيسة".

شاهدوا حارساً يُزيل بعض الكراسي القابلة للطّي بجانب الأورغن. رفع رأسه، ورآهم يجلسون وحدهم في القاعة، وبدا فضولياً جداً تجاه وجودهم. ثم عاد إلى عمله وغادر الحرم.

أخيراً، قال مارك: "فلنخرج".

الجمعة مساءً، كان مثاليًا لنهاية أسبوع تعيس. لم يكونوا في عجلة من أمرهم للعودة إلى المدينة، فسلك تود الطريق الفرعي، وعبروا الحدود إلى فيرجينيا. وبالقرب من بلدة بيريفيل، قرّر الشابان أنهما بحاجةٍ لاحتساء الشراب، فتوقف تود عند متجر اللوجبات السريعة. تطوعت زولا التي لم يسبق لها أن احتست الشراب يوماً بتولي القيادة، شيءٌ اعتادت فعله حين كانت تخرج برفقة جوردي وجماعة كلية الحقوق المشاكسين. اشترى مارك ستّ علب جعة ومشروباً غازياً لأجلها.

سألت زولا: "إلى أين نحن ذاهبون الآن؟".

أشار تود الذي كان جالساً في المقعد الأمامي للسيارة نحو لافتة وقال: "تفيد اللافتة أن ذاك هو الطريق نحو فرونت رويال. هل سبق لكما أن زرتما فرونت رويال من قبل؟".

"كلا".

"حسناً، فلنذهب إلى هناك". فتحوا أعطية عليهم وانطلقوا. بعد عدّة أميال، ثبت مارك علبة الجعة بين ركبتيه وتفقد هاتفه. كان هنالك إيميل من نيس سكيلتون. قرأه وصرخ قائلاً: "ماذا! لا بدّ وأنكم تمزحون".

سأل تود بفرع: "ما الأمر؟".

"لقد طردوني للتو! لقد طردت".

قالت زولا: "بالله عليك من الجامعة".

"كلا، إنه من إيفيريت بولينغ". متأسف، السيد إيفيريت بولينغ، مهرّج (أحمق) حقيقي، وهو الشريك الإداري في نيس سكيلتون. استمعوا لهذا".

يقول: "عزيزي السيد فرايزر. أعلنت شركتنا اليوم اندماجها مع مكتب أومارا وسميث للحقوق والذي مقرّه في لندن. إنها فرصةٌ مهمّةٌ للشركة لكي توسّع عملها، وتخدم زبائننا بشكل أفضل. إلا أن الاندماج هذا يتطلب تبديل الموظفين. يؤسفني إبلاغك أن العرض المقدم لمنصب المساعد قد ألغى. نتمنى لك التوفيق في مسيرتك. كامل الإخلاص، السيد إيفيريت بولينغ".

قال تود: "أحببت توقيتهم".

"طردت قبل أن أبدأ العمل هل تُصدّق ذلك؟".

قالت زولا: "أنا متأسفةٌ جداً يا مارك".

قال تود: "وأنا أيضاً".

قال مارك: "تخيّلوا لم يمتلكوا الجرأة لإبلاغي بالأمر شخصياً، فاكتفوا برسالة بريد إلكتروني".

سأله تود: "هل أنت متفاجئٌ حقاً يا مارك؟".

"بالطبع متفاجئٌ. ولم لا أكون كذلك؟".

"لأنهم مجموعة من المبتزّين الذين قدّموا لك عرض عملٍ غير مُكتملٍ ولم يتضمّن حتى مقدار الأجر، ومشروطاً باجتياز امتحان القبول. لقد قلت بنفسك، وربما أضفت أنا مراتٍ عديدة، أنك لم تكن تثق بأي منهم، ولم تكن تحب المكان. إنهم مجموعةٌ من المخبولين، إنها جملتك أنت وليست جملتي".

أخذ مارك نفساً عميقاً، وأنزل هاتفه المحمول، واحتسى كامل علبة الجعة، وسحق العلبة بيده، ورماها على أرضية السيارة.

أخذ علبة أخرى وفتحها واحتسى منها. بالمقابل احتسى تود كامل علبته أيضاً وقال: "أعطني علبةً أخرى".

وعندما فتح الغطاء، رفع علبته عالياً وقال: "نخبكم. أهلاً بكم في عالم العاطلين عن العمل".

"نخبك". قال مارك حين طرّقوا العلب مع بعضها.

بعد مسافة ميلٍ أو أكثر، قال: "صحيح ما قلته يا تود، فأنا لم أكن راغباً بالعمل معهم".

قال تود: "أحسنت، هذا مارك الذي أعرفه".

وبقيت زولا تنظر إليه بواسطة مرآة الرؤية الخلفية.

قال تود: "لو عملت معهم لكنت بائساً الآن. إنهم جميعاً مجموعة من الأغبياء، مُغفلون حقيقيون يكرهون عملهم. لقد قلت ذلك بنفسك".
"أعلم ذلك، أعلم. لكنني أرغب في الاتصال براندول، المُشرف عليّ، فقط لأسمعه يُتأني ويتلثم".

"أضمن لك أنه لن يردّ على اتصالك. فلنراهن على ذلك".
"هذا رهانٌ سيء".

قالت زولا: "لا تفعل ذلك".

"لا تهدر طاقتك".

قال مارك: "السبب ما أشعر أنني مُنهكٌ هذه الأيام، أخي الصغير على وشك دخول السجن، لكنني أكره أن يحصل ذلك من أجل أمي. ثم خسرتنا جوردي بعد أن فقد صوابه. والآن نتلقّى اللوم بسبب انتحاره. ثم أُلقي القبض على عائلة زولا ورميت في السجن لينتظروا ترحيلهم. والآن هذا. ومن المُفترض بنا الآن أن نضع كل ذلك جانباً ونعود سريعاً إلى كلية الحقوق من أجل فصلنا الأخير، والذي سيتبعه شهران حقيران من الدراسة من أجل امتحان القبول، لكي نستطيع إيجاد عمل يكسبنا القليل من المال حتى نبدأ بتسديد القروض. نعم، عزيزتي زولا، أنا مُنهك. ألسنتِ كذلك أيضاً؟".

عقبت زولا: "أنا مُنهكةٌ إلى أقصى حد".

أضاف تود: "حسناً، الإتهامك صفة مشتركة بيننا".

خففوا سرعتهم، وعبروا بلدة بويس الصغيرة. وحين أصبحت خلفهم، سأل مارك: "هل ستلتحقون بالفصل الأخير نهار الاثنين، شخصياً، لن ألتحق".

أجابته زولا: "إنها المرّة الثانية أو الثالثة التي تقول فيها ذلك، إن لم تلتحق، ما هي مخططاتك؟".

"ما من مخططات لديّ. سأتابع حياتي اليومية".

سأله تود: "حسناً، لكن ما الذي ستقوله حين تعاود كلية الحقوق الاتصال بك؟".

"لن أردد على اتصالهم".

"حسناً، إذا سيضعونك في وضع الطالب غير الفعال، وسيرسلون إشعاراً إلى مقرضيك، وسيستقمون منك، وسيحثون عنك لمقاضاتك".

"ماذا لو لم يستطيعوا إيجادني؟ ماذا لو غيرت رقم هاتفي وانتقلت إلى شقة جديدة؟ من السهل الاختباء في مدينة يبلغ عدد قاطنيها مليونين".

قال تود: "حسناً، ستبدأ بالاختباء. ماذا عن العمل والدخل وتلك التحديات الصغيرة؟".

قال مارك بعد أن احتسى من الجعة: "كنت أفكر في ذلك، ربما قد أعمل ساقياً في حانة، من أجل المال طبعاً، أو نادلاً في مطعم. أو قد أصبح متخصصاً في قضايا مخالقات القيادة تحت تأثير الكحول كمثل ذلك الفاسد الذي التقينا به يوم الجمعة الماضي في سجن المدينة. ما كان اسمه؟".

قالت زولا: "داريل كروملي".

"أراهن على أن داريل يجني مئة ألف في السنة باحتياله في قضايا مخالقات القيادة تحت تأثير الكحول. وكلها نقداً".

قالت زولا: "ولكنك لا تملك رخصة".

"هل طلبنا من داريل أن يرينا رخصته؟ بالطبع لا. قال إنه محام. بطاقة عمله ذكرت أنه محام، لذا افترضنا أنه يمتلك رخصة. من الممكن أنه كان يعمل مُتخفياً".

سألت زولا: "ماذا عن الذهاب إلى المحكمة؟".

"هل ذهبت يوماً إلى محكمة مدنية؟ أنا فعلت، وهي أشبه بالغابة، فيها المئات من أمثال داريل كروملي يجومون في الأرجاء، ويحتالون على صغار المتهمين ليتقاضوا منهم المال، ينسلون إلى داخل وخارج قاعة المحكمة حيث يكون القضاة نصف نائمين ويشعرون بالملل. القضاة والعاملون وباقي الموجودين في المحكمة يفترضون كما افترضنا نحن، أن الرجال المتدافعين في الأرجاء هم

محامون في الحقيقة. بل هناك مئة ألف محام في المدينة ولا أحد يوقفهم ليسألهم:
مرحباً، هل أنت حقاً محام؟ أرني رخصتك".
قال تود: "أظنّ أن تلك الجعة ألحقت ضرراً بدماعك". ابتسم مارك في
وجه زولا المنعكس على المرأة.

كان اليوم الأول من فصل الربيع الدراسي يعني المال. لقد حوّلت دائرة التعليم إلى فوجي بوتوم 22.5 ألف دولار بدل رسوم التعليم لكل طالب، بالإضافة إلى 10 آلاف أخرى من أجل تكاليف المعيشة. وسرعان ما حوّلت الكلية إجمالي المبالغ للمالكها في مجموعة بايتريوم، ثم سلّمت شيكات نفقات تكاليف المعيشة للطلاب. وطوال النهار شهد مكتب المساعدات المادية ازدحاماً حيث انتظر الطلاب المفلسون في طابورٍ طويلٍ أمامه.

تغيّب مارك وتود عن دروسهما، ووصلًا قبل الخامسة وهو الموعد الذي يغلق فيه المكتب بابه، وغادرا وهما يحملان 20 ألف دولار في جيبهما، انعزلا في حانة سيئة السمعة خلال عطلة نهاية الأسبوع. كانت حانة رoster تقع بعيداً في جادة فلوريدا، بعيداً كفاية عن زبائن فوجي بوتوم. وكانت الحانة تشغل الطابق الأرضي لبناء مكّون من أربعة طوابق، والذي بالرغم من أنه مطليّ بلون أحمر فاتح، كان يجذب القليل من الانتباه. مدير تود، وهو وكيل مرهانات كان يسمّيه الجميع ماينارد، امتلك الحانة والمبنى، بالإضافة إلى أولد ريد كات ومعلّمين آخرين في المدينة. خضع ماينارد لإلحاح تود المستمرّ ووافق على جعله يعمل في حانة رoster. وقد وافق أيضاً على توظيف مارك، الذي ادعى تمّتعته بخبرة واسعة في خلط الشراب. بعملهما في الحانة في الليل وخلال عطلة نهاية الأسبوع، وعمل هاريّ جديد، فإن مستقبلهما المادي بدا واعدًا أكثر. بالطبع، ديونهما الضخمة كانت مُسجّلة، رغم عدم رغبتهما في تسديدها.

كان لحانة رoster مظهرٌ يعطيك إحساساً بأنها حانة عتيقة في حيّ قديم. معظم روادها كانوا عمالاً حكوميين عاشوا في المنطقة، أو ممن يتوقفون عند الحانة لاحتساء بعض المشروبات الثقيلة قبل أن يتجهوا إلى المنزل بعد أن يخفّ

الازدحام. للبعض، كان يعني ذلك عدّة ساعات من الانتظار حتى يخفّ الازدحام. كان المشرب العريض والهلاليّ الشكل في الحانة مكسوّاً بالنحاس الأصفر وخشب الماهوغاني. وفي الساعة الخامسة من عصر كلّ يوم كان يمتلئ بمجموعاتٍ مكوّنةٍ من شخصين أو ثلاثة من البيروقراطيين المتوسّطين الذين يجتسون مشروبات الساعة السعيدة (ساعة الخضم) ويشاهدون أخبار قناة فوكس نيوز. وكان مطبخ الحانة يحضّر أطعمةً لذيذةً بأسعار جيدة.

إلى إحدى الطاولات في الزاوية بجانب المطبخ وصنابير الجعة، قضى كلّ من مارك وتود ساعاتٍ يخططان لحرّكتهما التالية. لقد تغيا عن حصصهما يوم الثلاثاء، وبمخا عبر الإنترنت عن مزورٍ يمكنه تزويدهما بهوياتٍ جديدة. وقد وجدا أحدهم في بيتسدا، حيث قام بتزوير رخصة قيادةٍ مثاليّةٍ لكلّ منهما. فحصل مارك فرايزر على رخصتين إحداهما من العاصمة والأخرى من ديلاوير باسمين وهميين مارك أبشو ومارك فينلي. أما تود لوسيرو فحصل على رخصتين إحداهما من العاصمة والأخرى من ميريلاند باسمي تود لاين وتود امسيكاين. لقد كلفت كل رخصة مئتي دولار، وعرض المزور عليهما جوازي سفر لا غبار عليهما مقابل خمسمئة دولار لكلّ واحد، ولكنهما رفضا العرض، لأنّ على أيّ حال. كان جوازا سفرهما صالحين ولم يكونا ينويان مغادرة البلاد.

بأسمائهما الجديدة، اقتنيا هواتف جديدة، وأرقاماً جديدة أيضاً. واحتفظا بهاتفيهما القديمين لرصد من قد يبحث عنهما. غادرا متجر الهواتف، واتجهوا نحو مطبعةٍ فوريةٍ حيث طلبا طباعة بطاقات عمل من أجل مشروعهما الجديد: شركة أبشو وباركر ولاين للمحاماة. مارك أبشو وتود لاين. اسمان جديدان، ورقما هاتف جديدان، ومستقبلٌ جديد. العنوان كان 1504 جادة فلوريدا، وكان عنوان حانة روستر.

يوم الأربعاء تغيا عن الكلية أيضاً، وبينما كان زملاؤهما المستأجرون في مبنى كووب في الكلية ولم يكن أحدٌ يراقبهما، حملا ملبسهما وبعض الكتب، وحتى القليل من القدور والصحون، وغادرا المبنى دون أن يتكلما مع أيّ أحد. بدلات إيجارهما لشهر كانون الثاني كان قد فات موعد دفعها، وتوقعا أن تتم

مقاضاهما من قبل مالك العقار، الذي سيلقي صعوبة كبيرة في إيجادهما. انتقلا إلى شقة تتألف من ثلاث غرف في الطابق العلوي فوق حانة روستر، والتي من الواضح أنها استخدمت مخزناً منذ أيام فرانكلين روزفلت. لم يتفقا على شروط الإيجار مع ماينارد وطرحت فكرة مقايضة الإيجار بالعمل، وبالطبع كل شيء كان بشكل غير رسمي. ماينارد يحب الأمر على هذا النحو.

فكرة العيش هناك لم تبعث على السرور ولا بأي شكل من الأشكال، ولكن لم يكن خيار دفع المزيد من الإيجار أو أن تتم مطاردتك من قبل جباة القروض المتوحشين تبعث على السرور أيضاً. إذا كانت فكرة العيش لعدة أشهر في جحر فتران سيُبقِي جباة القروض بعيدين، فإن مارك وتود يمكنهما تقبل ذلك. اشتريا سريرين وأريكة وبعض الكراسي وأدوات مطبخٍ رخيصة، وبعض الإضافات من متجر للأغراض المستعملة بجانب ماوى المرشدين.

قررا أن يتوقفاً عن حلقة شاريهما. كما يفعل طلاب الحقوق اللائقون، وهما نادراً ما كانا يحلقاهما على أي حال. المظهرُ الأشعث كان متوقِعاً. أما الآن فقد يؤمن الشارب غطاءً إضافياً.

عصر يوم الأربعاء تجرأ للمرة الأولى على الذهاب إلى مربّع السلطة القضائية، وهو مقر عدة أنواع من المحاكم في المقاطعة. كان المبنى الرئيسي محكمة المقاطعة، وهو صرحٌ خرساني ضخم مبني وفق طراز السبعينيات وفيه يتم التعامل مع كافة أنواع الأنشطة الإجرامية. وتمتد أدغال قاعات محاكمه على ستة طوابق. وكانت مداخله مزدحمة بالحامين الذين يركضون داخلين وخارجين من جلسات الاستماع، وكان المدعى عليهم الذين يُطلق سراحهم بكفالةٍ يحتفلون بهستيرية مع أحبائهم. لقد كان المبنى مفتوحاً أمام الجميع بعد التفتيش الأمني الإلزامي باستخدام أجهزة الكشف عن المعادن ومسح الجسم. شاهدا أحداث محاكمةٍ أمام هيئة من المحلفين. وراقبا للمرة الأولى السجناء الذين يحضرون وهم يرتدون بزّاتهم الموحدة ليمثلوا أمام القضاة من أجل إتمام بعض الأعمال الورقية السريعة، ثم يعادون إلى السجن. وشاهدا انعقاد جلسات استماع والتي يتساجل خلالها المدعون العامون ومحامو الدفاع. لقد درسا الجداول وجمعا أكبر قدرٍ ممكن من

الأوراق، وجابا المرّات مُراقِبَيْنِ بعنايةٍ المحامين وهم يتجمعون مع عائلاتٍ مرعوبة ومتوتّرة. لم يسمعا ولو لمرة واحدة. أحدهم يسأل أحد المحامين إذا كان لديه بالفعل ترخيص لمزاولة المحاماة. ولم يُشاهدا أي شخص كانا يعرفانه.

في تلك الليلة، عملا حتى الساعة العاشرة وهما يقدّمان الأطعمة والمشروبات في حانة روستر، ثم عادا ليعتكفا في شقتهما في الطابق العلويّ، حيث أمضيا ساعاتٍ على الإنترنت يتصفّحان متاهة نظام محكمة العاصمة. المستقبل الواعد يكمن في القضايا الجنائية لأن الأتعاب تدفع سلفاً، ولن يكون لدى العملاء أيّ مصلحةٍ في التوقف أمام مكتبهما لأخذ استشارة. ومعظم اللقاءات مع العملاء تعقد إمّا في السجن أو في المحكمة، تماماً كالتي يعقدها داريل كروملي.

تغيّبا عن الكلية مرّة أخرى يوم الخميس، وفتحا حسابات جارية جديدة. كان هناك ستة فروع لبنك سويفت في المنطقة المتروبوليّة الكبرى في العاصمة. ذهب مارك إلى فرع مجاور وأودع خمسمئة دولار باسم مارك أبشو. وقام تود لالين بالأمر عينه في أحد الفروع في جادة رود آيلاند. وقاما معاً بزيارة فرعٍ آخر لمصرف سويفت في جادة بنسلفانيا، وفتحا حساباً جارياً لشركة حمامة برقم تعريفٍ مُزيّفٍ لدافع ضرائب. وعصر يوم الخميس، عادا إلى المحكمة، ليستوعبا كيف تجري الأمور. وتغيّبا عن الكلية يوم الجمعة أيضاً، وتوقفا عن التفكير بـ فوغني بوتوم. لو كان ذلك ممكناً، لفضّلا ألا يريا ذلك المكان مجدداً، وكان ذاك الأمر يحد ذاته يعث على البهجة.

إن استدعاء المحكمة لجوردي بسبب مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول، اقتضى منه المثول في قاعة المحكمة 117 في محكمة المقاطعة عصر يوم الجمعة الساعة 1:00. وفي تمام الساعة 12:45، وصل مارك وتود إلى خارج المحكمة وحاولا أن يبدوا قلقين قدر الإمكان، كان الجمهور محتشداً. أمسك مارك باستدعاء المحكمة وبدا وكأنه بحاجة للمساعدة. كان كلّ منهما يرتدي بنطال جينز ويتعل حذاء رياضياً وكانا بائسين بما يكفي. اعتمر مارك قبعة جون دير. وصل شابٌ يحمل حقيبة ورصدهما. مشى نحوهما وقال لمارك: "أنت هنا من أجل مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول؟"

أجاب مارك: "نعم، سيدي، هل أنت محام؟".
"نعم. وهل وُكِّلت أحدهم؟".
"لا، سيدي".

"هل يمكنني رؤية استدعاء المحكمة الذي يجوزتك؟".

أعطاه مارك إياه، وعبس الحامي بوجهه بينما كان يقرأه. ثم سحب بطاقة عملٍ وأعطاهها لمارك. بريستون كلاين. محام. وقال: "أنت تحتاج إلى محامٍ من أجل هذا، بدل أتعابي ألف دولارٍ تدفع مسبقاً".
"حقاً، كل ذلك المبلغ؟" سأل مارك، وبدا مصدوماً. خطا تود ووقف بجانبه وقال: "أنا صديقه".

قال كلاين: "إنها صفقة في مصلحتك يا بنيّ. أستطيع أن أوفر عليك كثيراً من المال. إن ثبت أنك مذنبٌ ستفقد رخصتك لمدة عام، وستمضي بعض الوقت في السجن. على الأرجح، أستطيع إيقاف ذلك".
لم يكن كلاين سلساً مثل داريل كروملي، لكن الأمر لم يكن مهماً في تلك اللحظة. قال مارك: "لديّ أربعمئة دولار نقداً. ويمكنني تأمين المبلغ الباقي لاحقاً".
قال كلاين: "حسناً، لكن يجب أن تدفع قبل موعد محاكمتك".
"أي موعد محاكمة؟".

"حسناً، سندخل ونرى القاضي كانتو، إنه شخصٌ صعب المراس. سأتولّى زمام الحديث، وأنت لا تتكلم ما لم أقل لك ذلك. كانتو سيطلع عليّ المذكرات، جميعها أمور روتينية، وأنت ستدافع عن فكرة أنك لست مذنباً. سيحيل القضية إلى جلسة استماعٍ تُعقد خلال شهر أو أكثر، وهذا سيعطيني الوقت اللازم للقيام بعملِي. أفترض أن نتيجة نفخك في الجهاز سجّلت فعليّاً معدّل 0.11 صحيح؟".

"نعم، سيدي".

"هل تحمل المبلغ؟".

مدّ مارك يده داخل أحد جيوبه، وأخرج بعض المال. كان يمسك مئة دولار، فخطفها كلاين من يده.

"فلندخل وننجز الأعمال الورقية".

سأل تود: "هل يمكنني المجيء أيضاً؟"

"بالطبع. إن هذه الغابة مفتوحة لعامة الشعب".

في الداخل، كان المحامون يحومون خارج القضبان في حين كان عشرة أو أكثر من الحضور يشاهدونهم. قاد كلاين مارك نحو أحد المقاعد في الصفّ الأمامي، وأخرج بعض الأوراق من حقيبته القديمة. "هذا عقدٌ للخدمات القانونية بيني وبينك". قال وهو يشير إلى الأوراق. ودوّن مبلغ ألف دولار. "وهو أيضاً سندٌ إذنيّ لتدفع المبلغ المتبقي. اطلع عليه، ودوّن عليه اسمك وعنوانك، ووقع في الأسفل".

أمسك مارك بقلمه وكتب اسم جوردون تانر وعنوانه القديم. كان هو وتود يتصرفان بالاعتماد على أن أحداً لن يتعرّف إلى اسم جوردي من الأخبار التي تغطي عملية الانتحار. وقد شكّا أن يكون أحد العاملين في المحكمة قد رفع اسم جوردي من جدول دعاوى مخالقات القيادة تحت تأثير الكحول. في حال حصل ذلك، وفي حال تمت مُساءلة مارك، فقد خطّطاً للتهرب بسهولة. أو الركض هرباً. قرأ مارك العقد وحاول أن يتذكّره قدر الإمكان. سلّمه إياه مُجدّداً وسأل قائلاً: "هل تقوم بالكثير من هذا؟".

"كلّ الوقت". قال كلاين بتعجرف، وكأنه مُحام رفيع المستوى.

قال تود: "كان أخي يُشارك في لعبة قذف أغطية زجاجات البيرة وأتهموه بالاعتداء. هل يُمكنك التعامل مع هذه الأقوال؟".

"بالطبع".

"هل هذا سهلٌ أم فيه خطورة؟".

"سهل كما أظن".

"وكم ستقاضى منا؟".

"ألف دولار إن كانت هنالك حجة. أما في حال ذهب إلى المحكمة فسيكون المبلغ أكبر بكثير".

"هل يمكنك إبقاؤه خارج السجن؟".

"بالطبع، لا مشكلة. إن كان سيعترف بإحداثه لبعض الشغب، سيخرج. ولاحقاً سأتمكن من شطب اسمه، وسأقتاضي مقابل ذلك ألف دولارٍ أخرى. هذا فقط في حال لم يكن هنالك همٌ أخرى في سجله".

"شكراً لك، سأعلمه بذلك".

في تمام الساعة 1.00، جلس القاضي كانتو تحت قوس المحكمة فوقف الجميع. وبدأ صفّ المُتهمين يتشكّل في حين كان موظف المحكمة ينادي على مُتهمي القيادة تحت تأثير الكحول ليدخلوا واحداً تلو الآخر عبر البوابة. نصفهم تقريباً فقط من كان برفقة محام. وكان يتمّ سؤال كلّ منهم ما إذا كان مُذنباً أم لا. أولئك الذين يعترفون بأنهم مُذنبون كانوا يُسلمون بعض الأوراق من قبل المُدعي العام، ويُطلب منهم الجلوس في إحدى الزوايا ملء الفراغات في الأوراق. أما أولئك الذين يُدلون بأنهم أبرياء يُخصّص لهم موعد مُراجعةٍ أخرى للمحكمة في شهر شباط. راقب كلّ من مارك وتود أدقّ حركةٍ وأنصتا لكلّ كلمة. فهما سيعملان في هذا المجال قريباً جداً.

عندما ذكر اسم جوردون تانر، قال كلاين: "اخلع قبعتك". تقدم كلاين مارك نحو منصّة القاضي ونظر عالياً نحو القاضي. قال القاضي كانتو: "مرحباً أيها السيّد كلاين". كانا قد شاهداه يعمل مُدّة عشرين دقيقة وكان رجلاً مُسنّاً لطيفاً أشبه بسانتا كلوز بابتسامةٍ تعلق وجهه وهو ينطق بكلماتٍ لطيفةٍ لجميع من مثل أمامه. وبالرغم من أن محكمة المُخالفات المرورية كانت ضمن أدنى درجات ترتيب المحاكم، فقد بدا أنه يستمتع بعمله.

سأل القاضي كانتو: "هل هذه مُخالفتك الأولى؟".

"نعم سيدي". أجاب مارك.

قال لـ مارك وهو ينظر إليه بلطف: "أنا مُتأسّف". شعر مارك بغصّة، فقد توقع أن يتنطح أحد مساعدي النائب العام ويقول: "مهلاً أعتقد أن جوردون تانر قد رمى بنفسه من أعلى الجسر". لكن لم يحدث أي من الأشياء التي فكر فيها.

قال القاضي كانتو: "هل يُمكنني رؤية رخصة القيادة خاصّتك يا سيّد

تانر؟".

ارتبك مارك وقال: "حسناً، حضرة القاضي، لقد أضعتُ محفظتي وبطاقات
اتماني وكلّ شيء".

"حسناً، لن تحتاج إلى رخصة قيادتك. أفترض أنك ستدعي أنك بريء".

قال كلاين على عجل: "هذا صحيح يا حضرة القاضي".

كتب القاضي بعض الأشياء على الأوراق وقال: "حسناً، تاريخ محكمتك
هو 14 شباط. لا بدّ أنه سيكون عيد حبّ سعيد". ابتسم وكأنه قال شيئاً
فكاهياً.

أخذ كلاين بعض الأوراق من أحد موظفي المحكمة وقال: "شكراً لك
حضرة القاضي. نراك لاحقاً".

مشيا بعيداً عن المنصّة، وحين كانا على وشك الخروج من قاعة المحكمة
همس مارك لمحاميه: "قل لي، هل من مشكلةٍ لو بقينا لمشاهدة بعض الأمور؟".
"إن كنت تشعر بالملل إلى هذا الحد، بالطبع لا مشكلة".

جلسا في الصفّ الخلفي في حين غادر كلاين. همس تود قائلاً: "حسناً،
هكذا تتعامل مع مخالفة القيادة تحت تأثير الكحول. لا شيء خطير".

كان المحامون الآخرون يدخلون ويخرجون في حين وصل المزيد من
التهمين. وبعد مضيّ عشر دقائق عاد كلاين برفقة موكّلٍ آخر، واحدٌ استطاع
الاحتيال عليه في الردهة بلا شك.

بقيا لساعة يشاهدان ما يجري قبل أن يغادرا. اعتماداً على بطاقة أعمال
كلاين، يقع مكتبه في شارع E، أي ليس ببعيدٍ عن محكمة المقاطعة. مشيا مسافة
ثلاثة تقاطعات ووجدوا العنوان. كان مبنى مؤلفاً من أربعة طوابق ومن الواضح
أنه يعجّ بالمحاميين. كان هنالك لوحة عند الباب الأماميّ دوّن عليها أسماء
عشراتٍ من مكاتب المحاماة الصغيرة والعديد من المحامين الذين يعملون بشكل
فردّي. ومن الواضح أن كلاين كان يعمل مُنفرداً. في حين كان مارك ينتظر في
الخارج، دخل تود إلى قاعة انتظار ضيّقة حيث كانت هنالك امرأةٌ مُنهمكة في
عملها خلف مكتبٍ ضخم. رحّبت به دون أيّة ابتسامة. "كيف يمكنني
مساعدتك؟".

قال تود، وهو ينظر في الأرجاء: "أبحث عن مُحام اسمه بريستون كلاين".
وعلى حافة مكتبها كان هنالك صفّ من الفواصل بأسماء مجموعةٍ من المحامين.
وكانت الرسائل والخطابات مُكدّسةً بأناقةٍ بجانب كلِّ اسم.
سألته: "هل أنت مُوكّل؟".

"ربما. لقد أرسلني شخصٌ إليه، وأخبرني أنه مُحامٍ بارع".
"حسناً، إنه في المحكمة. أستطيع أخذ اسمك ورقم هاتفك وسُيعاود الاتصال
بك لاحقاً".

"هل مكتبه هنا؟".

"نعم، في الطابق الثاني. لماذا تسأل؟".

"حسناً، هل لي أن أقابل شريكه أو مُساعده القانوني؟ أحتاج التحدّث مع
أحد".

"إنه يعمل لوحده. وأنا سكرتيرته".

تردّد تود، ونظر حوله، ثم قال: "حسناً لذيّ رقم هاتفه وسأتصل به. شكراً
لك". وغادر حتى قبل أن تردّد عليه.

بينما كانا يتعدان قال تود: "كما اعتقدنا تماماً. الرجل يعمل منفرداً. وهو
يملك مكتباً في الطابق الثاني دون طاقم من الموظفين. تلك الفتاة أمام المكتب
تُجيب على الهاتف مقابل المال وتدعي أنّها سكرتيرته. إنه عملٌ وضيع حقاً".
قال مارك: "أحببت ذلك، الآن كل ما نحتاج إليه فتاة".

حضرت زولا إحدى المحاضرات يوم الاثنين، لكنها شعرت بالإجباط الشديد تجاه تفويتها للمحاضرات الباقية. كانت المحاضرة عن حقوق المُستئين، وهي إحدى تلك المواد الاختيارية العديمة الفائدة والمشهورة لدى طلاب السنة الثالثة الذين على وشك التخرج. كانت وجوردي قد سجلا فيها، وخططا لتبادل الحضور خلال المحاضرات، حيث يقومان بتبادل الملاحظات في النهاية ويكافآن إما بدرجات ممتازة أو جيدة جداً. لقد كان صفاً صغيراً، ويحوي حوالي العشرين طالباً، وحين بقي المقعد الذي على يمينها فارغاً لم تستطع إلا أن تُفكر بـ جوردي. كان من المفترض أن يكون جالساً هناك.

حين بدأ يتواعدان في شهر أيلول الماضي، كانا حذرين. كان جوردي طالباً محبوباً بشخصيته المنفتحة وجذب كثيراً من الانتباه. لم تكن زولا أول فتاةٍ لاحقها، لكنها قطعاً أول فتاةٍ سمراء البشرة أغرم بها. اعتقد أصدقاؤهما أنه كان على علاقة بحبيبة جدية في موطنه، فتاة تغار عليه وتأتي إلى العاصمة غالباً لتتجسس عليه. جوردي وزولا كانا حذرين، لكن أمرهما اكتُشف مع مرور الزمن. وانتشر الخبر.

بدأ المحاضر مُحاضرتَه بكلماتٍ حزينة عن مأساة السيد تانر، وتلقّت زولا بعض النظرات، ولم تستطع الانتظار حتى تُغادر المبنى، لكن ليس قبل أن تأخذ شيكها الذي تبلغ قيمته عشرة آلاف دولار. أودعته في حسابها البنكي، ثم حزمت أغراضها وانطلقت عبر المدينة. حين تحوّلت السماء إلى اللون الرمادي، التجأت إلى معرض اللوحات الوطني وأضاعت بعض الوقت.

خلال دوامها في كلية الحقوق، حاولت أن تجد أعمالاً جزئيةً لبضع ساعاتٍ هنا وهناك. وعاشت مُقتصدةً حتى أكثر من بقية أصدقائها الفقراء، وبما

أما لا تحتسي الكحول، نادراً ما كانت تذهب إلى الحفلات، واستخدمت وسائل النقل العامة، وأدّخرت المال. فالعشرون ألف دولار التي تقرضها إياها الحكومة سنوياً لتؤمن حياتها كانت أكثر من كافية، ومع بقاء فصل واحد لتخرجها كانت تملك ستة عشر ألف دولار في عدة حسابات توفيرٍ لم يعلم بشأنها أحدٌ سواها. مبلغ بنجس في العاصمة، ولكنه يساوي ثروة في السنغال. فإن تم ترحيلُ والديها وأخيها في نهاية المطاف، سيكون هذا المال حاسماً لنجاتهم. كانت الرشاوى أمراً شائعاً، وبالرغم من أنها كانت مُرتعدةً من فكرة السفر إلى السنغال، وأن تُحتجز أو تُحرم من العودة، كانت تعلم أنها ستضطر يوماً لنجدة عائلتها مالياً وذلك بقدر استطاعتها. لذلك أدّخرت المال، وحاولت ألا تُفكر بقروضها.

لم تتلقَ اتصالاً من والديها منذ حين. كان استخدام الهاتف محدوداً في مركز الاعتقال، وكان والدها متيقناً أنهم سيسمحون له بإعلامها قبل ترحيلهم، بالرغم من أنه بدا له أن القوانين في مركز الاعتقال كانت تتغير يوماً. في النهاية أقنعت نفسها أنهم لا يزالون في البلاد. وهذا ما جعلها تشعر ببعض السلام الداخلي، لم تعرف سببه، ربما لأنها قارنت وفاضلت بين العيش في معتقل فدرالي أو التشرّد في شوارع دكار.

لن يُسمح لهم مُجدداً بالعودة إلى حيّهم في نيوارك. وسيخلفهم في الأعمال الوضيعة التي ذاقوا الأمرين ليستطيعوا تأمينها لأنفسهم طيلة السنوات الست والعشرين الماضية عمال آخريين غير مسجلين. ستبقى هذه الدوامة مُستمرة لأن هذه الأعمال يجب أن تُنجز، والمواطنون الأمريكيّون لا يرغبون القيام بها.

في الوقت الذي كانت فيه غير مُشْتَاقَةٍ لجوردي ولا تلوم نفسها على ما حدث، كانت تشعر بالقلق تجاه عائلتها ومأزقها العقيم. وفي حال حاولت بشكلٍ من الأشكال أن تضع هاتين المأساتين جانباً، كانت ستقع أمام مواجهة الشكوك حيال مُستقبلها الخاص. في الوقت الذي انقضت فيه أيام كانون الثاني الموحشة والباردة، سقطت زولا في حالة ذعرٍ عميقةٍ وغامضة.

بعد مضي عشرة أيامٍ من العيش الفعليّ مع تود ومارك، كانت تحتاج إلى بعض الخصوصيّة؛ أن تبقى وحدها لفترة. كانا يتغيبان عن الحصر، وكانا مُصرّان على عدم العودة إلى الكليّة، وكانا يُراسلانهما من وقتٍ لآخر لِيُتابعَا أمور الكليّة، لكنهما بدوا مشغولينَ بأمرٍ أكثر أهميةً.

في وقتٍ متأخر من صباح يوم الثلاثاء، سمعت أصوات ضجيجٍ قادمة من الرواق، واستنتجت أن عائلة تانر كانت تأخذ بعض الصناديق المليئة بممتلكات جوردي. فكّرت في أن تُلقِي التحية وتقدّم تعازيها، لكنها لم تفعل. استغرق كلٌّ من السيّد تانر وشقيق جوردي حوالي الساعة من الزمن وهما يتحرّكان جيئةً وذهاباً نحو شاحنةٍ مُستأجرةٍ مَرَكونة في الشارع. حين رحلا، التقطت مفتاحاً إضافياً ودخلت شقة جوردي. لاحظت أنهما تركا الأثاث القديم الذي كان في المنزل، فجلست على الأريكة في الظلام، وأخذت تنشج. لقد نامت على هذه الأريكة مرتين في الوقت الذي وجب عليها أن تكون مستيقظة مفسحة المجال أمام جوردي للقيام بمغامراته الليلية المتهورة، وكانت في قرارة نفسها متيقنة أنّها مذبذبة.

يوم الأربعاء، ارتدت ملابسها استعداداً للذهاب إلى الكليّة، وكانت على وشك المغادرة حين اتصل والدها. كانوا في مركز الاعتقال ولم يبلغوا بميعاد ترحيلهم. لم يتغيّر شيء منذ زيارتها لهم. لقد حاول أن يبدو مُتفائلاً، الشيء الذي كان تحدّياً في ظل ظروفه. كانت زولا تُحاول أن تُحدّد مكان بعض الأقارب في السنغال لتُعلمهم وتطلب منهم المساعدة، لكنها لم تنجح حتى الآن. بعد ستّ وعشرين سنة من الانقطاع التام، لم يكن الترحيب بعودتهم أمراً مُحتملاً. وبما أن والديها لم يمتلكا أيّة فكرةٍ عن موعد ترحيلهما بالضبط، فإن ترتيب الأمور استعداداً لذلك بدا أمراً مُستحيلاً. وطبقاً لكلام والدها، فإن مُعظم أفراد عائلتهم كانوا قد هربوا من البلاد قبل بضع سنوات. وأولئك الذين لا يزالون في السنغال لديهم مشاكلهم الخاصّة ولن يتعاطفوا معهم.

تكلمنا لمدة عشرين دقيقة، وعندما انتهت المُكالمة انهارت مُجدّداً، في ظل هذه الظروف بدا الذهاب إلى الكليّة شيئاً تافهاً، لقد كانت هناك سعيّاً وراء

حلم ضائع لتصبح مُحامية، ولتُكافح من أجل حماية عائلتها والمُهجرين الآخرين. أما الآن كان ذلك سبباً مُحبطاً، مجرد حلمٍ مُحطّم.

كانت قد جمعت مجموعة كتب صغيرة حول الأدلة والإجراءات المُتعلّقة بالهجرة، وقضت ساعاتٍ طويلةً على الإنترنت وهي تقرأ المقالات والمُدونات الإلكترونية والمنشورات الحكوميّة. وكانت على اتصالٍ مع العديد من الجمعيات الحقوقية ومُحامي المساعدات القانونيّة.

استمرّت قضيةً واحدةً بإخافتها. دائرة الهجرة والجوازات، والأخطاء القاتلة التي ترتكبها بسبب شغفها العثي في الاستيلاء والترحيل. احتفظت بملفٍّ من القضايا التي حوِّسِر فيها مواطنون أمريكيون ضمن عمليّات مسح وتم تهجيرهم. كانت تعلم عن عشرات القصص التي تم فيها إعادة تسمية وتهجير مواطنين ذوي آباء غير مُسجّلين. وفي كلِّ قضيةٍ تقريباً، حدث فيها هذا الاستيلاء غير المشروع بعد أن تم احتجاز العائلة.

يوم الخميس، ارتدت أفضل ما لديها تحضيراً لمُقابلةٍ ستجريها في وزارة العدل. كانت مجموعة من المناصب الأوليّة متاحةً، لكنها تحت ضغط طلب كبير. شعرت بالحظّ فقط تجاه إجراء مُقابلة. المُرتب الذي يبلغ 48 ألف دولار لم يكن ضمن طموحاتها قبل ثلاث سنوات، لكن الأحلام الوردية بمرتبٍ أعلى كانت قد اختفت منذ زمن.

لقد استحدثت الحكومة الفدرالية برنامج إعفاء من سداد القروض من أجل الحاميين الشبان الذين سعوا للعمل في إدارات الدولة. ويستفيد من هذا البرنامج أولئك الطلاب الذين اختاروا العمل لدى أحد فروع الولاية أو الفروع المحليّة أو الحكومة الفدرالية، أو في مُنظمات غير ربحيّة مشروطة ومُعَيّنة، بحيث يسددون عشرة بالمئة من رواتبهم على مدى عشر سنوات وبذلك يعفون من بقية القرض. بالنسبة إلى العديد من الطلاب، وخاصةً أولئك الذين في كليّة فوجي بوتوم، كان البرنامج مغرياً، وخاصةً في ضوء سوق العمل الضعيفة في القطاع الخاص. لقد فضل معظم الطلاب العمل في الوكالات المُتصلة بالقانون، فيما تاق آخرون للتدريس في الكليّة أو الالتحاق بمهامٍ أخرى.

كانت المُقابلة ستجرى في مبنى مكاتب في جادة ويسكونسن، بعيداً عن وزارة العدل بجانب البيت الأبيض. وحين وصلت زولا، كانت غرفة الانتظار الصغيرة مُكتظَّةً بطلاب السنة الثالثة، والذين عرفت بعضهم من كَلِية فوغي بوتوم. أخذت رقماً، ووقفت حتى شغل أحد المقاعد لتجلس عليه، وكانت مُستسلمةً إلى حدّ كبير حين تمّ المناداة عليها باسمها. أجرى المُقابلة معها أحد أعرار وزارة العدل لمدةً خمس عشرة دقيقة ولم تستطع الانتظار حتى تغادر. وبما أن حياتها لم تكن مستقرة، وجدت السنوات العشر مُدَّةً طويلةً للالتزام بأي شيء.

مكتبة

t.me/ktabpdf

كان العشاء يوم الجمعة في حانة روستر، وهو مكان لم تكن زولا قد سمعت به من قبل. ووفقاً لما ذكره تود، فقد أراد هو ومارك تدليلها بدعوتهما لتناول وجبةٍ لذيذة. ومن النظرة الأولى للمكان، شعرت أن هنالك خطباً ما. كانا ينتظرانها في مقعدٍ يقبع في زاوية الحانة، وكل منهما يرتدي بذلة جديدة، وغير حليقي الذقن، وكل منهما يضع نظارة جديدة وغريبة. نظارة مارك كانت دائرية الإطار. أما تود ففضل وضع واحدةٍ ضيقةٍ من دون إطار يحيط بالعدستين.

جلست قبالتها وسألتهما: "حسناً، ما الذي يجري؟".

رد تود عليها بسؤال: "هل ذهبتِ إلى الفصل هذا الأسبوع؟".

"لقد حاولت. على الأقل بذلت ما في وسعي. لم أركما في الأرجاء أيها الرفيقان".

قال مارك: "لقد انسحبنا، ونحن ننصح بذلك بشدة".

قال تود: "الأمر مُريحٌ جداً يا زولا. لا مزيد من الذهاب إلى كلية الحقوق.

لا مزيد من القلق حيال امتحان القبول".

سألتهما: "من أين حصلتما على هذه البذلات؟".

أتت نادلةٌ وسجلت طلباتهم. جعة من أجلهما، ومشروبٌ غازيٌّ من

أجلها.

قال مارك: "إنه مظهرنا الجديد يا زولا، نحن مُحاميان الآن وعلينا أن نبدو

مظهر لائق، ثم إنه وفي مكانتنا هذه، لا يمكننا أن نبدو عصريي المظهر جداً. فإن

محاميٌ مُخالفات القيادة تحت تأثير الكحول وكما تعلمين، نادراً ما يُقلدون

موضة مجلّة جي كيو".

"أنا أرى ذلك. ومن هو ذاك البائس كفايةً لِيُوظَّفكمَا؟".

قال تود: "لقد بدأنا عملنا الخاص".

"لقد وظَّفنا أنفسنا. مكتب أبشو، باركر ولاين للاستشارات القانونيّة".

أعطاهما بطاقة عملٍ جديدةً كُتِبَ عليها اسم المكتب والعنوان وأرقام الهاتف.

نظرت إليها، وتفحصتها ثم قالت: "أنتما تمزحان صحيح؟".

قال مارك: "بل جادّان للغاية وباب التوظيف مفتوح".

أخذت نفساً عميقاً، ورفعت كفيها ببطء أمام وجهيهما ثم قالت: "حسناً.

لن أسأل أيّ أسئلةٍ أخرى. أخبراني ما الذي يجري، أو سأعادر حالاً".

قال تود: "لن تذهبني إلى أي مكان. لقد انتقلنا من شقتينا، وتركنا

الكلّية، وغيرنا أسماءنا، ووجدنا طريقةً لنحني بعض المال. سنجعل من أنفسنا

محامين، وسنجوب المحاكم الجنائيّة بحثاً عن العمل، نقدّاً طبعاً، وستمنى ألا يتم

الإمساك بنا".

قال مارك: "لن يُمسك بنا، أمثالنا كثير".

قالت زولا: "لكنهم جميعاً يمتلكون رخصة لفعل ذلك".

"وكيف تعلمين هذا؟ لم يتحقّق أحدٌ من ذلك يوماً. ولا يمتلك المُوكّلون

أيّ دليلٍ على ذلك. يكونون خائفين من الموت ومُرتبكين بكل الأحوال. ولم

يخطر في بال أحدهم أن يسأل. تماماً كما لم نسأل داريل كروملي عن ذلك في

مركز الشرطة".

فقالت: "ولكن ما تقومان به يشكل خرقاً للقانون، صحيح أنني لم أتعلّم

الكثير في كليّة فوغني بوتوم، لكنني أعلم أن مُزاولة المُحاماة دون رخصة هو أمرٌ

غير قانوني".

قال مارك: "سيكون الأمر غير قانوني عندما يمسك بنا".

أضاف تود: "بالطبع، هناك مُخاطرة، لكنها ليست ملحوظة إلى هذه

الدرجة. في حال حدث شيءٌ خاطئ، سنحتفي مُجدّداً ببساطة".

قال مارك: "ونظنّ أنه يُمكننا أن نجني بعض الأموال، المعفاة من الضرائب

بالطبع".

"أنتما مجنونان".

"كلا، بل نحن ذكيان جداً في الواقع. نحن مُتخفيان وبالوقت نفسه على مرأى من الجميع يا زولا. هاربان من مالك المبنى، ومن خدمات القروض الطلابية، ومن كل شخص يسعى وراءنا. وسنجني المال الحلال".

"وماذا عن ديونكما؟".

أخذ مارك رشفةً من الجعة، ومسح فمه، وانحنى ليقرب أكثر منها. "اسمعي ما سيحدث. ستكتشف الكليّة يوماً ما أننا غادرنا، لكنها لن تفعل شيئاً حيال ذلك. معظم كليات الحقوق المرموقة تخطر وزارة التعليم ومن ثم تتفاوض حول مقدار الرسوم الدراسية التي ستُستردّ من أجل الفصل. يمكنك التأكد أن فوغي بوتوم لن ترغب في ردّ شيء، حسناً ستكتم على فكرة مُغادرتنا وستحتفظ بكلّ المال. سنقوم بتسجيل الدخول عبر الإيميلات التي تحوي خدماتنا، وسنوهمهم بأننا موجودان في الصفّ. سيكون التخرّج في شهر أيار، وكما تعلمين، سيكون علينا الموافقة على خطةٍ لسداد الديون والتي تبدأ بعد ستة أشهر. وبما أننا لن ندفع شيئاً، سيسجلوننا كغائبين وأنا مُتخلفان عن سداد الديون".

أضاف تود: "هل تعلمين أنه وفي السنة الماضية سُجل مليون طالب كمتخلفين عن السداد؟"

أكمل مارك: "حسناً لدينا بعض الوقت، تقريباً تسعة أو عشرة أشهر قبل أن يعلنونا متخلفين عن الدفع. وحتى ذلك الحين، سنستغلّ الفرصة بمكتبنا هذا وسنجني أموالاً كثيرة".

قالت: "لكن التخلف عن سداد الديون، قضية خاسرة لن تتمكننا من الدفاع عن نفسيكما".

قال تود: "فقط في حال وجدونا".

"لن نجدونا لأننا نملك أسماءً مختلفة، وعناوين مختلفة. سيحولوننا إلى أحد مكاتب المحاماة النافهة، والذي يملكه هيندز راكلي بلا شك، وسيقومون برفع دعوى".

"لكن ستوضع علامة على اسمك في المصارف".
"هذا ما سيحصل أصلاً عندما لن تتمكن من سداد الدين. حتى وإن وجدنا
عملاً شريفاً، لن نجد أيّ طريقةٍ لسداد ما نحن مدينان به".
ظهر النادل وطلب منه مارك طبقاً من الناتشو.
وحين غادر قالت: "هذا كثيرٌ لعشاء خفيف".
قال تود وهو يتسّم: "نحن من سيدفع، هذا على حساب المكتب".
لا تزال زولا تُمسك ببطاقة العمل. نظرت إليها وسألت قائلةً: "ومن أين
أتت هذه الأسماء؟".

أجاب مارك: "من دليل الهاتف. أسماءٌ شائعة. أنا مارك أبشو ولديّ
وثائق تثبت ذلك. وهو تود لاين، مُجرّد مُحامٍ تقليديّ آخرٍ يجوب
الشوارع".
"ومن هو باركر؟".

قال تود: "أنتِ، زولا باركر. نحن نعتقد أن مكتبنا الصغير هذا يحتاج بعض
التنوع، لذلك قمنا بإضافتك كشريكٍ مُتوسط. جميعنا متساوون، هل تفهمين.
ثلاثة شركاء مُتساوون".

قالت: "ثلاثة مُحتملين متساوون، أنا مُتأسفة، لكن هذا يُعدّ
جنوناً".

"إنه كذلك. والأكثر جنوناً هو إنهاء الأمور في فوجي بوتوم، والتخرّج في
شهر أيار من دون إيجاد عمل، والسعي لتقدّم امتحان القبول. واجهي الأمر
يا زولا، لستِ مُستعدّة نفسياً لمواجهة هذا. ولا نحن كذلك، لذلك اتخذنا قرارنا
مُسبقاً".

قالت زولا: "لكننا على وشك التخرّج".
قال مارك: "وماذا يعني أن تتخرّجي بمعدّلٍ منخفض، مُجرّد ورقةٍ مُحاملةٍ
أخرى من شهادات الدبلوم التي تحت يد هيندز راكلي. لقد كنا مخدوعين
يا زولا. كان جوردي محقاً، لا يمكنك توقّع حدوث مُعجزة، على الأقل نحن
نقاوم ذلك".

"أنتما لا تقاومان شيئاً. أنتما فقط تعبان مع دافعي الضرائب".

قال تود: "الكونغرس ووزارة التعليم هما من يضرا دافعي الضرائب، بالإضافة إلى راكلي الذي صنع ثروته من أموالنا".

"لكننا اخترنا أن نقترض المال. لم يُجبرنا أحدٌ على فعل ذلك".

قال مارك: "هذا صحيح، لكنهم أقرضونا المال تحت غطاء من الادعاءات الكاذبة. حين بدأت في كلية الحقوق، هل كنت تُصدِّق حقاً أنك يوماً ما ستكونين جالسةً هنا وفوق رأسك جبلٌ من الديون وأنت لا تمتلكين عملاً؟ بالطبع لا. الصورة التي طبعوها في أذهاننا حينها كانت أكثر تفاؤلاً. خذوا المال، احصلوا على المُعدّلات الجيدة، انجحوا في امتحان القبول، ثم انطلقوا للعمل في وظائف كبيرة والتي ستجعلكم قادرين على سداد الديون بسهولة".

جلب النادل دفعة جديدة من الشراب. انقطع الحديث لبرهة عندما كانوا يشربون ويحدقون إلى الطاولة.

بصوتٍ خافت قالت: "يبدو الأمر في غاية الخطورة".

هزّ كل من مارك وتود رأسيهما مُوافقين على ما قالت. قال مارك: "نعم هناك بعض الخطر، لكننا لا نفكر بالخطر حتى لا تتضخم صورته وتعيق إقدامنا. المخاطرة الأولى هو أن يتم الإمساك بنا ونحن نزاول الحمامة دون رخصة، لكن الأمر ليس بالخطير كل ما سيحصل عقوبة خفيفة، وغرامة صغيرة، ثم يطلقون سراحناً".

أضاف تود: "لقد درسنا الأمر، مُزاولة الحمامة من دون ترخيص ليس بالأمر النادر. هذا الأمر يحدث عادةً، وبالنسبة لا أحد يدخل السجن".

"وهل من المُفترض أن يجعل هذا الشيء الأمر مُريحاً؟".

"أفترض ذلك. انظري يا زولا، تقضي خطتنا أنه في حال الاشتباه بنا أو الإبلاغ عنا أو تعرضنا للمساءلة من قبل مجلس رابطة المحامين سنختفي ببساطة".

"وهل هذا مُريحٌ أيضاً؟".

تجاهلها مارك وقال: "المخاطرة الثانية هي أن نتخلف عن سداد ديوننا، وهذا فحسب سيُفسد حياتنا الفاسدة مُسبقاً".

وصلت الناشو وأخذ كلّ منهم قضيعة. وبعد القضيعة الثانية، مسحت زولا عينيها بمندليلٍ ورقيٍّ واستنتجا أنّها كانت تبكي. قالت: "انظرا يا رفاق، لا يمكنني البقاء في شقتي. في كل مرة أنظر فيها إلى باب شقة جوردي أكاد أنهار مُجدّداً. لقد نقل أفراد عائلته أغراضه يوم الثلاثاء، وكنت أستمرّ في الذهاب إلى شقته والجلوس في الظلام. أحتاج إلى الابتعاد عن هذا المكان، إلى أيّ مكانٍ آخر".

هزّ رأسيهما، وتوقفا عن الأكل، وأخذا رشفةً من كأسيهما. "ويوجد شيءٌ آخر أيضاً". قالت، وأخذت نفساً عميقاً، ومسحت عينيها مُجدّداً، وقصّت عليهما قصةً طالبة ثانوية من تكساس، والتي سحبت من غرفتها في السكن الجامعي في منتصف الليل من قِبل عملاء دائرة الهجرة والجوازات. لقد تم إرسالها إلى السلفادور، حيث جُمع شملها مع أفراد عائلتها غير المُسجّلين والذين رحلوا قبل شهر من ذلك. تكمن المشكلة في أن الفتاة وُلدت في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان لديها كامل الحقّ في المواطنة. ولا تزال مُناشداًها ومُستنداها قابعة عميقاً في مكانٍ ما من النظام البيروقراطي.

أخبرتهما زولا أنّها وجدت عشرات القضايا التي تم فيها القبض على مواطنين عبر مُدهمات دائرة الهجرة والجوازات وترحيلهم، وكلّ عمليّة اعتقال من بينها حدثت بعد حجز بقية أفراد العائلة. كانت تعيش في حالة رعب، وكان الوضع موهناً بالنسبة إليها.

أنصت كلّ من مارك وتود إليها بتعاطف. وحين انتهت، وتوقفت عن البكاء، قال مارك: "حسناً، لقد وجدنا مكاناً عظيماً للاختباء، ويوجد لك حيزٌ فيه".

سألته: "أين؟".

"في الطابق العلوي. نحن نتشارك مستودعاً في الطابق الرابع، وأودّ أن أضيف أنه لا وجود للمصاعد، ويوجد غرفتان تحتنا تماماً. يقول ماينارد أنه يمكننا

الحصول عليهما لقاء إيجار معقول".

"من هو ماينارد؟".

قال تود: "مدير هذه الحانة ومالكها ومالك المبنى أيضاً".

قال مارك: "ليست جيدة جداً، لكنك ستحظين بالخصوصية أو بجزء منها".

"لن أشارك معكم الغرفة يا رفاق".

"كلا، الأمر ليس كذلك أبداً. سنكون نحن في الطابق الرابع وأنت ستكونين في الطابق الثالث".

"وهل تحوي الغرفة مطبخاً؟".

"كلا في الواقع، لكنك لن تحتاجي للطبخ على أي حال".

"وماذا عن الحمام؟".

قال تود: "هنا تكمن المشكلة، الحمام الوحيد الموجود يقع في الطابق الرابع، لكن يمكننا تدبّر الأمر. الوضع ليس مثالياً يا زولا، فنحن جميعاً نكافح هنا. يجب أن نصمد لبضعة أشهر لنرى كيف ستسير الأمور".

قال مارك: "إنه المكان الأمثل للاختباء، فكّري كيف اختبأت آن فرانك من النازيين، ليس الأمر بتلك القسوة أتفهمين؟".

"وهل يفترض بي أن أشعر بتحسّن؟".

"أظن أنه يمكنني إيجاد تشبيه أفضل".

سألت: "وماذا عن ماينارد؟ ما مقدار معرفته بالأمور؟".

قال تود: "لقد عملت لدى ماينارد لثلاث سنوات وهو شخص لطيف. إنه وكيل مرهانات كبير، وهو لا يملك أدنى فكرة عن ماهية مكاتب الاستشارات القانونية. يعتقد أننا لا نزال ندرس في الكلية، لكن الأمر لا يهّمه فعلياً. نحن نتفاوض معه، وسنعرض عليه أن نعمل في الحانة لساعات بدلاً من دفع الإيجار، وسيوافق على ذلك".

قالت: "لا يمكنني بالفعل تصوّر نفسي وأنا أصطاد قضايا مُخالفات القيادة تحت تأثير الكحول وأحتال على أصحابها مثل كروملي ذاك".

قال مارك: "بالطبع لا يا زولا. حتى الآن، ومن خلال ما لاحظناه، فإن جميع المحتالين رجال، ومُعظمهم ذوو بشرة بيضاء. لن يُلائمك ذلك، لأنك تميلين إلى لفت الانتباه".

"إذا ما هو تخصصي؟".

قال تود: "مُساعدة في مكتب".

"لا يُعجبني تصوّر ذلك. أين يقع المكتب؟"

"في غرفة معيشتك. إنه المقرّ الجديد لأبشو وباركر ولاين. UPL. لمزاولة المُحاماة من دون ترخيص".
"هذا ذكي".

"لقد فكّرنا في ذلك. نحن نرى موهبتك في مجال قانون الإصابات الشخصية، وكما نعلم، فهي موجودة بسبب ثقافتنا القانونية الرائعة، لا تزال أكثر المجالات ربحاً في قانون الشارع".

استلم مارك وكأنه شخصٌ مُتمرسٌ زمام الحديث وقال: "نحن نرى أن تجوبي أقسام الطوارئ في المستشفيات، وتصيدين المُدّعين الجرحى. في هذه المدينة، مُعظمهم سُمّر البشرة ويمكن أن يربطكم شيءٌ مشترك. سوف يصدّقونك وسيريدون توكيلك".

"لا أعلم شيئاً عن قانون الإصابات الشخصية".

"بل بالطبع تعلمين. لقد رأيت آلاف الإعلانات على التلفاز، جميع أولئك الوسطاء يتوسّلون من أجل إحداث قضايا. هم ليسوا أكثر براعة منك".

"شكراً لك".

أضاف تود: "كل ما أنت بحاجة إليه حصول حادث بين سيارتين، وعندها تتدخلين وتسعين وراء جني المال. لقد التقيت بمُحامٍ في حانة أولد ريد كات والذي كان يتضوّر جوعاً حتى تزحلق على بقعة من الجليد وسقط، وحين كان طريح الفراش في المستشفى، قاموا بإدخال شابٍ آخر إلى غرفته، والذي كان قد تعرّض لضربةٍ قويّةٍ إثر حادث درّاجة ناريّة. بعد سنةٍ

من ذلك سوى المحامي قضية حادّة الدرّاجة النارية مُقابل مليون دولار تقريباً وحصل على ثلث المبلغ".

قالت: "هل الأمر بهذه البساطة".

"نعم، وسيكون هنالك أناسٌ جرحى دوماً، وسينقلونهم إلى المستشفيات دائماً. حيث ستكونين أنتِ في انتظارهم".

قال مارك: "سينجح الأمر يا زولا، لأننا سنجعله ينجح، ثلاثتنا فقط، الجميع للفرد، والفرد للجميع. شركاءٌ مُتساوون حتى النهاية".

"وما هي النهاية يا رفاق؟ ما هي نهاية لعبتكما؟".

قال تود: "النجاة، سننجو عن طريق الاختباء والتظاهر بأننا أناسٌ آخرون. سنحوب الشوارع، لأنه لا مجال للتراجع".

"وإن افتضح أمرنا".

أخذ كلٌّ من مارك وتود رشفةً وفكرًا في إجابة. أخيراً، قال مارك: "في حال افتضح أمرنا، سنبتعد ببساطةٍ مُجدّداً. سنختفي".

قالت: "يعني سنقضي حياتنا هارين".

قال تود: "نحن هاربون الآن، قد لا تودين الاعتراف بذلك، لكن هذا ما نقوم به. نحن نعيش حياةً غير مُستقرّة، لذلك لا نملك خياراً سوى الهرب".

طقطق مارك أصابعه وقال: "هذا هو العرض يا زولا. نحن في هذا الأمر سويةً، أصدقاءٌ مُقربون وأوفياء حتى النهاية. علينا أن نتفق أنه في حال افتضح أمرنا يجب أن نختفي معاً".

"لنذهب إلى أين؟".

"سنفكر في ذلك حينها لا داعي للقلق منذ الآن".

سألتهما: "ماذا عن عائلتيكما؟ هل أخبرتكماهم؟". تردّداً في البوح، واستنتجت الإجابة من صمتهما. قال مارك: "كلا، لم أخبر والدتي، لأن لديها ما يكفيها من المشاكل الآن. تظن أنني لا أزال في الكلية وأتطلع قدماً للتخرّج والاصطفاف في الطابور من أجل عملٍ لائق. أفترض أنني سأنتظر لمدة شهرين، ثم سأكذب عليها وأخبرها بأنني سأسحب من هذا الفصل. لا أعلم. سأفكر

في شيء لأقوله".

"وماذا عنك؟" سألت تود.

أجابها: "ذات الشيء، لا أملك الجرأة في هذه اللحظة لإخبار والدي. لست متأكدًا أي جزء من الحقيقة هو الأكثر سوءًا. من جهة، لدي ديونٌ قدرها مئتا ألف دولار وأنا لا أملك عملاً. ومن جهةٍ أخرى، لقد انسحبت من الكلية وقررت جني المال نقداً عن طريق ملاحقة قضايا المخالفات تحت تأثير الكحول وهويّة مزورة. سأنتظر، مثل مارك، وسأفكر بشيء لاحقاً".

"وماذا في حال فشل المخطّط ووقعت في المشاكل؟"

أجابها مارك: "لن يحدث ذلك يا زولا".

"أودّ تصديقك لكنني لست متأكدة أنك تعلم عما تحدث".

قال تود: "لسنا متأكدين، لكننا اتخذنا قرارنا، ولا مجال للتراجع. السؤال هو هل أنتِ معنا أم لا".

"أتما تطلبان الكثير. تتوقعان مني التخلي عن ثلاث سنواتٍ في كلية الحقوق".

قال مارك: "بالله عليك يا زولا، ما الذي استفدت منه في كلية الحقوق؟ لا شيء، باستثناء إفساد حياتك. ونحن نعرض عليك طريقة للخروج من ذلك. قد لا تكون أفضل طريقة، لكن وفي الوقت الحالي هذا كل ما نستطيع فعله".

أخذت قضمَةً من الناتشو، ونظرت حول الحانة. كانت مُكْتَظَّةً برجال يافعين في الثلاثينات والأربعينات من عمرهم، وجميعهم يجتسون المشروب، ويشاهدون مباريات كرة السلة والهوكي على شاشاتٍ كبيرة. كان هنالك بعض من النساء، لكن ليس الكثير منهنّ، ولم يكن هنالك طلابٌ تقريباً.

سألت قائلة: "وكلاكما تعملان هنا أيها الرفيقان؟".

قال تود: "نعم. وإن هذا مُسلّ أكثر من الجلوس في الصفّ والدراسة من أجل امتحان القبول".

"وما هي شروط هذه الشراكة؟"

قال مارك: "نحن نقوم بجمع مصادر أموالنا من أجل هذا الفصل. عشرة آلاف من كل واحد. وسيغطي ذلك ثمن: حواسيب جديدة وهواتف جديدة، وبعض التجهيزات المكتبية، وهويات جديدة، وبعض الملابس الأكثر أناقة من هذه".

سألها تود: "هل أنت معنا؟".
"اتركاني أفكر بالأمر حسناً؟ لا أزال أظنكما مجنونين؟".
"لا جدال في ذلك".

قبل نحو ثلاثين شهراً تقريباً، وحين سجّل مارك فرايزر اسمه ضمن آخر استمارة قروض فدرالية ورمى بنفسه بتهوّر في مستنقع القروض التعليمية، خصّصت له وزارة التعليم شخصاً مسؤولاً عن قروضه (وكيل قروض)، امرأة اسمها مورغانا ناش. عملت لدى ناو أسيسيت، شركة خاصّة في نيو جيرسي، كلفت من قبل وزارة التعليم لخدمة قروض الطلاب، واختيرت عشوائياً. لم يلتق بها مارك من قبل، ولم يمتلك سبباً لذلك. بصفته المقترض، كان مسموحاً له بإنشاء خطوط الاتصال وقد اختار التكلّم أقلّ ما يمكن، كمُعظم الطلاب. كان والسيدة يتواصلان فقط عن طريق الإيميلات. سألته مرّة فقط عن رقم هاتفه المحمول، لكن وبما أنه لم يكن مُطالباً بالإفصاح عنه، لم تحصل عليه. كانت ناو أسيسيت واحدة من بين العديد من شركات خدمات القروض، وجميعها كان من المقترض أن تُتابع عن كُتب من قبل وزارة التعليم. لم يكن لدى مارك أيّة شكاوى ضدّ السيدة ناش أو جهودها المبذولة حتى الآن. بعد ثلاثين شهراً من سماع تدمّر مجموعة من طلاب الحقوق، علم أن هنالك بعض الشركات ذات الخدمة السيئة.

بريدها الأخير، والذي تلقاه عبر حسابه القلم، ذكر فيه:

مرحباً مارك فرايزر: أنا واثقة من أن عطلتك انقضت على أفضل ما يرام، وأنك مُسرّع الآن نحو فصلك الدراسي الأخير من كلية الحقوق. تهانينا لوصولك إلى هذه المرحلة، وحظاً موفقاً خلال هذه الأشهر الأخيرة.

في تواصلنا الأخير خلال شهر تشرين الثاني، كنت مهتماً في ما يتعلق بالاستخدام لدى نيس سكيلتون، ولكنك لم تكن تعلم بشأن المرتب المعروض عليك، أمل أن تزودني بالمعلومات التي تتعلق بهذا الأمر. لأنه بالاستناد إلى مرتبك، أوّد البدء بهيكله خطّة السداد. كما تعلم، يفرض القانون التوقيع على خطّة للسداد قبل

التخرج، حيث يجب تحديد موعد بدء تسديد الدفعة الأولى من القرض بعد ستة أشهر من التخرج. أعلم أنك مشغول لكن أتمنى أن تطلعني على آخر المعلومات ما أن يتسنى لك ذلك".

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 266 ألف دولار.

مع أطيب التحيات، مورغانا ناش، ممثلة القطاع العام

انتظر مارك يومين، قبل أن يرد صبيحة يوم السبت:

عزيزتي السيدة ناش: شكراً لإخطارك، وسعدت جداً برسالتك. آمل أن تكويني بخير. الأمور تتجه نحو الهاوية هناك في نيس سكيلتون هذه الأيام. اندمج المكتب مع أحد المكاتب البريطانية ويبدو أنهم يعيدون النظر بكامل خططهم بما في ذلك تلك المتعلقة بي. في الواقع، ما من أحد يتحدث بشأني، ولدي انطباع بأن عرضهم لي ذهب أدراج الريح بسبب عملية الاندماج. الأمر مُقلق جداً. وأضيفي حقيقة أن أعزّ أصدقائي قد رمى بنفسه من أعلى جسر أرلينغتون التذكاري فوق نهر البوتوماك (تفقدني الرابط) الأسبوع الماضي، وحسناً، لم أفكر كثيراً فيما يخص كليات الحقوق.

أمهليتي بعض الوقت وسأعيد ترتيب أموري مُجدّداً. آخر شيءٍ أودّ الحديث عنه هو سداد الديون. أشكر تفهمك. صديقك، مارك.

كان تود عالماً مع مشروعٍ يدعى سكولار ساپورت بارتنيرز (شركاء دعم التعليم)، SSP. أو اختصاراً SS، كما كان يسميها تود والعديد من الطلاب الآخرين. مقرّها في فيلادلفيا ولديها سجل مزرٍ في التعامل مع القروض. هناك ثلاث دعاوى مرفوعة على الشركة عبر البلاد بسبب ممارساتها التعسفية في تحصيل الديون. وقد أقيم الدليل على الشركة بإضافتها رسوماً غير مُبرّرة إلى قروضها، وقد دفعت غرامات بالفعل. وبالرغم مما تقدم لا تزال وزارة التعليم متعاقدة معها.

مستشار تود شخص حذق يدعى ريكس واغنز، ولدى تود رغبة بضربه متى أتاحت له الفرصة.

آخر رسائله كانت:

عزيزي السيد لوسيرو: الآن وخلال هذه المرحلة الأخيرة التي أصبحت فيها على وشك التخرج، فقد حان الوقت للتحدث بشأن تسديد القرض، الأمر الذي أظن أنك لا تود مناقشته وذلك بالاستناد إلى تواصلنا الأخير حيث أعلمتني فيه أنك لم تجد بعد وظيفة مُجدية. أأمل أن تكون الظروف قد تغيرت، في الوقت الذي تصلك فيه رسالتي هذه. رجاءً أعلمني بآخر المُستجدّات فيما يخصّ جهودك الأخيرة للحصول على عمل. أخشى أني لن أتمكن من الموافقة على خطة سداد مستندة على رغبتك الواضحة في العمل ساقياً في الحانة. دعنا نتكلم، وكلما أسرعت في ذلك سيكون أفضل.

القسط الأخير المدفوع: 32.5 ألف دولار في 13 كانون الثاني 2014، إجمالي الدين والفائدة: 195 ألف دولار.

مع كامل الإخلاص، ريكس واغرن، كبير مُستشاري القروض

والتي ردّ عليها تود لاحقاً:

عزيزي واغرن كبير مُستشاري القروض: يُمكنني جني المال من العمل في الحانة أكثر مما تستطيع مُضايقة الطلاب. لقد قرأت عن شركتك وأسألها التعسفية والدعاوى المرفوعة عليها، لكنني لا أقهر بك أي انتهاك، حتى الآن. أنا لست مُتخلفاً عن الدفع، حتى أنني لم أخرج بعد. لذا، دعني وشأني. كلا، ليس لديّ فرصة عمل حقيقية، لأنه لا وجود لأيّ منها، على الأقل ليست متاحة لأولئك المُتخرّجين من كليات الحقوق المُتدنية المستوى مثل كلية فورغي بوتوم للحقوق، والتي بالمناسبة، كذبت علينا عملياً حينها عندما كنا نفكر في التوقيع على ذلك. يا رجل، هل كنا ساذجين.

أمهلي بعض الوقت وسأرى ما يمكنني فعله. تود لوسيرو.

أجابته واغرن:

عزيزي السيد لوسيرو، أودّ لو بإمكانك إبقاء الأمور إيجابية. لقد سبق وعملت مع العديد من الطلاب الذين كافحوا من أجل إيجاد فرصة عمل، لكنهم جميعاً وجدوها في نهاية المطاف. الأمر لا يتطلب إلا بعض النباهة وعدم السعي وراء راتب خيالي. إن العاصمة مليئة بمكاتب المحاماة العظيمة ووظائف حكومية ذات أجر جيّد. أنا واثق من أنك ستجد وظيفة مجزية. سأجاهل حقيقة أنك استخدمت ألفاظ "تعسف" و"دعني وشأني". إن جميع هذه المراسلات ستصبح متاحة علنية. لذا، أقترح أن نختار ألفاظنا بعناية. كنت أودّ لو ناقش ذلك عبر الهاتف، لكن وبالطبع ليس لديّ رقمك.

تحياتي، ريكس واغرن، كبير مُستشاري القروض.

عزيري واغتر كبير مُستشاري القروض: أعتذر إن كنت قد أسأت إليك. لست واثقا من أنك تُقدّر حجم الضغط الذي أتعرّض له في هذه المرحلة من حياتي. لا تسير الأمور وفقاً للمخطط، ولا أستطيع أن أرى النور في نهاية النفق. إني ألعن اليوم الذي قرّرت فيه الذهاب إلى كلية الحقوق، وخاصةً فوجي بوتوم تلك. هل تعلم أن ذاك الرجل من وول ستريت والذي يمتلك الكلية يجني منها 20 مليون دولار سنوياً؟ وهي فقط واحدة من بين ثماني كليات أخرى يمتلكها؟ هذا مُذهل. بالنظر إلى الوراء، كان ينبغي عليّ شراء كلية حقوقٍ لنفسي بدلاً من التسجيل في واحدة.

كلا، لا يمكنك الحصول على رقم هاتفي. بالنظر إلى الدعاوى القضائية العديدة ضدّ SS، فإن أسوأ عمليات الانتهاك كانت عبر الهاتف، حيث بالكاد يتم تسجيلها. دعنا نلقي الأمر عن طريق الإيميلات، حيث كل شيء موثق. أتمنى ألا يفسد ذلك للود قضية. تود لوسيرو.

قضوا طيلة يوم السبت وهم ينظّفون ويدهنون ويلقون بأكياس النفايات بعيداً. كان "جناح" زولا في الواقع عبارةً عن ثلاث غرف: واحدة من أجل السرير، وواحدة من أجل المعيشة/المكتب، وخزانة مُتعدّدة الاستعمالات. لقد ألقوا ماينارد بالسماح لهم بإزالة حائطيّ وإضافة باب. أحد أبناء عمّ ماينارد كان مُقاولاً غير مُرخص، والذي كان يقوم بأعمال حرّة من دون أن يزعم نفسه بالحصول على الروتينية، ولقاء ألف دولار قال إنه قد يتمكّن من استحداث حمّامٍ صغير وكرسيّ حمّام ومغسلة، ويغيّر الخزانة المُتعدّدة الاستعمالات إلى غرفة حمّام. شكّ كل من مارك وتود أن يناسب ذلك زولا، لكن لم يكن لديها خيارٌ آخر حقاً.

لم تقبل زولا بالانضمام إلى الشراكة، لكنهما كانا واثقين من أن موافقتها هي مسألة وقت لا أكثر.

كان الجوّ مُعتدلاً ومُشمساً، وكانت زولا بحاجةٍ إلى استنشاق بعض الهواء النقي. غادرت منزلها باكراً صباح السبت وقصدت نصب لينكولن التذكاري حيث جلست على الدرجات وراقبت السيّاح. مُحدّثةً إلى مبنى الكايبيتول،

فكرت بوالديها وأخيها الذين ينتظرون الترحيل. كان المشهد أمامها عظيماً ورائعاً، وفي كل مبنى وصرح رمزٌ للحرية اللامتناهية. أما المشهد أمام عائلتها إن كان لديهم مشهد أصلاً، فكان مليئاً بالأسلاك الشائكة. فكرت زولاً أنه بسبب التضحيات التي بذلتها عائلتها، نالت المواطنة من دون أن تبذل جهداً، لقد عمل والداها كالكلاب لتعيش العائلة في بلد فخورين به ويحلمون بالانتماء إليه وها هم يطردون منه كالكلاب أيضاً.

لم تفهم زولاً ما الفائدة التي ستعود على هذه الأمة من ترحيل عائلتها، لم تجد في ذلك منطقاً، لقد بدا لها الأمر محض ظلم.

حاولت عدم التفكير بجوردي. لقد تجاوزت مأساته، فالتفكير به لن يجدي نفعاً، فهما لن يحظيا بالمستقبل المشترك الذي حلما به، وكانت حمقاء لو فكرت بخلاف ذلك. لكنها لا تزال تفكر بالذنب اتجاه ما آل إليه مصيره.

توجهت إلى البركة، وحاولت تخيل كيف احتشد 250 ألف شخص عام 1963 واستمعوا إلى الحلم الذي تحدث عنه مارتن لوثر كينغ. لطالما قال والدها أن عظمة أميركا تكمن في قدرة أي كان في السعي وراء حلمه، وأن الحلم يمكن أن يصبح حقيقة واقعية من خلال الوعي والتضحية.

الآن أصبحت أحلامه كوايس. عند صرح واشنطن، وقفت في طابور طويل من أجل الصعود إلى القمة، لكنها سرعان ما شعرت بالملل وغادرت. كانت تحب متحف سميثسونيان وقضت بضع ساعات وهي غارقة في تاريخ أميركا.

في وقت متأخر من المساء، أرسلت تود رسالة نصية مقترحة "وجبة عشاء خفيفة أخرى". لكنها رفضت، قائلة إن لديها مخططات أخرى. قرأت رواية، وشاهدت فيلماً قديماً، وخلدت إلى النوم قرابة الحادية عشرة. اهتز المبنى الذي تقيم فيه بسبب الموسيقى الصاخبة والطلاب المشاكسين الداخلين والخارجين منه، وقرابة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تناهى إلى سمعها حديث حاولت تجاهله.

كانت تغط في نوم عميق عندما أخذ أحدهم يدق على الباب. بالنسبة إلى المهاجرين غير المسجلين، كانت طريقة التصرف في مثل هذه المواقف معروفة جيداً. أبقى ملابسك وخذائك بالقرب منك، برفقة هاتفك الجوال، ولا تفتح الباب، وتمنّ وصلّ ألا يكونوا عملاء دائرة الهجرة والجوازات.

أجفلت زولا وارتدت بنطالها الجينز. استمرّ الطرق على الباب وصرخ أحدهم، "افتحي الباب! قسم الهجرة!" اختبأت في غرفة المعيشة، وحدّقت نحو الباب بذعر، كان قلبها يخفق بشدة، وكانت تمسك بهاتفها النقال وعلى وشك أن تتصل بمارك بسرعة، وكأنه سيهرع الثانية بعد منتصف الليل لنجدتها. توقف الطرق. واختفت الأصوات، ولكنها ظلت تسمع وقع الخطوات. كانت تنتظر بتوتّر صوت تحطم الباب، لكن لم يكن هنالك سوى الهدوء. ثم ومن آخر الرواق صدر صوت ضحكات.

هل كانت حقاً دائرة الهجرة والجوازات، أم أن شخصاً سمجاً كان يمازحها؟ انتظرت وحاولت التحكّم بأنفاسها. بينما مضت الدقائق وقفت في الظلام، خائفةً من التحرك، كي لا تصدر صوتاً. كان من المحتمل أن عملاء الهجرة والجوازات قد يأتون من أجل بعض الأسئلة، لكن ليس في تلك الساعة المتأخّرة من الليل؟ ولكن لو كانوا هم من طرق الباب ما كانوا ليغادروا حين لم تفتح الباب.

بغضّ النظر عن هويّة الطارق، فقد حصل ما حصل. عادت زولا ببطء إلى غرفة نومها، ووضعت سترةً على نفسها وانتعلت حذاءها، وانتظرت قليلاً. وحين عم الهدوء، فتحت قفل باب شقتها، واختلست نظرةً عبر الممرّ يميناً وشمالاً، وعندما لم ترَ أحداً، أقفلت الباب خلفها. وباستخدام مفتاح جوردي الإضافي، دخلت شقتها، وأبقت الأنوار مُطفأة، وتمدّدت على فراشه العاري.

جافي الكرى عينيها، لن تقدر على العيش هكذا. إن كان صديقها مخبولين بما يكفي ليخوضا غمار حياة جديدة، فستأخذ فرصتها في ذلك معهما.

أرسلت مورغانا ناش:

عزيزي مارك: أرجو أن تتقبل مواساتي وأسفي لما حل بصديقك، وأفهم سبب انزعاجك. ومع ذلك دعنا نثبت التفاصيل المتعلقة بنيس سكيلتون ولنبدأ الحوار حول وضع جدول لسداد الديون. تعازي الحارة. مورغانا ناش، ممثلة القطاع العام.

صباح الأحد ردّ مارك:

عزيزتي السيدة ناش: شكراً جزيلاً لتعاطفك. هذا يعني لي الكثير. يبدو بالرغم من ذلك أنني طردت من نيس سكيلتون، طردت قبل أن أوظف أصلاً، والذي هو بالأمر الجيد لأنه مكان سيء، وأنا أحتقر الناس الذين يعملون هناك. لذا، يجب تدوين أنني عاطل عن العمل في الوقت الراهن، شأني شأن باقي زملاء صفي، ولأكون صريحاً، فأنا لا نية لدي الآن للبحث عن عمل. رجاء دعيني وشأني؟ مع حبي، مارك.

في الصباح الباكر، أتاه ردها.

عزيزي مارك: يؤسفني أنك بمزاج سيء. لكنني أقوم بعملتي، وعملي يتطلب مني مخاطبتك بمحديث يخص موضوع السداد. هناك العديد من فرص العمل الجيدة في العاصمة، وأعلم أنك ستجد فرصتك، فقط أبقني على اطلاع. مورغانا ناش، ممثلة القطاع العام.

أجابها مارك:

عزيزتي السيدة ناش: لا يوجد شيء لأطلعك عليه. لا شيء. إنني أعاني من مشاكل نفسية وطلب مني الطبيب تجاهلك. أنا متأسف.

انتظروا حتى وقت متأخر من صباح يوم الاثنين، حين أصبح المبنى فارغاً وكان الجيران في الصف، ثم نقلوا أغراض زولا في صناديق إلى جناحها الجديد في الطابق الثالث فوق حانة روستر. أفرغت ملابسها وأغراضها مُبتسمةً وبدت مسرورةً في مخبئتها الجديد. كان أمراً مؤقتاً فقط. كطفلة في نيوارك فقد عاشت أياماً أكثر سوءاً وهي بالكاد تهتم بالخصوصية. لم يمتلك تود ومارك أية فكرة عن مدى فقر عائلتها في تلك الأيام.

كان المَقاول - وبرفقة فريقه المؤلف من عمال سلوفاك لا يمتلكون أوراق إقامة بالطبع - مشغولاً بتحويل الخزانة المُتعددة الاستخدام إلى حمام، في الوقت الذي نزل فيه الشركاء إلى الشارع من أجل غداء متأخر. وأثناء تناولهم للسلطة والشاي المُثلج، تحدث تود عن القوانين التي سترعى عملهم؛ سيعيشون في عالم الدفع نقداً، حيث لا وجود لبطاقات الائتمان. لأن بطاقات الائتمان تترك أدلة خلفها. لقد أقنعوا ماينارد بمقايضة عملهم بالإيجار. سيعمل كل من مارك وتود خمساً وعشرين ساعة أسبوعياً في إدارة الحانة، ولن يتم الاحتفاظ بأية سجلات. سيقبل ماينارد بذلك عوضاً عن الإيجار. بما في ذلك بدل رسوم الماء والكهرباء والإنترنت، كما سيسمح لهم باستخدام عنوان المكان لتلقي البريد. لقد بدا أنه مُعجبٌ بفكرة الحصول على ثلاثة مُحامين ناشئين يُحْتَبون عملياً في مبناه، وبدا وكأنه لا يفهم الفرق بين مكتب الاستشارة القانونية ومكتب الحمامة. سأل ماينارد بعض الأسئلة.

من سخرية القدر أن حماسهم لتجنّب بطاقات الائتمان يقوم على حقيقة أنهم جميعاً مدينون إجمالاً بما يزيد عن 600 ألف دولار، لكن لم يكن هنالك مجالٌ للسخرية في تلك اللحظة.

سيشتريان رخصة قيادة مزيفة من أجل زولا كهويتها الشخصية الوحيدة. ومتى أصبحت زولا باركر، سيعطيها هاتفاً بشريحة جديدة، لكنهم سيحتفظون بهواتفهم القديمة ليكونوا على اتصال بالأشخاص الذين يتبعونهم. ستم مقاضاتهم من قبل مؤجرهم، لكن الدعاوى عديمة الفائدة، لأن كلاً من مارك فرايزر وتود لوسيرو وزولا مال لن يعود لهم وجود بعد الآن، وسيكون من الجلي أنهم غادروا المدينة. ثم أنه ولاحقاً، سيتم تسجيلهم في وضع التخلف عن السداد من قبل وكلاء قروضهم، لكن ذلك سيحدث بعد مرور عدة شهور. لا يمكنك عملياً مقاضاة أحدهم لم تتمكن من العثور عليه وتبليغه. سوف يتجنبون التواصل مع أصدقائهم القدامى لكنهم سيستمرون بتحديث صفحاتهم على الفيسبوك، بالرغم من أنهم سيصبحون أقل نشاطاً عليها. ولن يتصلوا بكلية فوجي بوتوم، وكانوا متأكدين أنه لن تتم ملاحظة غيابهم من قبل أي شخص في الإدارة.

في بعض الأحيان، بدت زولا مقتنعة بالمخطط. لقد كان الأمر ضرباً من الجنون ويتجه نحو نهاية سيئة، لكنها شعرت بالأمان، وكان الأمان شاغلها الأول، وكان شريكها واثق من كل الثقة من نجاحهما، وفي أسوأ الأحوال كانا ينظران إلى المستقبل بتفاؤل. عميقاً في قلبها، علمت أنهما لا يمتلكان أية فكرة عما كانا يفعلانه، لكن كان من الصعب تجاهل حماسهما الشديد. وبقدر ما كانت مُترددة، شعرت بالارتياح بسبب ولائهما.

ازداد مارك جديةً، وبدأ يتحدث عن حياتهم الخاصة. كان من المهم أن يتجنبوا الصداقات الجديدة والعلاقات الجادة. يجب ألا يعلم أحدٌ آخر بشأن خططهم. فقد كانت شراكتهم بحاجة إلى أن تُحاط بجدار متين لا يمكن خرقه.

قاطعته قائلةً: "هل تمارحني؟ لم يمضِ وقت على دفن حبيبي وتظني سبدء موعدة شخص آخر مُجدداً؟"

قال مارك: "بالطبع لا، أنا وتود عازبان الآن، ومن الأفضل أن نبقي جميعاً كذلك".

عقب تود: "هذا صحيح، وإن أردت الجنس فأنا ومارك متوفران دوماً، فقط لنبق الأمور سرية في الشراكة كما تعلمين".

قالت ضاحكة: "هذا لن يحدث، فحياتنا معقدة بما فيه الكفاية الآن".

قال تود: "بالطبع، فقط أبقى ذلك في ذهنك".

"أهذه هي أفضل جملة مُغازلةٍ لديك: لنبقِ الأمور سرّيةً في الشراكة؟"

"لا أدري. لم أستخدمها من قبل".

"حسناً، لا تستخدمها مُجدّداً. هذا لن ينجح".

"أنا أمزح يا زولا".

"كلا، لستَ تمزح. ما أخبر حبيبك شارون تلك التي كنت تواعدها

الفصل الماضي؟".

"أصبحت من الماضي الآن".

قال مارك: "دعونا نتفق على أن جميع العلاقات ستكون محظورة،

حسناً؟".

سألت: "ما التالي على القائمة؟".

قال مارك: "ليس لدينا قائمة".

"هل لديك أسئلة؟".

"إنها شكوكٌ أكثر من كونها أسئلة".

قال تود: "كلنا آذان صاغية، إنها لحظتنا المنتظرة، وساعة حظنا. فلنجعل

الأمور واضحة".

"حسناً، أنا أشكّ حقاً أنني سأقدر على تدبّر قضايا حالات الإصابات في

غرف الطوارئ في المستشفى. وأشكّ في أن أياً منكما يعلم كيف يقوم بذلك

أيضاً".

قال تود: "أنت على حقّ، لكن يمكننا تعلم ذلك. علينا أن نتعلّم. إنها مسألة

حياةٍ أو موت".

قال مارك: "أوه، كوني على طبيعتك يا زولا. فتاة سمراء جميلة برداء جميل،

ربما تنورةٌ قصيرة مع حذاءٍ عالي الكعب وأنيق. كنت لأوكلك فوراً في حال

أصيبت زوجتي في حادثٍ سيارة".

"ردائي الجميل الوحيد الموجود هو ذلك الذي ارتديته في الجنازة".

قال تود: "سندم خزانة ملابسك بكل ما تريدين يا زولا، لم نعد طلاب حقوق بعد الآن، بل أصبحنا مستشارين، وسنحظى جميعاً بملابس جديدة على حساب الشركة".

قالت: "إنه الأمر الواعد الوحيد الذي سمعته حتى الآن، دعونا نقول إننا حصلنا على بعض الموكلين وعلينا مقابلتهم في المكتب. فماذا يحدث حينها؟".

كان من الواضح أنهما قد فكرا في كل شيء. ودون تردد قال مارك: "سنخبرهم أن مكاتبنا قيد التجديد وأنا سنقابلهم في الأسفل في الحانة".

"حانة روستر؟".

قال تود: "بالطبع. نحتسي المشروعات في المكتب أثناء إنجاز الأوراق المطلوبة، سيحبون ذلك".

قال مارك: "أبقى هذا في ذهنك يا زولا، معظم موكلينا سيكونون من صغار المجرمين الذين يدفعون نقداً. سنقابلهم في المحكمة أو في السجن، وإن المكان الأخير الذي يريدون الذهاب إليه هو مكتب محاماة".

قال تود: "ولن نحضر مؤتمرات مع المحامين الآخرين. لا شيء من هذا".
"بالطبع لا".

قال مارك: "وإن حوصرنا في الزاوية، ستمكن دوماً من استئجار غرفة في مركز للأعمال لبضع ساعات. هناك واحد في الجوار".
"أظن أنكما قد فكرتما في كل شيء".

قال تود: "كلا يا زولا، لكننا سنجد مخرجاً، وسننجح، وسنقضي وقتاً ممتعاً على طول الطريق".

سألها مارك: "وماذا يقلقك أيضاً؟".

"حسناً، أشك أنني لم أستطع إخفاء الأمر عن روندا. فهي صديقتي المقربة، وتقلق بشأنني".

قال تود: "وهي أكثر فتاة ثرثارة في فصلنا، عليك إخفاء الأمر عنها".

"لن يكون الأمر سهلاً. أشكّ أنني أستطيع الانسحاب من كلية الحقوق من دون إعلامها".

سألها مارك: "هل تعلم بشأنك أنت وجوردي؟".

"بالطبع تعلم. لقد توّدد لها خلال سنتنا الأولى".

سألها تود: "ما الذي أخبرتها به؟".

"أرادت أن تتحدّث، فقابلتها لتناول شطيرةً الليلة الماضية. قلت إنني كنت أكافح حقاً وأنني أنتغيّب عن الحصة للوقت الحالي، وأنني قد أوّجل التخرج لفصل لأصلح الأمور مجدّداً. لم تتدخّل كثيراً، فقط أرادت التحدّث عن جوردي وأيامه الأخيرة. لم أقل الكثير. تظن أنني بحاجة إلى رؤية طبيب نفسي من أجل جلسات استشارة. أخبرتها أنني سأفكّر في الأمر. كانت لطيفةً حقاً، وكنت بحاجة إلى لطفها".

قال مارك: "عليك قطع صلتك بها يا زولا، كوني حازمة معها، لكن قومي بذلك بلطف. علينا تجنّب مجموعة طلاب كلية الحقوق. إن علم أحدهم أن ثلاثتنا نتغيّب عن فصلنا الأخير، قد تبدأ الكلية بملاحقتنا. هذا ليس بالأمر الخطير، غير أنها بالطبع ستقرّر إخطار وزارة التعليم بذلك".

"ظننت أننا لسنا قلقين بشأن القروض".

"صحيح، لكننا نحتاج تأخير أمر تسجيلنا كمتخلفين عن السداد قدر الإمكان. فإن اكتشف وكلاء قروضنا أننا انسحبنا، سيبدأون بالمطالبة بالسداد. وعندما لا يجدوننا، سيحوّلون الملفات إلى بعض المحامين الذين سيعيّنون مُحقّقين ليتحرّوا في الأمر. أفضل لو أخوض شجاراً لأتعامل مع الموضوع بدلاً من ذلك".

"أودّ أن أتفادى الموضوع بأكمله".

قال تود: "أوه، أظن أننا سنفعل".

سألت: "لكنكما لا تعرفان كيف، أليس كذلك؟".

تبادل كل من تود ومارك النظرات، ولم ينيسا بينت شفة.

اهتزّ هاتف تود النقال فأخرجه من جيبه وقال: "رقمّ خاطئ". ثم أخرج هاتفاً آخر من جيب آخر. هاتفان، القلم والجديد. واحدٌ من أجل الماضي، وآخر من أجل الحاضر. قرأ رسالةً ثم قال: "إنه ويلسون، وهو يقول "مرحباً يا صاح، لقد تغيّيتَ عن الحصّة اليوم مُجدّداً. ما الخطب؟".
قال مارك: "قد يكون هذا أصعب مما اعتقدنا".

قراءة الساعة 8:45، كانوا يتجمعون على شكل مجموعاتٍ صغيرةٍ غاضبة في الرواق أمام قاعة المحكمة داخل محكمة المقاطعة. أشارت لافتةٌ على الجدار إلى أنها قاعة محكمة فيونا دالريمبل، الدائرة الجنائية التاسعة عشرة، محكمة الجنايات العامة، مقاطعة كولومبيا. أولئك الذين تم استدعاؤهم في ذلك اليوم وتلك الساعة كانوا، وبصفة عامة، ذوي بشريةٍ سوداء أو سمراء، وجميعهم تقريباً يحملون الورقة التي أمرتهم بأن يكونوا هناك أو حاضرين برفقة أحبائهم الذين يملكون مثل هذه الأوراق. لم يكن أحدٌ بمفرده. جلب هؤلاء المتهمون معهم زوجاتهم أو آباءهم أو أولادهم اليافعين، والجميع كان يعتلي وجهه نفس النوع من نظرة الخوف واليأس. في تلك اللحظة، لم يكن هنالك أيّ محامين يتحالفون على الضحايا.

وصل كل من زولا وتود أولاً، وكلاهما يرتديان ألبسة عادية، وأخذنا يراقبان الجميع. اتكأ على أحد الجدران وانتظرا قدوم المحامي أبشو، والذي سرعان ما ظهر بلباس أنيق وحقيقيةٍ قديمة. انضمَّ إليهما واجتمعوا كالأخرين، يهمسون ويتنظرون، كما لو أن أحدهم سيتم اختياره عشوائياً ليتم إعدامه (لينقضوا عليه).

قال تود: "يعجبني ذاك الشخص هناك" وهو يشير باتجاه رجلٍ قصيرٍ وسمينٍ من أصولٍ لاتينية في الأربعينيات من عمره، ويحمل ورقة وهو برفقة زوجته التي تتصرف بارتياب.

أضافت زولا متحمسة: "يعجبني أنا أيضاً، قد يكون مؤكلنا الأوّل".
قال مارك، بصوتٍ خافتٍ جداً: "هناك الكثير غيره، فلنختر أحدهم".
بدورها قالت زولا: "حسناً أيها السيّد البارع، أرنا كيف يكون الأمر".

ازدرد مارك ريقه بصعوبة، وابتسم ابتسامةً صفراء، وقال: "إنه سهل للغاية". ومشى نحو زوجين. وحين أصبح قريباً منهما، أنزلت الزوجة عينها خائفةً بينما اتسعت عينا زوجها.

قال مارك بصوتٍ منخفض: "المعذرة هل أنت السيد غارسيا؟ أنا أبحث عن فريدي غارسيا".

هزّ الرجل برأسه نافياً، لكنه لم يقل شيئاً. استغلّ مارك الورقة التي كان الرجل يُمسك بها في يده اليمنى وسأله: "هل أنت هنا للمثول أمام المحكمة؟".

سؤالٌ غبي. ما الذي سيفعله رجل متغيب عن عمله وينتظر أمام قاعة المحكمة؟ هزّ رأسه بسرعةٍ وقال "نعم". وبدا جلياً أنه لا يريد التحدث.

سأل مارك: "ما هي همّتك؟".

لم ينبس الرجل ببنت شفةٍ واكتفى أن قدم له ورقة الاستدعاء، والتي أخذها مارك وحاول أن يقرأها بوجهٍ عابسٍ وهمهم: "اعتداءً بسيطاً قد يكون هذا شيئاً. هل سبق ودخلت المحكمة يا سيّد لوبيز؟" هزّ رأسه برهبةٍ نافيةً.

توقفت زوجته عن النظر نحو حذائها، ورفعت بصرها نحو مارك كما لو أنها أرادت البكاء. كان الناس الآخرون يمشون بالقرب منهم في حين ازداد الحشد عدداً.

"أنظر، أنت بحاجةٍ إلى محام. قد تكون القاضي دالريمبل قاسية. أتفهمني؟" ويده الحرة، أخرج مارك بطاقةً عملٍ جديدةً وأجبر الرجل على أخذها. "الاعتداء البسيط قد يتسبّب ببعض الوقت داخل السجن، لكن يمكنني تدبّر ذلك. لا شيء يدعو للقلق. أتريد بعض المساعدة؟".

هزّ رأسه بما معناه نعم.

"حسناً، أنظر، إن أتعابني هي ألف دولار. هل يمكنك دفعها؟".

انفتح فم السيد لوبيز بمجرّد ذكر المال. من خلف مارك، صدر صوتٌ هشّ وكان يقصده بلا شك. "أنت، ما الذي يحدث هنا؟".

استدار مارك ليرى في حيرة واندهاش وجه محامي شارع حقيقي، رجل أطول منه، في الأربعينيات من عمره ويرتدي بذلة وذو أنفٍ مُدبَّب. قام بتقسيم الوضع ببراعةٍ حين انضمَّ إليهم. وتوجه إلى مارك بالسؤال بصوت أخفض قليلاً: "ما الذي يحدث يا صاح؟ هل تحتال على مُوكلي؟".

خطا مارك، عاجزاً عن الكلام، خطوةً إلى الخلف فقط حين انتزع المحامي ورقة الاستدعاء من يده اليمنى. نظر نحو السيّد لوبيز وقال: "خوان، هل يزعجك هذا الشاب؟".

أعطى السيّد لوبيز بطاقة العمل للمحامي، الذي حدّق نحوها وقال: "أنظر يا أبشو، هذا مُوكلي. ما الذي تحاول فعله؟".

كان على مارك أن يقول شيئاً فقال: "لا شيء. كنت أبحث عن فريدي غارسيا". نظر مارك حوله ولاحظ شاباً آخر يرتدي بذلةً ويحدّق نحوه.

قال المحامي: "هذا هراء. أنت تحاول الاحتيال على مُوكلي. لقد سمعتك تقول إن أتعابك هي ألف دولار. صحيح يا خوان؟".

قال لوبيز، الذي تحوّل فجأةً إلى شخصٍ طليقٍ وثرثار: "هذا صحيح. لقد قال ألف دولار، وقال إنني سأدخل السجن".

خطا المحامي خطوةً نحو مارك، حتى أصبح أنفاهما متلاصقين. خطر في ذهن مارك أن يلكمه لكنه قرّر سريعاً أن عراقاً بالأيدي بين محامين في الرواق أمام قاعة المحكمة لن يحلّ الأمر. "أغرب عن وجهي يا أبشو". زجر المحامي.

حاول مارك أن يتسم وهو يقول: "ما بك يا رجل، على رسلك. إنني أبحث عن مُوكلي، فريدي غارسيا. فوجدت الشخص الخطأ، حسناً؟".

قال المحامي ساخراً: "حسناً، إن كنت تجيد القراءة، كنت لتلاحظ أن الورقة موجهةٌ للسيّد خوان لوبيز، مُوكلي هنا. أراهن أن اسم فريدي غارسيا هذا ليس ضمن قائمة الدعاوى المعروضة، بل وأراهن أيضاً أنك تقوم بالاحتيال هنا فقط".

أجاب مارك: "اهدأ".

"أنا هادئ، والآن أغرب عن وجهي".

أراد مارك ألاّ يتزحزح من مكانه، لكنه قرّر التراجع. "إنه لك أيها المغفل".

"أذهب وازعج شخصاً آخر".

استدار مارك، خائفاً من نظرات تود وزولا. لكنهما كانا قد اختفيا.

وجدهما في الأرجاء، وأسرعوا نحو المقهى في الطابق الأول. بعد أن سحبوا بعض الكراسي حول طاولة صغيرة، لاحظ مارك أن زولا وتود كانا يضحكان بشدة لدرجة أنهما لم يستطيعا الكلام. أغضبه ذلك كثيراً، لكنه وبعد بضع دقائق شاركهما الضحك. التقط تود أنفاسه أخيراً وقال: "عملٌ جيّد يا داريل".

مسحت زولا خديها بظهر يدها. "فريدي غارسيا". حاولت القول. انفجر تود من الضحك مجدداً. قال مارك، وهو لا يزال يضحك: "حسنأ، حسنأ". بدوره قال تود: "أنا آسف". ويدها على خاصرته.

ضحكوا لمدة طويلة. تمالك مارك نفسه أخيراً وسأل: "من يريد القهوة؟". ومشى نحو منضدة البيع، واشترى ثلاثة أكواب من القهوة، وجلبها إلى الطاولة، حيث استعاد الشركاء رزانتهم ثانية بطريقة ما.

قال تود: "لقد رأينا الرجل آتياً، وحين لاحظ ما كنت تقوم به هجم".

قالت زولا: "ظننت أنه سيضربك".

عقب مارك: "وأنا أيضاً". ارتشفوا القهوة، وكلّ منهم على وشك الضحك مجدداً.

أخيراً، قال مارك: "حسنأ، إليكم الجانب الجيّد. صحيح أن الموقف كان سيئاً، لكن لم يظن أي منهما أنني لست محامياً. سيكون هذا سهلاً".

"سهل!" انفجر تود ضاحكاً: "كنت على وشك خوض شجارٍ على مرأى من موكلنا الأوّل".

قالت زولا: "هل رأيت النظرة على وجه جوان حين كنتما تتجادلان؟ لا بد أنه اعتقد أن جميع المحامين مجانين". وكانت تضحك مُجدداً هي أيضاً.
قال مارك، مُسائراً: "اعتبراها مُجرّد تجربة، لا يمكننا التراجع الآن".
قال تود: "لن تفعل يا داريل كروملي".
"اصمت. هيا بنا".

قرّروا تغيير استراتيجيتهم خلال مغامرهم التالية نحو الهاوية. كان هنالك حشدٌ متنوّعٌ ينتظر أمام قاعة محكمة القاضي ليون هاندلفورد، الدائرة الجنائية العاشرة. اندفع تود أولاً مُحاولاً أن يبدو جدياً قدر الإمكان. راقب المجموعة وصبّ تركيزه على شابّ أسمر البشرة ينتظر برفقة امرأةٍ أكبر سنّاً، كانت والدته على الأرجح. اقترب تود منهما، وابتسم لهما، وبدأ بالحديث. "طريقةٌ مروّعة لقضاء النهار صحيح؟".

أجاب الشاب: "نعم معك حق". وقلبت أمه عينيها مُحبطةً.
سأل تود: "إنها محكمة مخالفات القيادة تحت تأثير الكحول صحيح؟".
أجابه الشاب: "محكمة المرور".

أضافت والدته: "ضبط وهو يقود بسرعة خمسة وثمانين ميلاً في منطقتي سرعتها المسموحة أربعون ميلاً في الساعة. إنها مخالفة الثانية هذا العام".
كرّر تود: "خمس وثمانون ميلاً في الساعة، هذا يبرّر الأمر".
"كنت في عجلةٍ من أمري".

قالت الأم، مُحبطةً تماماً: "ذكرت الشرطة أنه سيسجن".
سأله تود: "هل لديك مُحام؟".

أجابه الشاب: "ليس بعد. لا أستطيع خسارة رخصتي يا صاح. في حال خسرتها فسأخسر عملي".

ظهر مارك من بعيد قاصداً شيئاً وهو يضع الهاتف على أذنه. وأخبر تود شيئاً بواسطة عينيه، وأتى مُسرِعاً نحوه، وأعاد هاتفه إلى جيبيه. مُتجاهلاً الشابّ الأسمر ووالدته، قال لتود: "لقد تكلمت للتوّ مع المُدعي العام، صديقٌ أعرفه

جيداً. لقد استطعت إلغاء فترة السجن وسيخفضون مبلغ الغرامة إلى النصف. ما زلنا نتساوم بشأن التوقيف لكننا أحرزنا تقدماً في ذلك. هل تحمل النصف الآخر من أتعابي؟".

"بالطبع". قال تود بسرعة في حين مدّ يده إلى جيبه وأخرج بعض المال. وعلى مرأى الجميع، سحب مئة دولار وأعطاهُ إياها. وحين أخذ مارك المال، أشار تود إلى صديقه الجديد وقال: "انظر، هذا الشاب ضبط وهو يقود بسرعة خمسة وثمانين ميلاً في منطقةٍ يسمح بها بأربعين ميلٍ في الساعة. فما الذي سيواجهه؟".

لم يمتلك مارك أية فكرة، لكنه كان داريل كروملي في تلك اللحظة، مُحامٍ مُخضرم في قضايا السير، ولن يترك سؤالاً دون إجابة. كرّر برهبة. "خمسة وثمانون، هل لديك مخالفة قيادة تحت تأثير الكحول؟".
أجاب الشاب: "لا".

تدخلت والدته وقالت: "كان يقظاً تماماً، كان الأمر ليبدو أكثر منطقيّة لو كان ثملاً، لكنه كان يعلم ما يفعله تماماً".
"بالله عليك يا أمي".

قال مارك: "أيّ تخطي لسرعة الثمانين ميلاً يعني دخول السجن".
سألت الأمّ قائلةً: "هل تعمل في قضايا مُخالفات السير وتجاوز السرعة؟".

ابتسم لها مارك ابتسامةً حذقةً كما لو أنه قادرٌ على التعامل مع أيّ شيء. "هذا ما أنا بارعٌ فيه سيّدي، محكمة السير. أعرف جميع القضايا".

قال الشاب: "عليّ الحفاظ على رخصتي".
سأله مارك، مُحدّثاً بساعة يده: "ماذا تعمل؟".

"أعمل في تسليم البضائع. إنه عملٌ جيّد ولا أريد خسارته".
عملٌ جيد. سيدفع مبلغاً كبيراً! إن أتعاب مُخالفة القيادة تحت تأثير الكحول كانت ألف دولار. كان مارك يُفكّر في مبلغٍ أقل من أجل مُخالفة تجاوز السرعة المسموحة، لكن مفهوم العمل الربحي أجبره على استغلال الموقف.

فقال مارك: "انظر، إن أتعابي هي ألف دولار، ولذلك سأخفضها من أجل تجاوز بسيطٍ للسرعة المسموحة وسأبقيك خارج السجن". نظر إلى ساعة يده مُجدِّداً كما لو كانت هنالك أعمالٌ مُهمَّةٌ في انتظاره.

نظر الشاب بتوسُّلٍ إلى والدته، التي هزَّت رأسها قائلةً: "إنها مُشكلتك أنت، وليست مشكلتي". نظر الشاب إلى مارك وقال: "إنني لا أحمل سوى 300 دولار. هل يمكنني دفع بقية المبلغ لاحقاً؟".

"نعم، لكن المهلة تنتهي قبل موعد محاكمتك التالي. دعني أر ورقة الاستدعاء".

سحبها من جيبه وسلَّمه إياها. قرأها مارك بسرعةٍ. بينسون تاير، العمر ثلاثٌ وعشرون، عازب، العنوان شارع إيميرسون شمال شرق العاصمة. قال مارك: "حسناً يا بينسون، فلنذهب لرؤية القاضي".

إن اصطياد الموكِّلين كان مُرهقاً للأعصاب بما فيه الكفاية، وخاصَّةً مع فكرة التظاهر لأول مرَّةً بأنه مُحامٍ، لكن الدخول إلى قاعة المحكمة ورؤية عجلة العدالة تسير عن قرب كان مُرعباً. ارتجفت ركبنا مارك في حين كانوا يمشون عبر الممرِّ الرئيسيِّ. كان التشنُّج في معدته يزداد مع كلِّ خطوة.

تمالك نفسك أيها المغفل قال لنفسه. لا تظهر خوفك. إنها مُجرَّد لعبة. إن كان باستطاعة داريل فعلها، فأنت تستطيع. أشار إلى مقعدٍ في الصفِّ الأوسط، كما لو أنه يفعل ذلك دوماً، همس للأُم قائلاً: "اجلسي هنا". جلست الأُم، ثم تابعا نحو الصفِّ الأمامي وجلسا. مرَّ بينسون 300 دولار، وأعد مارك عقداً للخدمات القانونيّة، مُطابقٌ للذي وقَّع عليه بالنيابة عن جوردي مع المُحامي بريستون كلاين. وحين انتهيا من كتابة العقد، جلس هو وبينسون ليشاهدا.

كان القاضي هاندلفورد رجلاً ضخماً بلحية بيضاء وقد تجاوز الستين من عمره، وضجرتُ تماماً من روتينه اليوميِّ. ونادراً ما رفع رأسه لينظر إلى الأمام، وبدا مشغولاً بتوقيع اسمه على القرارات.

نظر أحدُ الكُتَّابِ إلى الحشد ونادى بأحد الأسماء. مشت امرأةٌ طويلة القامة في الخمسينيات من عمرها عبر الممرّ، وخطت مُتوتِّرةً وعرفت بنفسها للقاضي، كانت هناك بسبب مخالفة قيادةٍ تحت تأثير الكحول، وحاولت بطريقةٍ ما أن تصل إلى القاضي دون أن يكون أحدُ المحامين الجشعين مُلتصقاً بها. سجّل مارك ملاحظةً باسمها: فاليري بلان. سيأخذ رقم هاتفها من قائمة الدعاوى ليتصل بها لاحقاً. توسّلت للقاضي بأنها غيرُ مُذنبه وأعطيت موعدَ مُراجعةٍ آخر في أواخر شهر شباط. بالكاد رفع القاضي هاندلفورد رأسه. ثم نادى الكاتب الاسم التالي.

ازدرد مارك لعابه بصعوبةٍ، وأجبر نفسه على القيام، ومشى نحو منضدة القاضي، وسحب نسخةً من قائمة الدعاوى، وجلس على منصّة الدفاع. وصل محاميان آخران. ثم غادر أحدهما، لقد أتيا وغادرا ولم يُلاحظهما أحد. أطلق أحد المدّعين العامّين طرفهً وضحك عليها البعض.

بدا القاضي نائماً في هذه اللحظة. ألقى مارك نظرةً في أرجاء قاعة المحكمة، ورأى زولا تجلس خلف والده بينسون، تراقب كل حركة. أما تود فقد شقّ طريقه نحو الصفّ الأمامي ليحظى برؤيةٍ أقرب. نهض مارك، ومشى نحو إحدى الكاتبات الجالسة بجانب هيئة المحكمة، أعطاهما بطاقةً، وأعلمها بأنه يمثّل السيّد بينسون تاير. رقمته بنظرةٍ ساخرة. من يأبه لذلك؟

حين تمت مُناداة اسم برينسون، وقف مارك وأوماً لوكّله. ثم جنباً إلى جنب، وقف أمام القاضي هاندلفورد، الذي بالكاد أبدى اهتماماً، تقدّمت امرأةٌ من بين المدّعين العامّين وقدم لها مارك نفسه. كان اسمها هادلي كافينيس وكانت لطيفةً للغاية، قوامٌ رائع مع تنورةٍ قصيرة. أخذ مارك بطاقتها، وأخذت بطاقته. قال القاضي: "أيها السيّد تاير، يبدو كما لو أنك تملك مُحامياً، لذا أفترض أنك ستدّعي بأنك لست مُذنباً".

قال مارك: "هذا صحيح، حضرتك". تلك كانت كلماته الأولى داخل المحكمة. وكان بواسطتها وبرفقة شريكه، قد انتهكوا المادة 54 الفقرة ب من قانون الإجراءات الجنائية: مُمارسة غير مأذونة للمحاماة، وعقوبتها غرامة تصل

إلى ألف دولار، كتعويض، والسجن لمدة أقصاها سنتان. ولم يكن ذلك مشكلةً كبيرة. فجزءاً بجنهم الشامل، كانوا قد علموا أنه وفي الأربعين سنة الماضية، مُحْتالٌ واحدٌ فقط أُلقي به في السجن بتهمة الممارسة غير المأذونة للمُحاماة في المقاطعة. كان قد حُكِمَ عليه بالسجن لمدة ستة شهور برفقة أربعة موقوفين، وكان سلوكه على وجه التحديد سيئاً.

في إطار السلوك الإجرامي، كانت الممارسة غير المأذونة للمحاماة مُخالفةً بسيطة. لم يتأذَّ أحدٌ فعلياً. وفي حال كانوا ثلاثتهم مُحْتدِين كفايةً، فإن مصالِح مُوكَلِيهم ستتحقق وستحقق العدالة. وما إلى ذلك.

بالكاد كنتم تود أنفاسه في حين كان شريكه يقف أمام القاضي. هل الأمر بهذه البساطة؟ كان الدورُ مُلائماً لمارك قطعاً، وكانت بذلته أجمل من تلك التي ارتداها المحامون الآخرون على جانبي قاعة المحكمة. والمحامون الآخرون؟ كم واحداً منهم كان يحاول التّجاة من جبل من الديون؟

جلست زولا على حافة مقعدها، مُنتظرةً أحدهم ليصرخ ويقول: "إن هذا الشابُّ مُخادع!" لكن لم ينظر أحدٌ مرتين نحو أبشو. لقد تأقلم مع الدور، شخصٌ آخر فقط من بين عشرات. بعد مُشاهدة الإجراءات القضائيّة لنصف ساعة، لاحظتُ أن بعض مُحامي الدفاع كانوا يعرفون بعضهم بعضاً ويعرفون مُدعيّاً عامّاً أو اثنين، وبدوا وكأنهم في منازلهم (بدوا مُرتاحين جدّاً). أما الآخرون فلم يتدخلوا ولم يتكلّموا مع أحدٍ سوى القاضي. لم يكن الأمرُ مُهماً. كانت تلك محكمة السير، والجميع كان يمرّ بالتجربة التي لم تتغيّر يوماً أبداً.

كان موعد مُثول برينسون التالي أمام المحكمة بعد شهر. دوّن القاضي هاندلفورد اسمه، وقال مارك حينها: "شكراً لك حضرة القاضي". وقاد مُوكَله إلى خارج المحكمة.

كان أحدث مكتب مُحاماةٍ سيحتاج عدّة أسابيع لمعرفة ما يجب القيام به. والمبلغ الذي دفعه برينسون كان يكفي لغداء مُبكرٍ في مقصفٍ في الأرجاء. وفي خضمّ تناوله لشطيرته، تذكّر تود فريدي غارسيا مُجدداً وضحكوا كثيراً.

لمواجهة صعوبات ما بعد الظهيرة، قام مارك بتغيير بذلته - فقد كان يملك ثلاثاً الآن - وارتدى تود ملبسه. ووصلوا إلى مقر المحكمة في تمام الساعة 1:00 بعد الظهر. وبدأ باصطياد المؤكّنين. كان من الواضح وجود عددٍ غير محدود منهم. في البداية عملاً معاً، وتعلّماً بعض الحيل مع مرور الوقت. لم يلاحظهما أحد وكانا مُرتاحين خلال اندماجهما مع المحامين الآخرين الذين كانوا يجومون بين أرجاء مقر المحكمة المترامي الأطراف (الواسع).

خارج الدائرة السادسة، وضع تود هاتفه النقال على أذنه وأجرى مُكالمةً مهمّةً مع لا أحد. بصوتٍ مُرتفعٍ كفايةً ليسمعه الجميع، كان يقول: "انظر، لقد تولّيتُ مئة قضيةٍ مُخالفةٍ قيادةٍ تحت تأثير الكحول فلا تقل لي هذا الهراء. لقد سجّل هذا الشاب عبر نفخه في الجهاز مُعدّل 0.09، أي بالكاد تجاوز الحدّ المسموح، ولديه سجلّ نظيفٌ في القيادة. توقّف عن الخروج عن الموضوع. قم بتقليص التهمة إلى قيادة مُتهوِّرة أو سأكلّم القاضي. وفي حال أجبرتني على ذلك، فسأحوّل الموضوع للمحاكمة، وأنت تعلم ما الذي حدث المرّة الماضية. فقد أخرجتُ رجال الشرطة وألقى القاضي بالتهم عليهم". صمت قليلاً وهو يستمع لحديثٍ وهميٍّ من الطرف الآخر، ثم أكمل: "هذا أفضل بكثير. سأمرّ عليك خلال ساعةٍ لنوقّع الاتفاق".

حين أعاد هاتفه إلى جيبيه، مرّ رجلٌ بجانبه وسأله قائلاً: "قل لي، هل أنت مُحامٍ؟".

زولا التي كانت ترتدي ملابس عاديّة، تنقلت من قاعة محكمةٍ لأخرى، وهي تتعقّب المتهمين الذين مثلوا دون رفقة مُحامين. كان القضاة يسألونهم أغلب الأحيان عن مكان عملهم، أو مكان زواجهم، وما إلى ذلك. مُعظمهم كانوا ذوي مهنةٍ ليست ذات أهمية. دوّنت الملاحظات بالاحتمالات الأفضل من بينها. مُستخدمة الأسماء والعناوين التي على قائمة الدعاوى كمرجعيّة، دوّنت قائمةً من الأسماء من أجل شريكها ليُتصلا بها. وبعد عدّة ساعاتٍ، ضجرت من الرتبة القاتلة للشؤون المؤقتة للعدالة الجنائيّة.

قد تكون مُمَلَّةً، لكنها كانت أكثر مُتعةً من الجلوس في الفصل والقلقُ بشأن امتحان القبول.

في تمام الساعة الخامسة، دخلوا حانة روستر ووجدوا طاولةً فارغةً في الزاوية. جلب مارك عُلبتي بيرةٍ وعلبة شراب غازي من المشرب وطلب بعض الشطائر. سيعمل في مناوبة من السادسة وحتى منتصف الليل، لذلك كانت الأطعمة والمشروبات على حساب الحانة.

كانوا سُعداء بيوم عملهم الأول. فقد حصل تود قضيةً مُخالفةً تحت تأثير الكحول ومثل أمام القاضي كانتو.

وقد أشار المدعي العام إلى أنه لم يرَ تود من قبل، وردّ عليه بأنه كان مسافراً لسنة. واستطاع مارك اصطياد تُهمة اعتداء بسيط في الدائرة التاسعة ومثل أمام قاضٍ ظل يحدق إليه لكنه لم يقل شيئاً. ففي غضون عدّة أيامٍ ستصبح وجوههم مألوفةً.

كانت غنيمتهم اليوم 1600 دولار نقداً، ووقع الموكلون سندات لدفع 1400 دولار أخرى. أضف حقيقة أن مكاسبهم لا يمكن الإبلاغ عنها وهي معفاة من الضرائب، وقد كانوا طائشين في توقعاتهم في الحصول على الذهب. إن المرأة هي ما كانت تميز مخطّطهم. لا أحد بكامل قواه العقلية قد يقف أمام القاضي ليقدم نفسه على أنه محامٍ.

عند منتصف الليل، صعد مارك على السلالم نحو الطابق الرابع ليدخل شقته الضيقة. كان تود ينتظره على الأريكة مع حاسبه المحمول. كان هنالك علبتا جعة فارغتان فوق الطاولة التي اشترىها بعشرة دولارات.

جلب مارك علبة جعة من الثلاجة الصغيرة، وجلس على كرسيّ قبالة الأريكة. لقد كان مُنهكاً وبحاجةٍ إلى أخذ قسط من النوم. وسأله تود: "ما الذي تعمل عليه؟"

"أعمل على دعوى قضائية. ثمة أربعة دعاوى الآن مرفوعة ضدّ بنك سويفت، أظن أنه الوقت المناسب للاتصال بأحد المحامين والتوقيع معه، هؤلاء الأشخاص يقومون بحملاتٍ إعلامية ضخمة لكنها فقط على الإنترنت. لا وجود لإعلاناتٍ تلفزيونية بعد، وأظن السبب وراء ذلك هو أن كلّ دعوى منها على حدة لا تساوي إلا القليل جداً. هذه ليست قضايا إصابات مُربحة كثيراً."

"لقد رأيت حين مثل المدير التنفيذي أمام الكونغرس اليوم."

"نعم، لقد أهالت عليه الاتهامات من كلّ صوب، كان شاهداً سيئاً، أعني أن الشابّ كان يتعرّق بشدة، وقد حظيت لجنة الكونغرس بيوم حافلٍ معه. الجميع يطالبون باستقالته. يعتقد أحد المدوّنين أن بنك سويفت يملك سمعة سيئة جداً الآن ولا يملك خياراً سوى تسوية هذه الفوضى والمضيّ قدماً. ويرى أن البنك سينفق بليون دولار أو أكثر على الدعوى القضائية، ثم سينفق أموالاً طائلة ليجري حملةً إعلاميةً جديدة ليغطّي على فضائحه."

"وكالعادة لم يُذكر اسم راكلي؟"

"على الإطلاق هذا الرجل مُختبئٌ خلف جدار من شركاته الوهمية. كنت أبحث لساعاتٍ ولم أجد أيّ إشارةٍ عنه أو عن واجهاته، إلى حد أنني أتساءل ما

إذا كان جوردي مُحَقَّقاً بشأن تورّطه في بنك سويفت".

"أراهن أنه على صواب، لكن علينا مواصلة البحث".

بقيا صامتين للحظة. ومن الطبيعيّ عادةً، أن يكون هنالك تلفازٌ قيد التشغيل، لكنهما لم يتصلا بعد بشركة الكابلات. كانا ينويان الاعتماد على الكابل الآتي من الحانة، لكنهما لم يكونا جاهزين بعد لتلقّي الكثير من الأسئلة من قِبَل المُثبِّت. شاشتهما المُسطّحتان كانتا في زاوية الغرفة.

أخيراً قال مارك: "جوردي، جوردي. كم مرّة يخطر في ذهنك؟".

أجابه تود: "كثيراً، يمكنني القول طوال الوقت".

"هل تسأل نفسك ما الشيء المختلف الذي كان باستطاعتنا فعله؟".

"بصراحة، نعم. كان باستطاعتنا فعل أكثر من شيء، لكن جوردي لم يكن على طبيعته. لست متأكداً ما إذا كان باستطاعتنا إيقافه".

"أقول ذلك لنفسي. أفقده بالرغم من ذلك. أفقده كثيراً. أتساءل عما كان سيفكر به لو كان باستطاعته رؤيتنا الآن".

"صديقنا جوردي الذي عرفناه يوماً كان سيقول إننا مجانين. لكن جوردي الأخير ذاك كان سينضمّ إلينا".

"كشرليكٍ أساسيٍّ، بلا شك". ضحكا ضحكةً قصيرة. قال مارك: "لقد قرأت ذات مرّة قصةً عن شابٍ انتحر. وكان هنالك طبيبٌ نفسيٌّ يحاول ودون جدوى فهم السبب وراء ذلك. إن الأمر مُستحيل، ولا يبدو منطقياً أبداً. حالما يصل شخصٌ إلى هذا الحدِّ، يكون في عالمٍ آخر، عالمٌ لن يفهمه من هم على قيد الحياة. وإن استطعتَ فهم الأمر فعلاً، فستكون أنت نفسك في خطر".

"حسناً، لستُ في خطر، لأنني لن أفهم الأمر أبداً. لا شك في أنه كان يعاني من مشاكل عديدة، لكن الانتحار لم يكن الحل. كان باستطاعة جوردي حل مشاكله، بأن يأخذ أدويته بانتظام، ويصلح الأمور مع بريندا، أو لا. لو أنه رفض الزفاف، كان سيصبح أكثر سعادةً على المدى الطويل. أنت وأنا لدينا نفس المشاكل مع كليّة الحقوق وامتحان القبول والحصول على وظيفة وجباة القروض المُتوحّشين، ولم نقدم على الانتحار. في الواقع، نحن نكافح".

"ولسنا مُصَابِين بِثَنَائِيَةِ الْقُطْبِ، لِذَلِكَ لَنْ نَفْهَمَ الْأَمْرَ أَبَدًا."

قال تود: "دعنا نتحدّث عن شيءٍ آخر."

جرع مارك جرعةً كبيرةً من الجعة: "هذا صحيح. ماذا عن قائمة المُستهدفين خاصّتنا؟".

أغلق تود حاسوبه المحمول ووضعهُ على الأرض. "لا شيء. لقد اتصَلتُ بِثَمَانِيَةِ مِنَ الضَّحَايَا الْمُحْتَمَلِينَ لَدِينَا وَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهُم التَّكَلُّمَ. إِنْ الْهَاتِفُ يَجْعَلُ الْأُمُورَ شَفَافَةً وَمُتَكَافِئَةً، فَهَم لَمْ يَكُونُوا مُتَوَثِّرِينَ، وَلَوْ حَتَّى قَلِيلًا هَذِهِ اللَّيْلَةَ مِثْلَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْمَحْكَمَةِ أَتْنَاءَ النَّهَارِ."

"ألم يبدُ الأمرُ سهلاً جداً؟ أعني، لقد وقعنا اليوم على أتعابٍ تساوي ثلاثة آلاف دولار، ولم يكن لدينا فكرةٌ عمّا نقوم به."

"لقد حظونا بيومٍ جيّد، ولن نكون محظوظين دوماً لنحظى بمثله. إن الأمر الرائع هو محكمة السير، والعدد الهائل من الناس الذين يتم سحقهم من قِبَلِ القوانين."

"حمداً لله على وجودها."

"إنها معين لا ينضب."

"هذا جنون، أتعلم؟ والأمر ليس مُستداماً."

"هذا صحيح، لكن يُمكننا التعامل مع هذه الفوضى لوقتٍ طويل."

أخذ مارك رشفةً، وأغمض عينيه: "لا مجال للتراجع. نحن ننتهك كثيراً من القوانين. مُمارسة غير مأذونة. تهرّب من الضرائب. في حال شاركنا في الدعوى الجماعية ضدّ بنك سويفت، فيمكننا إضافة ذلك إلى قائمتنا."

"هل لديك أفكارٌ أخرى؟"

سأله تود: "كلا. وأنت؟"

"كلا، لكنني فعلاً قلقٌ بشأن زولا. في بعض الأحيان أفكّر في أننا ورطناها في ذلك. إنها خائفة."

فتح مارك عينيه ومدّ ساقيه: "هذا صحيح، لكنها على الأقل تشعر بالأمان الآن. لديها مكانٌ جيّدٌ للاختباء وهذا أهمّ شيء. إنها فتاةٌ قويّةٌ يا تود، وقد نجت

من ظروفٍ تفوق تصوّرنا. وهي الآن في المكان الذي تريد أن تكون فيه. إنها بحاجة إلينا".

"فتاةٌ مسكينة. لقد قابلت روندا هذه الليلة، واحتستا مشروباً في مكانٍ ما، وأخبرتُها أنها تنوي تأخير تخرجها فصلاً، مدعية أنها لا تستطيع التركيز الآن على كليّة الحقوق وامتحان القبول. وتعتقدُ أنها اقتنعت بالقصّة. لقد تكلمت مع ويلسون وأخبرته أنّ كلانا سيعود للفصل لاحقاً. كان قلقاً لكنني أكّدت له أننا بخير. ربما سيتركنا هؤلاء الناس وشأننا".

"إن تجاهلناهم فسينسون أمرنا. لديهم أمورٌ أكثر أهمية ليقلقوا بشأنها". قال تود: "جيد، وهذا ما سنفعله نحن أيضاً، أعمالنا الجديدة. الآن وبما أننا حصلنا على هؤلاء المُوكّلين، فعلينا القيام بخدماتنا تجاههم. أعني أننا تعهّدنا لهؤلاء الناس بأن نقيّم خارج السجن وأن نخفّض قيمة الغرامات التي ألحقت بهم. هل من أفكار عن كيفية قيامنا بذلك؟".

"سنكتشف ذلك غداً. المفتاح يكمن في إنهاء الأمر مع المُدعين العامّين، علينا معرفتهم جيّداً وأن نكون مُثابرين. وانظر يا تود، إن لم تتمكن دوماً من الإيفاء بخدماتنا كاملةً فلن نكون المحامين الأوّلين الذين وعدوا بكثيرٍ من الأمور ولم ينجزوها. سنأخذ أتعابنا ونمضي".

"تبدو وكأنك مُحتملٌ حقيقيٌّ في قضايا السير".

"هذا عملي الآن. سأخلد إلى النوم".

في الأسفل، كانت زولا مُستيقظة أيضاً. كانت مُستلقيةً في سريرها، مُستندةً على الوسائد واللحاف يغطّي ساقها. كانت الغرفة مُظلمة، والضوء الوحيد المنبعث مصدره شاشة حاسوبها المحمول.

مستشار قرضها كانت امرأةٌ تُدعى تيلدي كارفر، وكانت تعمل لدى شركة خدماتٍ قريية في تشيفي تشايس وتُدعى لاون أيد. كانت السيّدّة كارفر لطيفةً جداً طوال فترة الدراسة في كليّة الحقوق، لكن لهجتها بدأت تتغيّر مع اقتراب انتهاء الفصل. اليوم حين كانت زولا تجلس في إحدى قاعات المحكمة وتُدوّن الملاحظات، استلمت بريداً إلكترونياً من السيّدّة كارفر وهذا نصه:

عزيزي السيدة مال: أثناء مُقابلتنا الأخيرة منذ شهر مضى، كنتِ تستعدين من أجل فصلك الأخير. في ذلك الوقت، لم تكوئي مُتفائلة بشأن احتمال حصولك على وظيفة. أنا مُتأكدة أنك مشغولة الآن بالكثير من المُقابلات مع اقتراب التخرج. هل يُمكنك أن تُطلعي على آخر المُستجدات فيما يخصّ جهودك المبذولة في الحصول على عمل؟ أطلع لتلقي ردّك.

ياخلاص، تيلدي كارفر، كبيرة مُستشاري القروض.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المُستحقّ، الأصلي والفائدة: 191 ألف دولار.

داخل مخبئها الآمن الجديد، حدّقت أولاً إلى القيمة الإجمالية وهزّت رأسها. لا يزال من الصعب عليها تصديق أنها أقحمت نفسها طواعيةً في نظامٍ سمح لشخصٍ مثلها أن يقترض كثيراً من المال، مع أن فكرة سدادها استحالةٌ سخيفة. بالطبع، لم يكن من المُفترض أن تقلق بشأن السداد الآن، لكنها وجدت أن الخطّة تلك مُثيرة للقلق أيضاً. كان من الخطأ الهروب وإلقاء اللوم على النظام. لم يملك والداها فكرةً عن مقدار ديونها.

علموا أنها تقترض المال عبر برنامج حكومي، وكانوا يُصدّقون براءة أن أيّ مشروعٍ مُقدّم من قبل الحكومة لا بدّ أن يكون مدروساً ونافعاً. والآن لن يعرفوا أبداً، مما جعل الأمر مُريحاً نسبياً.

ردت:

عزيزي السيدة كارفر: من اللطيف تلقي رسالتك. لقد أجريت مقابلة الأسبوع الفائت في وزارة العدل، وأنا أنتظر الرد. أنا أفكر جدّياً في العمل في القطاع العام، أو لدى منظمةٍ غير ربحيةٍ لتخفيف ضغوطات السداد. سأبقيك على اطلاع.

ياخلاص، زولا مال

سمعت صوت خطوات فوقها. أطفأت حاسوبها المحمول، وتمدّدت ملتحفة الغطاء. كانت مُمتنة لمخبئها الصغير الدافئ، ومُمتنة أنه لن يكون هناك طرق مفاجئ على الباب. إن الشقّة الأخيرة التي تستطيع تذكرها لم تكن أكبر بكثيرٍ من مكانها الجديد. لقد تشاركت وأخويها الأكبر سنّاً غرفة نوم صغيرة. كان

للصبيّين سريراً بطابقين، وبجانبهما كانت تنام على مهد، وكان والداها ينامان على مقربةٍ منهم في غرفة نوم ضيّقةٍ أخرى. لم تُدرك أنهم كانوا فقراء وخائفين ولم يفترض بهم أن يكونوا هناك. وعلى الرغم من ذلك، كان المنزل مكاناً سعيداً مع كثير من المرح والأوقات الجيّدة.

فكّرت في والديها وأخيها في كلّ ساعةٍ من كلّ يوم، وعادةً ما كانت تُعطّ في النومِ باكية. كان مُستقبلها غامضاً، لكن لا شيء يُقارن بمُستقبلهم.

كان من يتصدّر اللوحات الإعلانية هو مُحامٌ يدعى رستي سافاج. كانت عبارته "ثق بـ رستي"، وكان من المُستحيل القيادة على طول الطريق السريع دون مواجهة إحدى صورهِ مُبتسماً ويحثّ أولئك الذين تضرّروا على الثقة به. تضمّنت إعلاناتهِ التلفزيونية الحذقة المُوكّلين الذين عانوا من كافّة أشكال الإصابات الجسدية لكنهم تخطّوها بسبب اختيارهم الحكيم واتصالهم به. كان شركاء الممارسة غير المأذونة الثلاثة قد بحثوا عن مكاتب المحاماة المختصة بقضايا الأضرار الجسدية في المقاطعة، ورسوا على اختيار رستي. كان مكتبه يضمّ ثمانية مُحامين، وبدا جلياً أن معظمهم كانوا أهلاً للثقة لتولي قضية. اتصلت زولا وشرحت للسيدة على الطرف الآخر أن زوجها قد أصيب بشكلٍ فظيع إثر حادث اصطدام مع شاحنة بثماني عشرة عجلة، وأنها تحتاج مُقابلة رستي. شرحت السيدة أنه مرتبط بموعد "محاكمة كبرى في المحكمة الفدرالية" لكن أحد شركائه قد يُسرّ بمقابلتها. إن لم تكن تعرف شيئاً عن قانون الإصابات، فجد شخصاً يعرف. باستخدام اسم اختارته من دليل الهاتف، أخذت زولا موعداً.

كان مكتب رستي يقع في مبنى زجاجي بجانب محطة القطار. دخلت وتود إلى البهو، الذي ذكرهما بما يشاهدانه ويشعران به في غرفة انتظار الأطباء. صفوف من الكراسي على طول الجدران وتعلوها رفوف للمجلّات. عشرات المُوكّلين، بعضهم يحمل عكّازات وعصي، يجلسون بدرجاتٍ متفاوتة من عدم الارتياح. كانت حملة رستي الإعلانية الدؤوب تحصد نتيجة. سجلت زولا نفسها عند موظفة الاستقبال، وأعطيت استبياناً لتملأه. ملأت الفراغات بالمعلومات المزيفة لكنها سجّلت رقم هاتفٍ حقيقي، رقم هاتفها القديم. بعد

خمس عشرة دقيقة، اصطحبهما مُساعدٌ إلى قاعة كبيرة مكتظة بالكوآت ومحطّات العمل، والعديد من المرؤوسين الذين يعملون جاهدين وبشكل دؤوب على هواتفهم وحواسيبهم، ويُجزون الأعمال الورقيّة بلا هوادة. كان للمُحامين مكاتب خاصّة على الأطراف مع مشهدٍ يُطلّ على المدينة. نقر المُساعد على باب أحد تلك المكاتب، ودخلوا إلى مكتب برادي هَلّ.

كانا يعلمان، ومن خلال الموقع الإلكتروني، أن السيّد هَلّ في الأربعينات من عمره، وحاصلٌ على شهادة من الجامعة الأمريكيّة. تركهما المُساعد بعد أن عرّف المحامي إلى الزبونين. جلسا على مقعدين جلديين قبالة السيّد هَلّ، والذي كان مكتبه أرتب بقليل من مكبّ للقمامة.

شرح توم (تود) أن زوج كلاوديا (زولا) توليفر كان أعزّ أصدقائه وأنه هنا من أجل الدعم المعنويّ فقط. وأن الزوج، دويني، قد طلب من توم البقاء مع زوجته وتسجيل الملاحظات بينما كان هو، دويني، حبيس المنزل بسبب إصاباته.

كان السيّد هَلّ لائقاً في البداية وقال: "حسناً، عادة لا تجري الأمور على هذا النحو. ربما علينا مناقشة بعض الأمور الخاصّة والسريّة".

قالت كلوديا: "أرجوك، كلّ شيء على ما يرام. توم صديقٌ موثوق". قال السيّد هَلّ: "جيد جداً". بدا رجلاً مرهقاً لديه الكثير من الأعمال، والكثير من الاتصالات ليقوم بها، والكثير من الأوراق لُينجزها، وليس لديه ما يكفي من الساعات أثناء النهار. سألها وهو يحدق إلى ورقة أمامه: "حسناً، زوجك تعرّض لحادث أخبريني المزيد؟".

بدأت كلاوديا: "حسناً، لقد حدث ذلك قبل ثلاثة أشهر". تردّدت ونظرت إلى توم، وحاولت أن تبدو مقهورةً ومُتوتّرة. "كان يقود سيّارته عائداً نحو المنزل على جادة كونكتيكت، بالقرب من حديقة كليفلاند، حين صدمته شاحنة بثماني عشرة عجلة. كان دويني يتجه شمالاً، والشاحنة تتجه جنوباً، ولسبب ما انخرفت نحو اليسار، وتخطّت الخطّ الفاصل، وصدّمته".

قال هَلّ: "حسناً، المسؤوليّة واضحة؟".

"نعم، استناداً لما قالته الشرطة. لم يقل السائق شيئاً، ولذلك لا نعلم حتى الآن سبب انحرافه".

"أحتاج الاطلاع على تقرير الحادث".

"إنه معي، في المنزل".

سألها هل بوقاحة: "ألم تُحضريه معك؟".

"أنا آسفة. لم أقم بذلك من قبل. لم أعرف ما عليّ إحضاره".

"حسناً، أرسلني لي نسخةً منه في أقرب وقت. وماذا عن أدويته؟ هل جلبت سجلات أدويته؟".

"كلا سيدي. لم أعلم أن عليّ جلبها".

أغمض هل عينيه بإحباط في حين رن هاتفه. حدّق إليه لثانيةً وبدا مُستعدّاً لرفع السماعة. "ما مدى خطورة جروحه؟".

"حسناً، كان على وشك الموت. ارتجاجٌ شديدٌ في المخ، كان في غيبوبةٍ لمدة أسبوع. كسر في الحنك، كسر في عظمة الترقوة، كسور في ستة أضلاع، وأحدها اخترق الرئة. قدمٌ مكسورة. لقد خضع لعمليّتين جراحيّتين ومن المحتمل أنه سيحتاج لعمليّة إضافية على الأفل".

بدا هل مُتأثراً وقال: "واو، لقد تعرّض للصّدَم بالفعل. ما هو مجموع تكاليف علاجه حتى الآن؟".

استهجنّت السؤال ونظرت إلى توم، الذي استهجنه أيضاً وكأنه لم يملك أدنى فكرة. قالت: "ربما معني ألف دولار. إنه يخضع لإعادة التأهيل الآن لكنه لا يتحسن كثيراً. إليك الأمر أيها السيّد هل، لا أعلم ما عليّ فعله. لقد استمرّ المحامون في الاتّصال ليلاً نهاراً بعد الحادثة. وتوقّفت عن الإجابة عن الهاتف في النهاية. كنت أتعامل مع شركة التأمين ولستُ متأكّدة أنني أستطيع الوثوق بهم".

قال بصرامة، وكأنها أخطأت في ذلك مُسبقاً: "لا تثقي أبداً بشركة تأمين في قضايا كهذه، لا تحدّثني إليهم". لم يكن هل مُشتت الذهن في تلك اللحظة واستطاع التركيز. وأردف سائلاً: "ما هي طبيعة عمل دوبي؟".

"يقود رافعةً شوكيةً في أحد المستودعات. عملٌ جيّدٌ بالفعل. يجني ما يُقارب الخمسة والأربعين ألفاً في السنة. لم يعمل منذ الحادث وأنا على وشك الإفلاس".

قال هل بتعجرف: "إن كانت المسؤولية واضحةً إلى ذلك الحدّ كما تقولين، سنسوّي ذلك الأمر دون الذهاب إلى المحكمة".
سألتها: "وكم تتقاضون؟" لم ينطق توم بكلمة بعد.
قال هل مزهواً: "لا نتقاضى شيئاً، لا استرداد، ولا رسوم".
أراد توم القول: "أوه نعم، لقد قرأت ذلك على ما يُقارب خمسين لوحة إعلانية". لكنه لم يقل شيئاً.

أكمل هل قائلاً: "نتقاضى نحن حين تتقاضين أنت. نتقاضى 25 بالمئة من قيمة التسوية، وفي حال أحلنا الأمر إلى المحكمة، فسيكون لدينا عملٌ أكبر لنقوم به، فسنرفع حصتنا إلى ثلث ما تتقاضينه".

هزّ توم وكلاوديا رأسيهما. وأخيراً، شيءٌ كانا قد تعلّمناه في كلية الحقوق. قالت: "حسناً، شركة التأمين تقول إنهم سيتكفلون بقيمة العلاج، والرواتب التي تمت خسارتها، ومصاريف إعادة التأهيل، وعلاوةً على ذلك سيدفعون لنا مئة ألف دولار كسوية".

قال هل بذهول: "مئة ألف! إنهم يفاوضونك على مبلغٍ أقل لأنك لم توكلني مُحامياً. انظري، بين يدي، تساوي هذه القضية مليون دولار. أخيري شركة التأمين أن تذهب لتستغلّ شخصاً آخر، كلا انتظري، لا تخبريهم شيئاً. لا تقولي كلمةً أخرى لأصحاب التسوية. من هي الشركة، بالمناسبة؟"
"كلينتش".

"أوه، بالطبع. هذه صفات كلينتش. إنني أقاضي هؤلاء المهرّجين كلّ الوقت، وأعرفهم جيّداً".

ارتاح كلٌّ من كلاوديا وتوم قليلاً. قادهما بحثهما إلى كلينتش، وهي إحدى شركات التأمين الرائدة في المنطقة. يتباهى موقعها الإلكتروني بمسيرة طويلة في تأمين البضائع وشركات الشحن.

كرّر توم: "مليون دولار؟".

زفر هلّ، وابتسم، وحتى أنه بدأ يقهقه. شبك يديه خلف رأسه وكأنه مُعلّم قديم يريد تنوير طلابه: "أنا لا أعطي ضمانات... حسناً؟ لا يمكنني تقييم أيّ قضية بشكل صحيح حتى أحصل على كافّة المعطيات؛ تقرير الشرطة، والفحوص الطبية، والدخل الفائت، وسجلّ سلامة السائق الآخر، وكلّ ما إلى ذلك. ومن ثمّ لدينا المشكلة الكبيرة المتعلّقة بالإعاقة الدائمة، والتي ولأكون صادقاً تماماً تعني كثيراً من المال. فلنأمل أن يستعيد دوني صحته تماماً، ويعود للعمل، ويتابع حياته قريباً وكأن شيئاً لم يكن. في حال حدث ذلك، اعتماداً على سلسلة العلاج التي تحدثت عنها، سأطلب شيئاً يُقارب المليون ونصف المليون من كليتش وسأساوم لبضعة أشهر".

حدّق توم بذهول.

ارتبكت كلاوديا وقالت: "واو. كيف يمكنك الوصول إلى ذلك الرقم؟".
"إنه شكلٌ من أشكال الفن، حقاً. لكن الأمر ليس بتلك الصعوبة. خذي إجمالي تكاليف العلاج وضاعفها، لنقل، خمس أو ست مرّات. كليتش ستصارع من أجل ثلاث أو ثلاث ونصف. كليتش تعلم قدرتي ومهارتي، وصدقاني لن يرغبوا في رؤيتي داخل قاعة محكمة. سيكون ذلك عاملاً أساسياً في التفاوض".

سأله توم: "حسناً، فقد نلت منهم من قبل؟".
"أوه، مرّاتٍ عديدة. إن مكتب المحاماة هذا يُرعب حتى أضخم شركات التأمين".

على الأقل هذا ما زعمته حملتكم الإعلانية، فكّر توم.
قالت كلاوديا، وكأنها مصدومة: "لم يكن لديّ فكرة".
رنّ هاتف مكتبه مُجدّداً، وقاوم رغبته في رفع السّماعَة. انحنى إلى الأمام، ووضع مرفقيه على المكتب، وقال: "إليك الإجراءات. سيتولّى مُساعدتي أمر الأعمال الورقيّة. وستوقّعان أنتِ ودوني على عقد خدماتٍ قانونيّة، ستكون كلّ الأمور واضحة ولن يكون هنالك مُفاجآت. وحالما يكون جاهزاً،

سأتصل بشركة التأمين وأعكّر صفو نهارها. سنبدأ بجمع التقارير الطبيّة وسنتهي من الأمر وغمضي. في حال كانت المسؤوليّة واضحة، سينتهي الأمر في ستة أشهر. هل من أسئلةٍ أخرى؟". كان من الواضح أنه جاهزٌ ليستقبل الزبون التالي.

تبادل كلٌّ من كلاوديا وتوم نظراتٍ خاوية وهزاً برأسيهما. قالت: "لا أظن ذلك. شكراً لك يا سيّد هلّ".

وقف هلّ، مدّ يده وقال: "أهلاً بك. لقد قمتِ للتوّ باتخاذ قرارٍ حكيم". قالت وهي تصافحه: "شكراً لك". صافحه توم أيضاً وشرعاً في الخروج من المكتب. سلّمها المساعد ملفاً كتب على غلافه "ملفٌ مؤكّلٌ جديد: ثقب برستي" وقادها نحو الباب.

قالت زولا: حين أُغلق باب المصعد: "يا له من درسٍ تعليميٍّ صغيرٍ ومُسلّ".

ردّ تود قائلاً: "قانون الإصابات الشخصية 101، حلقة دراسيّة مكثّفة كتلك ستستغرق أربعة أشهر في فوجي بوتوم".

"نعم، وتُدّرّس من قبل مُهرّجٍ لم يُعلن عنه يوماً في اللوحات الإعلانية".
"الآن كلّ ما نحتاج إليه هو مؤكّلٌ أو اثنين".

بينما قاد تود السيّارة مُبتعداً، تفقدت زولا هاتفها وقهقهت: "سنصبح أغنياء. لقد تمكّن مارك من الاحتيال ثانية في قضية قيادة تحت تأثير الكحول مُقابل ستمئة دولار نقداً. في الدائرة".

اختيار المُستشفى المناسب أثبت صعوبته. كان هنالك الكثير من المُستشفيات في المدينة. كان مُستشفى بوتوماك العام مزدحماً ومُترامي الأطراف ويتسم بالفوضى، وهو مكان معالجة لضحايا عُنف الشوارع. وفي المستوى الأعلى، كان مُستشفى واشنطن هو المكان الذي أُخذ إليه الرئيس ريغان حين تعرّض لإطلاق نار. وكان هنالك على الأقل ثمانية أخرى بينهما.

كان عليهما البدء من مكانٍ ما، وقرّرا أنه سيكون مُستشفى بوتوماك العام. أنزل تود زولا عند المدخل الرئيسي وذهب بحثاً عن مكان ليركن فيه السيّارة.

كمحامية الآن، ارتدت السيّدة باركر معطفاً، وتنورةً إلى ما فوق الركبة، لكنها لم تكن قصيرةً جداً. حذاؤها الجلديّ البنيّ اللون كان أنيقاً جداً، وبحقيية غوتشي المُقلّدة بدت قطعاً كمُتخصّصةٍ في أحد المجالات. تبعّت الإشارات واتجهت نحو الكافتيريا في الطابق الأرضيّ. اشترت القهوة، واتخذت مقعداً إلى طاولةٍ معدنيّة، وانتظرت قدوم تود. ليس بعيداً جداً منها، كان هنالك مُراهقٌ يجلس على كرسيّ مدولب برفقة امرأة، من المحتمل أنّها كانت والدته، ويأكل الآيس كريم. كانت إحدى قدميه مُجبرّة بجبريّة سميكة، مع أسياخ معدنية ناتئة. بالنظر إلى مظهر والدته، فلم تكن العائلة ثريّة.

كان ينبغي تفادي الأثرياء، هكذا صمّم الشركاء ذوو الممارسة غير المأذونة. إن أولئك الذين يمتلكون المال كانوا أكثر ميلاً لتمييز المحامي الحقيقي. أما الناس الفقراء فلا، أو هذا ما كانوا يعتقدونه. قبالة جدار بعيد، كان هنالك رجلٌ في الخمسينات من عمره بدا وكأنه يتألّم. كان وحيداً ويحاول تناول شطيرة.

حين دخل تود إلى الكافتيريا توقّف ونظر حوله. غمز زولا وذهب ليشتري القهوة. جلس لاحقاً إلى طاولتها، حيث كانت مشغولةً في مراجعة ملفّ المُوكّل الجديد للمزاولة غير المأذونة للمحاماة، والذي جلبوه من مكتب رستي. همس قائلاً: "هل من ضحايا؟" وهو يخرج قطعة ورق.

كانت تشخبّر بعض الملاحظات عديمة الفائدة وقالت: "ذاك الصبيّ هناك ذو الساق المكسورة. والرجل في الزاوية البعيدة ذو الكاحلين المُضمّدين". نظر تود حوله ببطء وهو يرتشف القهوة.

قالت: "لست متأكّدة إن كنت أستطيع فعل ذلك، يبدو الأمر خطيئة، الاحتيال على الناس الجاهلين".

"بالله عليك يا زولا. لن يرانا أحد. هؤلاء القوم قد يحتاجون خدماتنا، إن لم ننل منهم نحن فإن رستي الموثوق سيفعل. وتذكري إن طلبوا منا الابتعاد فلن نحسر شيئاً".

"اذهب أنت أولاً".

"حسناً، سأتولى أنا أمر الصبيّ الأبيض. وأنت لك الرجل الأسمر". وقف تود حاملاً هاتفه النقال. مشى بعيداً، غارقاً في خضمّ مُكالمَةٍ مع لا أحد، وبدأ يدور في أرجاء الكافتيريا. التفّ وعاد، وحين مشى بالقرب من الصبيّ ذي الساق المكسورة قال عبر الهاتف: "اسمع موعد المحاكمة الأسبوع القادم. لن نأخذ خمسين ألفاً لأن شركة التأمين تُحاول خداعك. فهمت ذلك؟ سأخبر القاضي أننا مُستعدّون للمُحاكمة". أعاد الهاتف إلى جيبه، استدار للخلف، وبابتسامةٍ عريضة قال للصبيّ: "مرحباً، تبدو ساقك في حالٍ مُزرية. ما الذي حدث؟".

قالت الوالدة بفخر: "أربعة كسور، وقد خضع لعملية جراحية". ابتسم الطفل، وبدا سعيداً بأنه محطّ الانتباه. نظر تود إلى الجبيرة واستمرّ بالابتسام، ثم قال: "واو. أحسنت. كيف فعلت ذلك؟". قال الصبيّ باعتزاز: "لقد كنت على لوح التزلّج وانزلت على بعض الجليد." لوح تزلّج = افتراض المُجازفة، إصابة إرادية (ضرر ألحقه بنفسه). الجليد = عنصر طبيعي. بعد أن تبدّدت احتماليّة رفع الدعوى. سأله تود: "هل كنت بمفردك؟".

"نعم". إهمال شخصي = لا أحد آخر يُلقى عليه اللوم. قال تود: "حسناً، حظاً مُوقفاً". سحب هاتفه، وادّعى الاتّصال بأحدهم، ومشى بعيداً. وحين مرّ بالقرب من زولا قال لها: "أخفقت المُحاولة الأمر يعتمد عليك". غادر الكافتيريا، وهو لا يزال يتكلّم على الهاتف. لقد كان مُحقّقاً، لا أحد يراهما، لم يهتمّ أحدٌ لما حصل.

وقفت ببطء وعدّلت نظارتها الطيّبة المُزيّفة. مُمسكةً بورقة في إحدى يديها، والهاتف في يدها الأخرى، مشت في أرجاء الكافتيريا. طويلة ونخيلة وترتدي ملابس أنيقة، امرأة جذابة. لم يستطع الرجل ذو الكاحل المجرّوح غضّ بصره عنها حين اقتربت منه وهي تتحدّث على الهاتف. ابتسمت حين مرّت بجانبه وبادلها الابتسامة. ثمّ عادت إليه بوجهٍ بشوش: "قل لي، هل أنت السيّد كرانستون؟".

ابتسم وقال: "كلا. اسمي أم سي فاول".
كانت تقف بجانبه مُحدّقةً إلى كاحله. قالت له: "أنا مُحامية ومن المُفترض
بسي مُقابلة السيّد كرانستون هنا عند الساعة 2:00"
"متأسّف. أنا الشخص الخطأ".

من الواضح أن السيّد أم سي فاول لم يكن كثير الكلام. قالت له: "لا بدّ
أنه كان حادث اصطدام سيّارة عنيفاً".

"ليس حادث سيّارة. لقد انزلت على بعض الجليد وسقطت في الفناء.
وكسرت كاحلي".

ياله من أحمق، فكّرت في نفسها، في حين تبخّرت دعوى أخرى. قالت
له: "اعتن بنفسك".
"شكراً لك".

عادت إلى طاولتها وقهوتها ودفنت وجهها في الأوراق. بعد دقائق عاد تود
وسألها بهمس: "هل حصلتِ على توقيعه؟".

"كلا. لقد انزلت على بعض الجليد".
"جليد، جليد، جليد. أين يكون الاحتباس الحراريّ حين تكون بحاجة؟".
"اسمع يا تود، أنا فقط لا أصلح لمثل هذا الشيء. يشعري الأمر أنني
جشعة".

"ذاك بالضبط ما نحن عليه".

ويلسون فيدرستون -طالب سنة ثالثة في فوغي بوتوم- وهو أحد أفراد مجموعة الأصدقاء السابقة. خلال سنتهم الثانية، اختلف وتود بسبب فتاة، فتوقفوا عن دعوته إلى حفلاتهم تدريجياً. لكنه لا يزال صديقاً جيداً، على الأقل بالنسبة إلى مارك، وهو لم يتوقف عن الاتصال بهم. ولم يكن ينوي التوقف، أخيراً وافق مارك على مُقابلته لتناول مشروب. مُتجنباً الحيّ القدم، اختار مارك حانة بجانب كاييتول هِل في وقتٍ مُتأخر من ليل الخميس، في حين كان تود يُقدّم المشروبات في حانة روستر، وزولا تبحث عن ضحية على مضض في مستشفى بوتوماك العام.

دخل مارك مُتأخراً ورأى ويلسون جالساً إلى المشرب، وقد شرب نصف كأسه.

قال ويلسون: "لقد تأخرت". وقد علت شفثيه ابتسامة عريضة وهو يصافحه بجرارة.

قال مارك وهو يجلس على الكرسيّ إلى جانبه: "من الجميل رؤيتك يا صاح".

"لماذا تطلق لحيتك؟".

"لا أستطيع إيجاد ما كينة حلاقة. كيف حالك؟".

"أنا بخير. السؤال هو، كيف حالك؟".

"أنا بخير".

"كلا، لست على ما يرام. لقد تغيّت عن الأسابيع الثلاثة الأولى من الحصص ونحن جميعاً نتحدّث عنك، وهذا ما حصل مع تود أيضاً، ما الذي يجري؟".

وقف ساقِي الحانة بجانبه وطلب منه مارك مشروباً. هزّ كتفيه وقال: "إني أخذ استراحة، هذا كلُّ ما في الأمر. لقد أربكني موضوع جوردي نوعاً ما، أتعلم؟".

"لقد انتقلت من شقتك. وتود كذلك الأمر. ولا أحد يرى زولا؟".
"لا أعلم ما الذي يفعلانه. كنا مع جوردي في النهاية ونحن نكافح، على ما أعتقد".

احتسى ويلسون من شرابه في حين وضع الساقِي كأس جعة أمام مارك. سأل ويلسون: "ما الذي حدث مع جوردي؟". مكتبة t.me/ktabpdf
حدّق مارك بكأس الجعة وفكّر في إجابة. وبعد بضعة ثوانٍ قال: "كان مُصاباً بثنائية القطب، وأقلع عن تناول أدويته، وكان وضعه سيئاً فعلاً. حصل على مُخالفة قيادة تحت تأثير الكحول، وقمنا بإخراجه بكفالة، أخذناه إلى شقّته، وبقينا برفقته. لم نعرف ما علينا فعله. أردنا الاتصال بعائلته، أو ربما بخطيبته، لكن ذلك أربعه أكثر. لقد هددي حين ذكرت فكرة الاتصال بعائلته في الديار. هرب بطريقةٍ ما في تلك الليلة، وقاد سيّارته نحو الجسر. كنا نقود في الأرجاء مرعوبين، مُحاولين إيجادَه، لكننا تأخرنا".

استوعب ويلسون ذلك وطلب مشروباً آخر. قال: "يا لفظاعة الأمر. هنالك بعض الثرثرة حول أنكم كنتم معه في النهاية. لم أعلم أن الأمر كان سيئاً إلى هذا الحد".

"استمررنا بمراقبته. لقد عزل نفسه في غرفة نومه. وكانت زولا تنام على الأريكة، وتود في الرواق. وأنا كنت أحتفظ بمفاتيحه في جيبي. كنا نحاول اصطحابه إلى طيب. لا أعلم ما كان بمقدورنا فعله أكثر من ذلك. يمكنك القول يا ويلسون، إننا لسنا على ما يرام هذه الأيام".
"أسف، ولكنني لم أركم في الجنّازة".

"كنا هناك، مُختبئين في شرفة الكنيسة. التقيت وتود بعائلته بعد حادثة سقوطه، وكان هناك كثير من الاتهامات وقد ألقى أغلبهم اللوم علينا. بالطبع، عليك أن تلوم أحدهم، صحيح؟ لذلك أردنا تجنبهم خلال الجنّازة".

"لم يكن ذلك ذنبكم".

"حسناً، لكنهم لا يوافقونك الرأي، وكما أن عليّ إخبارك يا ويلسون، أشعر بالذنب كثيراً الآن. كان علينا الاتصال ببريندا أو بوالديه". تأثر ويلسون بذلك وطلب كأس جعة أخرى. "لا أرى الأمر كذلك. ليس عليكم تحمّل ذنب انتحاره".

"شكراً، لكنني لا أستطيع نسيان الأمر".

"إذاً، ما الذي فعله، تهرّب من كليّة الحقوق ولا يفصلك عن التخرج سوى فصل واحد؟ فعلٌ ساذجٌ جداً يا مارك. اللعنة، لديك عملٌ ينتظرُك في الخريف، صحيح؟".

"كلا. لقد طُردت قبل أن أبدأ العمل حتى. اندمجت الشركة مع شركةٍ أخرى، وأعيد ترتيب الأمور من جديد، وتم استبعادي. يحصل هذا دائماً في هذه المهنة الرائعة".

"أنا متأسّف. لم أكن أعلم ذلك".

"لا عليك. لقد كانت الشركة طريقاً مسدوداً على أي حال. وماذا عنك، هل حظيت بإحدى الوظائف المعروضة؟".

"نوعاً ما. وجدتُ مكاناً في منظمة غير ربحية، سأقوم بالخدمات العامّة المزعجة وأتخلص من تسعين بالمئة من القرض".

"لعشر سنين؟".

"هذا ما يظنونه. خطّتي هي أن أقلّصها إلى ثلاث أو أربع سنوات، وسأبقي جباة القروض أولئك بعيدين عني، وأحاول الحصول على عملٍ حقيقيٍّ من جهةٍ أخرى. عاجلاً أم آجلاً، على السوق أن يتحسن يوماً".

"هل تصدّق ذلك فعلاً؟".

"لا أعلم ما عليّ تصديقه، لكن عليّ القيام بشيء وتدبّر أموري".

"بعد أن تنجح في امتحان القبول بالطبع".

"إليك الطريقة التي أنظر فيها إلى امتحان القبول يا مارك. السنة الفائتة، نصف طلاب فوجي بوتوم نجحوا فيه، ونصفهم رسب. وأظن أن ترتيبي من

بين النصف الأفضل، في حال أجبرت نفسي فسأتمكّن من النجاح. أنظر في أرجاء الكلية وأرى كثيراً من الحمقى، لكنني لست واحداً منهم. ولا أنت يا مارك. أنت شخصٌ لامعٌ جداً ولا تكثرث للعمل".

"كما قلت لك، لا أشعر بالحافز".

"حسناً، هذا ما تخطط له؟".

"ليس لديّ خطّة. إنني أمشي مع التيار. من المفترض بي أن أعود إلى الكلية في نهاية المطاف، بالرغم من أن فكرة دخول ذلك المكان تجعلني أشعر بالغيثان. ربما سأتغيّب فصلاً، وأعود لاحقاً. لا أعلم".

"لا يمكنك فعل ذلك يا مارك. إن تغيّيت فسيسجّلك جباة القروض من بين المتخلفين عن الدفع".

"أظن أنني متخلفٌ مسبقاً. أنظر إلى بيان قرضي وأرى أنني مدينٌ بربعمليون دولار ولا أملك أية فرصة عملٍ مجدّية. بالنسبة إليّ، فمن الطبيعي أن أكون متخلفاً عن الدفع. ثمّ وماذا لو حصل ذلك بحقّ السماء؟ يمكنهم مفاضاتي لكنهم لا يستطيعون قتلي. ففي السنة الماضية تخلف مليون طالب عن تسديد القروض، وعلى حدّ علمي، لا يزالون في الأرجاء، يعيشون ويتنفّسون".

"أعلم، أعلم. لقد قرأت الأخبار على الإنترنت". طلب كلاهما مشروباً ونظرا إلى انعكاسهما على المرأة التي تعلقو صفوف زجاجات الشراب.

سأل ويلسون: "أين تعيش الآن؟".

"هل تريد تعقبني؟".

"كلا، لكنني توقفت عند شقّتك. وقال أحد الجيران أنك اختفيت. وكذلك تود. هل رأيته؟ لم أعد أراه في الحانة".

"ليس مؤخراً. أظن أنه عاد إلى بالتيمور".

"هل الكلية؟".

"لا أعلم يا ويلسون. ذكر أنه سيستريح لبعض الوقت. أظن أن حالته مُزرية أكثر مني. هو وجوردي كانا مُقرّين جداً".

"إنه لا يجيب على هاتفه".

"حسناً، لستما بصديقين مُقربين تماماً".

"لقد تجاوزنا القصة. اللعنة يا مارك، إنني قلقٌ أتفهم؟ أنتما صديقايا يا رجل وقد اختفيتما فجأة".

"أقدّر ذلك يا ويلسون، يعني لي ذلك الكثير. لكنني سأكون على ما يرام، في نهاية المطاف. لستُ متأكداً بشأن تود".

"ماذا عن زولا؟".

"ما بها؟".

"حسناً، إنها مُختفية عن الأنظار أيضاً. لم يرها أحد. لقد انتقلت".

"إنني أتواصل مع زولا وهي في حال سيئة. كانت آخر شخص رأى جوردي على قيد الحياة، وهي تجد صعوبة بتقبل رحيله. وعلاوةً على ذلك، فإن والديها على وشك أن يُرحّلوا إلى السنغال. وهي بحال يُرثى لها".

"فتاةٌ مسكينة. كان جوردي غيباً بتوريطها معه".

"ربما، لا أعلم. ما من شيء يبدو منطقياً الآن". احتسب الشراب ولم ينبسأ بنت شفة لوقت طويل. في المرأة، لمح مارك وجهاً مألوفاً على إحدى الطاوات في المكان. وجهاً جميلاً، وجهاً رآه في قاعة المحكمة. هادلي كافينيس، مساعدة المدعي العام، المرأة التي تتولّى قضيةً مخالفة السرعة العائدة لبريستون تاير. التقت عيونهما لوهلةٍ ونظرت بعيداً.

حدّق ويلسون إلى ساعة يده وقال: "اسمع، يحزني ذلك كثيراً. عليّ الذهاب بسرعة. ابقَ على اتصال بي رجاءً يا مارك، وفي حال كان باستطاعتي المساعدة في شيءٍ فأعلمني. حسناً؟". أنهى كأس الجعة ووضع عشر دولارات على المشرب.

"لك ذلك يا ويلسون. شكراً لك".

نهض ويلسون، وربّت على كتفه، ثم غادر. نظر مارك إلى المرأة ولاحظ أن هادلي كانت تجلس مع ثلاث سيداتٍ يافعاتٍ أخريات، يستمتعن جميعاً باحتساء الشراب وتبادل الأحاديث. التقت عيونهما مجدداً.

بعد نصف ساعة، دفعت السيدات الحساب وغادرن. وبعد أن غادرن، استدارت هادي ومشت نحو المشرب. سألته: "أنتظر أحداً؟". "نعم، أنت. تفضلي بالجلوس". مدّت يدها لتصافحه وقالت: "هادي كافينيس". صافحها وقال: "أعلم ذلك. مارك أبشو. هل يمكنك أن أطلب لك شراباً؟". عدّلت جلستها وقالت: "بالطبع". أشار مارك للسّاقى وقال: "ماذا تفضلين أن تشربي؟".

ذكرت له اسم الشراب. "وأنا سأطلب جعة أخرى". غادر السّاقى فتبادلا النظرات. قالت: "لم أرك في الجوار مؤخراً". "حسناً، أكون هناك كلّ يوم، وأحتال على القانون". "هل أنت جديد؟".

"منذ سنتين. كنت مع مكتب مُحاماة ثمّ سئمت الضغوط. والآن لديّ عملي الخاص وأحظى ببعض المرح. وأنت؟". "إنها سنتي الأولى في مكتب المدّعي العام، فأنا عالقة في محكمة السير، وأشعر بالضجر. لا أفضي وقتاً جيّداً فقط أسدّد الفواتير. من أي كلية حقوق تخرجت؟".

"ديلاوير. أتيت إلى المدينة الكبيرة لأغيّر العالم. وأنت؟". أمل ألا تكون من خريجي فوغي بوتوم.

"كنتاكي، خريجة في الحقوق. أتيت إلى هنا من أجل العمل في كاييتول هل لكنني لم أفلح. حالفني الحظّ ووجدت مكاناً في مكتب المدّعي العام. أمل أن يكون مؤقتاً فقط".

وصل الشراب. تبادلوا الأنخاب، وشربا منها.

"وماذا بعد ذلك؟".

من يعمل في هذه المدينة؟ إني أراقب حركة السوق، وأبحث عن فرص العمل، كمثل آلاف الناس. إن سوق العمل ضعيفة هذه الأيام".
بلا مزاح، فكر مارك. عليك أن تذهبي لتري فوجي بوتوم. "سمعت عن ذلك".

"وماذا عنك؟ لا تقل لي أنك تنوي اتخاذ الدفاع عن السائقين السكارى مهنة لك".

ضحك مارك وكأنه أمرٌ فكاهي: "ليس تماماً. لديّ شريكٌ ونودّ الخوض في قضايا الإصابات الشخصية".
"ستبدو وسيماً على لوحة إعلانات".

"ذاك هو حلمي. بالإضافة إلى الإعلانات التلفزيونية". كانت قد شربت عدّة كؤوس وهي تجلسُ قرية منه، لتلامسه تقريباً. ساقاها كانتا متصلبتين وتنورتها كانت قصيرةً جداً. ساقان جذابتان. طلبت مشروباً، ووضعت نظارتها على المشرب، وسألته: "ألديك خُططٌ لهذه الليلة؟"
"لا شيء مُطلقاً. وأنتِ؟".

"أنا مُتفرّغة. لديّ شريكة سكن تعمل لدى كينسوس بوريو وتبقى خارجاً طوال الوقت. أكره حقاً البقاء وحدي".
"لا تريدين هدر الوقت".

"ولم هدر الوقت؟ طالما كلانا يفكر بالأمر نفسه".
دفع مارك الحساب، وطلب سيّارة أجرة. وحين كانا في الطريق، أمسكت بيده ووضعتها على أحد فخذيها العارين. فقهقه وهمس قائلاً: "أحبّ هذه المدينة. فيها كثير من النساء الفاتنات".
"مهما كان ما تقوله".

توقفت السيّارة أمام مبنى سكني شاهق في الشارع الخامس عشر. دفع مارك أجرة السائق، وأسرعاً في الدخول، ذراعاهما متشابكان كما لو أنّهما يعرفان بعضهما منذ شهور. تبادلوا القبل في المصعد، ثمّ تبادلوا القبل مُجدّداً في

غرفة المعيشة الصغيرة، وكانا متفقين أنهما لا يريدان مشاهدة التلفاز. بينما كانت تخلع ملابسها في الحمام، حاول مارك أن يعث برسالة سريعة لتود: لقد حالفني الحظ. لن أكون في المنزل الليلة. أحلاماً سعيدة.

أجاب تود: من هي الفتاة؟

مارك: من المفترض أنك ستقابلها قريباً.

في تمام الساعة التاسعة والنصف، كان تود أمام الدائرة السادسة التي يعج رواقها بمجموعة الرعاع المعتادة من المتهمين، برفقة العديد من المحامين الذين يستغلون الحشد. حاول أن يحتال على امرأةٍ بدت كأنها تذرف الدموع. وحين هزّت رأسها أخيراً رافضةً، تراجع ولاحظ شريكه يراقبه من بعيد. مشى تود نحوه وقال: "ثلاث محاولاتٍ فاشلة. صباحٌ غير موفق. تبدو مُرهقاً. هل بقيت مستيقظاً طوال الليل؟".

"لقد كان الأمر رائعاً. سأخبرك عنه لاحقاً. أين زولا؟".

"لم أتحدث إليها هذا الصباح. لقد كانت نائمة، فهي تسهر كثيراً في المستشفيات".

"أتظن أنها حقاً تحاول اصطيد الموكّلين. أم أنها تقرأ كتاباً فقط؟ أعني لم تتمكن حتى الآن من الحصول على أي موكل".

"لا أعلم. فلنؤجل ذلك لوقتٍ آخر. سأنزل إلى الدائرة". مشى تود بعيداً، ويده حقيقية، وبعد عدّة خطواتٍ سحب هاتفه المحمول كما لو أن لديه عملاً مهماً. نزل مارك إلى الدائرة العاشرة ودخل. كان هاندلفورد يترأس جلسة ويتوجّه بالحديث إلى أحد المتهمين. كالعادة، كان المحامون والكتاب يجمون حول المنصة، ويقبلون الأوراق، وكانت هادلي هناك، تتحدث مع مدّع عامٍ آخر. وحين رأت مارك، ابتسمت ومشت نحوه. جلست إلى طاولة الدفاع كما لو أن لديهما عملاً مهماً.

منذ بضع ساعاتٍ فقط، كانا ينهاران من الإرهاق، وناما بسعادةٍ مُتشابكين وعارين. أما الآن فكانت نشيطةً ومفتوحة العينين، وتبدو مهنيةً جداً، بخلاف

مارك الذي بدا مرهقاً بعض الشيء.

بصوتٍ خافت، قالت له: "أعلم ما تفكّر به والإجابة هي لا. وأنا الليلة مرتبطة بموعد".

قال مُبتسماً: "لم أفكر في الأمر ولكن رقم هاتفي عندك".
"لديّ كثير من الأرقام".

"صحيح. هل لنا أن نناقش أمر مُوكلي بينسون تاير؟".

"بالطبع. لا أتذكّره. دعني أحضر الملف". وقفت ومشيت نحو طاولة الكتاب حيث فتّشت داخل درج ملفاتٍ كبير. وجدت ملف تاير وعادت إلى طاولة الدفاع. وهي تتفحصه، قالت: "هذا الشاب كان مُحلّقاً، ألم يكن؟ يقود بسرعة خمسة وثمانين ميلاً في منطقة يسمح فيها بأربعين ميلاً في الساعة. إن ذلك فعلٌ متهورٌ وقد يتسبّب في إدخاله إلى السجن لبعض الوقت".

"أعلم ذلك. إليك الاتفاق. إن برينسون شابٌ أسمر ويمتلك عملاً جيّداً. إنه ينقل البضائع، وفي حال قبض عليه فسيخسر عمله. هل يمكنك تخفيض همته؟".
"أيّ شيءٍ من أجلك. ماذا عن تجاوزٍ بسيطٍ للسرعة؟ ادفع غرامةً صغيرة، واطلب من الرجل أن يقود بترو".

سألها مارك مبتسماً: "أهدأ كلّ شيء؟".

انحنت مُقتربةً منه وقالت: "بالطبع. أرض المدّعية العامة وستحصل على صفقاتٍ جيدة، مني أنا على الأقل".

"وهل على القاضي أن يوافق على هذا؟".

"مارك، إنها محكمة السير أتفهم؟ وليست محكمة الجنايات. سأعرض هذا على هاندلفورد العجوز ذاك هناك ولن ينطق بكلمة".

"أحبك عزيزتي".

"هذا ما يقولونه جميعاً".

كان بينسون يتناول شطيرة في أحد مقاهي جادة جورجيا خلال فترة استراحة الغداء. بدا أنيقاً حينها في زيّ عمله، وبدا سعيداً بمقابلته مارك وسؤاله عن الأخبار الجيدة. سحب مارك أمراً قضائياً من حقيبته وقال: "لقد أحرزنا بعض التقدم. هل لديك باقي الأتعاب؟".

مدّ بينسون يده إلى جيبه، وسحب بعض المال. ناوله إياه قائلاً: "سبعمئة". أخذ مارك المال وقال: "خُفّضت جميع التهم إلى مخالفات. لا تقدر بتهور مرة أخرى فلا داعي للسجن بالإضافة إلى غرامة قدرها 150 دولاراً تُدفع في غضون أسبوعين".

"هل أنت جاد؟".

ابتسم مارك، ونظر إلى النادلة التي ظهرت فجأة وقال: "شطيرة لحم مقدد مع الخس وكوب من القهوة". عندها اختفت النادلة بصمت كما ظهرت.

سأل بينسون: "كيف فعلت هذا؟".

لقد أقام مارك علاقة مع مساعدة المدعي العام، ورغب بالتباهي بالأمر، ولكنه أثر الصمت. "ساومت المحكمة، وأخبرت القاضي أنك رجل صالح، وأن عملك جيد وما إلى ذلك، فأعطاك فرصة. لكن لا مزيد من بطاقات المخالفة يا بينسون، أتفهم؟".

"كم أنت بارع يا مارك، هذا رائع".

"لا تضخم الموضوع بينسون، لقد حالفني الحظ، فعندما تحدثت إلى القاضي كان في مزاج جيد، ولكن هذا لا يحصل دائماً".

"أعدك لن يكون هناك مرة أخرى، لا أصدق ما حصل، كنت واثقاً أنني سأفصل وأخسر كل شيء".

مرر مارك ورقة على الطاولة وأعطاه قلماً: "هذا هو الأمر القضائي. وقّع في الأسفل، ولن تضطر للذهاب إلى المحكمة".

وقّع بينسون وابتسامة عريضة تعلو شفثيه. "لا أستطيع الانتظار حتى أخبر أمي، فهي تغرقني بالأسئلة المزعجة منذ أن قبض عليّ. أتعلم يا مارك، إنها تحبك! لقد قالت يجيد هذا الشاب ما يقوم به. سيصبح محامياً بارعاً".

"من الواضح أنها ذكية جداً". أخذ مارك الأمر القضائي ووضعه في حقيبته. قضم بينسون قزمة من الشطيرة، وارتشف رشفة من كوب الشاي المثلج، ثم مسح فمه بالمنديل ثم قال: "مارك، هل تتولى أنواعاً أخرى من الدعاوى؟ دعاوى كبيرة مثلاً؟".

"بالطبع. تتولى الشركة التي أعمل لديها دعاوى متعددة. لماذا تسأل؟". نظر بينسون حوله وكأن أحداً يهتم لأمر قصته: "حسناً، قريسي في فرجينيا من منطقة تايد ووتر عالتق في ورطة كبيرة. هل لديك وقت لأخبرك القصة؟".

أجاب مارك: "إنني بانتظار طعامي، تفضل؟". "لقد أنجبت زوجته طفلاً، وبعد الولادة ساءت أمور المولود، لم تكن الولادة ناجحة، ومات الطفل بعد يومين بالرغم من أن فترة الحمل كانت جيدة. كانت صدمتهما كبيرة فقد كان طفلهما الأول، وكان صيباً، وقد رزقا به بعد محاولات عدة للإنجاب. تدهورت حال الأم النفسية، وانقلبت حياة الزوجين من نعيم إلى جحيم، لم يتمكنوا من التعامل بشكل جيد مع الوضع، وانتهى بهما الأمر مطلقين. كان طلاقاً سيئاً وهما حتى اليوم لا يزالان يتخبطان. انتهى الأمر بقريسي بمعاقرة الشراب، أما طليقته فتسير بخطأ وثيدة نحو الجنون، إنهما يعيشان مأساة بكل ما للكلمة من معنى. حاولا معرفة ما حصل خلال الولادة، لكن المستشفى لم يفصح عن كثير من المعلومات، بل كان يتملص من الإجابة عن الأسئلة في كل مرة. وكلاً محامياً، لكنه لم يقدم الكثير، أخبرهما أن قضايا الأطفال المتوفين مضيعة للمال، وأنه من الصعب مقاضاة الأطباء في المستشفيات، لأن بحوزتهم السجلات، بالإضافة إلى أنهم يعينون أفضل المحامين الذين يقنونك

عالقاً في المحاكم إلى الأبد. استسلمت الأم الثكلى، وقررت عدم سلوك درب المحاكم، لكن قريبي يريد أن يعرف ما حصل لوليدته، ويريد المضي قدماً بدعوى أو شيء من هذا القبيل، لكنه محطم هو الآخر. هل صحيح أن دعاوى الأطفال المتوفين مضيعة للمال ولا نتيجة تُرجى منها يا مارك؟

لم يكن لدى مارك فكرة عن ذلك، لكن القصة أثارت اهتمامه. تحدث كمحام حقيقي فقال: "هذا يعتمد على وقائع القضية. سأحتاج إلى رؤية السجلات".

"إنها بحوزة قريبي، لديه حقيبة كاملة من الأوراق التي سلمها المستشفى إلى محاميه أو بالأحرى محاميه السابق، فقد عزله، والآن يسعى وراء توكيل آخر. هل تستطيع إلقاء نظرة".
"بالطبع".

وصلت شطيرة اللحم المقدد مع شرائح البطاطا والمخلل، لكن القهوة لم تصل. قال مارك للنادلة: "شكراً، لكنني طلبت كوباً من القهوة".
قالت النادلة متذمرة: "حسناً". ومن ثم غادرت.

قضم كل من مارك وبينسون قضمة من شطيرته، وبعدها سأل مارك: "ما اسم قريك؟".

مسح بينسون فمه ثم أجاب: "رامون تاير، نتشارك اسم العائلة ذاته، إنه ابن شقيق أبي، لكنهما غادرا المنطقة. يناديه الجميع ديغر (الحفار)".
"ديغر؟".

"أجل. عندما كان صغيراً، أخذ مجرفة صغيرة، ونبش عدة أزهار من الفناء الخلفي لمنزل أحد الجيران، سرقها وحاول أن يزرعها مجدداً إلى جانب الطريق. ولا يزال اللقب يرافقه حتى الآن".

أخيراً، وصلت القهوة وقال مارك شكراً. سأله: "هل هو مشاكس".
ضحك بينسون وقال: "يمكنك قول هذا. لطالما سبب ديغر المشاكل. قضى فترة في سجن الأحداث، لكنه ليس بالشخص السيئ. ليس لديه سجل إجرامي فعلي. كان يبلي بلاءً حسناً، متزوج وأموره وزوجته مستقرة إلى أن مات

مولودهما. بعد الطلاق، انتقلت الأم إلى تشارلتون، ووصل ديغر إلى هنا منذ بضعة أشهر. يعمل بدوام جزئي في أحد متاجر المشروبات، وهذا أكثر عمل عليه الابتعاد عنه. فهو مدمن على الفودكا. أنا قلق عليه".
"أهو الآن هنا في المقاطعة؟"

"أجل. يعيش عند الناصية مع امرأة مجنونة".
أثناء قضم مارك قضمة من المخلل، أخبره حدسه أن يرفض التعامل مع ديغر ومشاكله، لكنه كان فضولياً: "سألقي نظرة".

بعد يومين، عاد مارك إلى المقهى. لم يكن هناك أحد سوى شاب أسود يجلس إلى طاولة وأمامه مصنف كبير. اقترب منه مارك وقال: "لا بد وأنك ديغر".

تصافحا وجلس مارك. قال ديغر: "أفضّل اسم رامون. ليس ديغر بالاسم المناسب لشاب أسود. والأسباب واضحة".
"حسناً. هذا من حقلك. أدعى مارك أبشو، تشرفت بلقائك يا رامون".
"وأنا أيضاً".

كان يعتمر قبعة 'بيريه' تميل نحو الأسفل والأمام، لتستند حافتها على إطار دائري أسود لنظارة طبية. خلف النظارة بدت عينا رامون جاحظتين ومحمرتين. بادر رامون بالقول: "يقول بينسون أنك محام جيد، وأنك أنقذت عمله".
ابتسم مارك، وحاول أن يفكر بشيء مناسب عندما جاءت النادلة ذاتها.
"أريد كوباً من القهوة. وأنت يا رامون؟".
"لا شيء. الماء فقط".

بعد أن غادرت النادلة، حدّق مارك إلى عينيّ رامون، بالرغم من سلامة نطقه، لكن احمرار العينين كان دليلاً واضحاً على معاقرة الشراب. قال مارك:
"أخبرني بينسون القليل عن القضية تبدو شائكة".

"هذا صحيح. حدث شيء ما أثناء الولادة، ولست واثقاً أنني سأعرف ما هو، فأنا لم أكن موجوداً".

انتظر مارك قليلاً، وعندما رأى أنه لن يردف قصته تلك بجملة أخرى قال:
"هل لي أن أسألك عن سبب عدم وجودك هناك؟".

"لنقل فقط أنني لم أكن هناك، وأنه لم يكن ينبغي عليّ أن أكون هناك. لم
تتخط آسيا المسألة، ولامتني، تقول لو كنت موجوداً لكنت تأكدت من أن
المستشفى يقوم بالأمر كما يجب".
"آسيا هي زوجتك السابقة؟".

"صحيح. دخلت المخاض قبل أسبوعين من الوقت المحدد، بعد منتصف
الليل وُلد الطفل بسرعة. كان المستشفى مزدحماً جداً، فقد ترافق مخاضها مع
حادثة إطلاق نار وحادث سيارة ولم نعلم قط ما الذي حصل، يبدو أنهم
أهملوها، وعلق الطفل أثناء خروجه، وانقطع عنه الأكسجين". ربت على
المصنّف، وتابع: "مع أن التفاصيل مدونة هنا، لكننا اكتشفنا أن المستشفى قد
تستر على الأمر".

"اكتشفتهم؟ من تقصد بأنتم؟".

"الحامي السابق الذي عزلته. بعد كل هذا جن جنون آسيا، وطردتني من
المنزل، وتقدمت بدعوى طلاق. عيّنت محامياً وساءت الأمور. حصلتُ على
مخالفة للقيادة تحت تأثير الكحول. فعينت محامياً آخر، هناك الكثير من المحامين في
حياتي، لكن ليس لديّ القدرة على تحمل تكاليف دعوى كبيرة. ربت مجدداً
على المصنّف".

وصلت القهوة وارتشف مارك منها رشفة. "أين هو المحامي الأول؟".

"في نورفوك. أراد خمسة آلاف دولار ليدفع لخبير ليلقي نظرة على
السجلات. لم يكن معي المبلغ، وبصراحة لم يعجبني المحامي، فهو لم
يكن يجيب على الاتصالات، وبدا مشغولاً جداً. هل ستطالبني بالمبلغ
نفسه؟".

"لا". أجاب مارك فقط كي يطيل الحديث معه. لم تكن لديه فكرة كيف
سيستأنف قضية مهملة لكنه، وكالمعتاد، افترض أنه قد يتعلم ذلك أثناء متابعة
القضية. خطط مارك ليكلف بالقضية، ويطلع على السجلات، ويرى إن كان

هناك أمل بالفوز بها، سيحيل الدعوى إلى محامٍ حقيقي مختص في الإهمال الطبي.

وإذا ما استؤنفت القضية، سيكون قد تدخل هو وشريكاه بأقل قدر ممكن على أمل أن يتلقوا يوماً ما أجراً لقاء أتعابهم. أجل، تلك كانت الخطة. "وهل علاقتك منقطعة بأسياً؟"

"أجل. فقد رحلت منذ وقت طويل. ولا نتواصل أبداً."

"هل ستنضم إلينا إذا ما رفعنا دعوى؟"

"لا، هذا مستحيل. لا تريد أن يكون لها يد في الموضوع بأي شكل من الأشكال. هي تسكن في تشارلستون مع عائلة ما، وآمل أنهم يحاولون مساعدتها. إنها مجنونة يا سيد أبشو. فهي تسمع أصواتاً غير موجودة وهذا شيء من الجنون. هذا محزن لكنها لا تحتل النظر إلي، وقالت لي عدة مرات إنها لن تذهب أبداً إلى المحكمة."

"حسناً، لكن في النهاية، إذا ما وصلنا إلى تسوية، سيكون نصف المال من حقها."

"ولماذا هذا؟ فأنا من سيرفع الدعوى، لماذا تحصل على شيء من دعوى رفضت أن ترفعها؟"

"هذا ما يفرضه القانون". أجاب مارك من دون أدنى فكرة عن السبب. لكن شيئاً ما من كلية الحقوق كان يتسلل إلى ذاكرته، فبالكاد تذكر من سنته الأولى قضية من قضايا تعويضات الأضرار. "دعنا نؤجل قلقنا بهذا الشأن إلى وقت لاحق. فما نحتاج إليه الآن هو أن نتابع التحقيق. فأني تسوية ستكون في المستقبل البعيد."

"لا يبدو هذا صحيحاً."

"هل تريد أن نستأنف الدعوى؟"

"بالطبع، ولهذا السبب أنا موجود هنا. هل تريد هذه القضية؟"

"لهذا السبب أنا موجود هنا."

"حسناً، اتفقنا. والآن أخبرني ما الذي سيحصل."

"حسناً. أولاً ستوقع عقداً للخدمات القانونية مع الشركة التي أعمل لديها، وهذا سيعطيني الصلاحية لأطلب الاطلاع على السجلات من المستشفى لأراجعها، فإذا كان هناك أمل بالربح فسيكون لنا حديث آخر. سنقرر حينها إن كنا نريد أن نرفع دعوى".

"كم يستغرق كل هذا؟".

أجاب من دون أدنى فكرة: "عدة أسابيع، نحن لا نجلس ومنتظر يا رامون بل نتحرك بسرعة".

"ألا تريد سلفة؟".

"كلا. بعض الشركات تطلب مقدم أتعاب أو بدل مصاريف، لكننا لسنا إحدى تلك الشركات. ينص عقدنا على طلب 31 بالمئة إذا حصلنا على تسوية وعلى 40 بالمئة إذا حوّلت القضية إلى المحكمة. تكون هذه قضايا معقدة يسيطر عليها أصحاب الأموال الطائلة. وهذا النوع من الإجراءات مكلف للغاية. سنتكفل بالنفقات الضرورية ومن ثم نستردها بعد التسوية. هل يناسبك هذا؟".

ارتشف رامون رشفة ماء، ونظر إلى النافذة، وبينما كان يفكر، سحب مارك عقداً مليئاً بالفراغات من حقيبته. أخيراً رفع رامون نظارته السمكية، ومسح عينيه بمنديل ورقي. وقال بهدوء: "الوضع سيء جداً يا سيد أبشو".

"أرجوك، نادني مارك".

احتلجت شفاته وقال: "حسناً يا مارك. كانت الأمور بيني وبين آسيا على خير ما يرام. لقد أحببتها حقاً، وسأظل أحبها، لم تكن قوية بل طيبة وجميلة، إنها لا تستحق ما حل بها، لا أعتقد أن أحداً يستحق ذلك، كنا مستعدين تماماً لجاكي، فقد كنا نحاول الإنجاب منذ فترة طويلة".

"جاكي؟".

"سمينا المولود جاكسون تاير وكنا سندعوه جاكي، تيمناً بجاكي روبينسون. لم نتوقع أن يحصل كل ما حصل".

"أعدك أن نكتشف ما حصل يا رامون".

ابتسم رامون، وعض على شفته السفلى، ومسح عينيه مجدداً، وأعاد وضع نظارته. التقط القلم ووقع العقد.

مساءً وكعادتهم، اجتمع الشركاء الثلاثة حول الطاولة ذاتها في ركن قصي من حانة روستر ليناقدشوا ما قام به كل منهم. شرب مارك وتود الجعة أما زولا فشربت عصيراً. بعد ثلاثة أسابيع من ممارسة المحاماة من دون ترخيص وبشكل مخالف للقانون، تعلموا أشياء كثيرة، وكانوا مرتاحين بعض الشيء. مهمهم؛ كانت زولا أقل ارتياحاً من الباقين. لقد زال الخوف تقريباً من أن يُكشف أمرهم بالرغم من أنه كان يظهر بين الحين والآخر. حضر مارك وتود بانتظام إلى المحاكم الجنائية شأنهما شأن آلاف المحامين، وأجابا عن الأسئلة نفسها التي طرحها القضاة الضجرون، وعقدا صفقات سريعة مع المدعين العامين، ولم يبدِ أي منهم اهتماماً بمؤهلاتهما، كما وقعا على أوامر قضائية ومعاملات أخرى مستخدمين أسماء مزيفة، وجابا القاعات بحثاً عن الموكلين، وغالباً ما صادفا محامين آخرين، وبسبب انشغال الجميع لم يشك بهما أحد. بالرغم من انطلاقتهما السريعة، فقد تعلموا على الفور أن العمل صعب. ففي الأيام الجيدة قد يجمعان من الموكلين مبلغاً يقارب الألف دولار، وفي الأيام السيئة قد لا يحصلون على شيء أبداً. وهذا شيء معتاد.

ضيقت زولا مجال بحثها إلى المستشفيات الثلاثة الأكثر ازدحاماً؛ المستشفى الكاثوليكي، والمستشفى العام، ومستشفى جورج واشنطن، وبالرغم من أنها لم تحظَ بموكل بعد، إلا أنها كانت متحمسة ففي العديد من المرات كانت قريبة جداً من تحقيق مرادها. لم تكن سعيدة بما تقوم به، لكن لم يكن أمامها خيار آخر. فمارك وتود يبدلان قصارى جهودهما لإنجاح العمل، وشعرت أنها مجبرة على المساهمة بشيء ما.

تناقشا مطولاً حول كم مرة يجب أن يشاهدا يتصيدان الموكلين المحتملين وأن يقفا أمام القضاة. فمن جهة اعتبرا أن الإلفة قد تقف إلى جانبهما. ومن جهة أخرى كلما زاد عدد لقاءاتهما مع المحامين، والكتابة والمساعدين القضائيين

والمدعين العامين والقضاة سيزيد عدد الأشخاص الذين قد يسألون يوماً ما السؤال الخطأ. وماذا قد يكون هذا السؤال؟ يمكن لأحد الموظفين الضجرين أن يسأل: "ما هو رقم ترخيصك؟ فالرقم الذي أدخلته غير موجود في النظام". كان هناك مئة ألف محام منضمين لرابطة محامي العاصمة ولكل منهم رقم يضاف إلى كل أمر قضائي.

بالطبع استخدم مارك وتود أرقاماً وهمية. لكن أعداد المحامين الكبيرة حالت دون كشف أمرهما، ولم يشك الكتبة والمساعدون القضائيون بأمرهما حتى الآن. ولكن يمكن لأحد القضاة أن يسأل: "متى اجتزت اختبار القبول في رابطة المحامين يا بني؟ فأنا لم أرك هنا من قبل". لكن حتى الآن لم يبد أي قاض اهتماماً أو يظهر أي شكوك، أو يمكن لأحد مساعدي المدعي العام أن يسأل: "حسناً، ديلاوير للحقوق؟ لي صديق ارتاد تلك الجامعة. هل تعرف فلان وفلان؟" لكن المساعدين مشغولون جداً كي يبدأوا بحديث سخيف كهذا، وكان تود ومارك يقيان محادثتهما قصيرة ومقتضبة. لكن لم يكن هناك عائق بين الأسئلة والجماعة الأهم: الموكلين.

ارتشفت زولا من مشروها الغازي وقالت: "حسناً، لدي اعتراف لأدلي به. أعتقد أنني نفذت عملية فريدي غارسيا". قال تود ضاحكاً: "أوه، أخبرينا".

"كنت الليلة الماضية في مستشفى جورج واشنطن، فوجدت شاباً أسود وفاتة جالسين إلى الطاولة يتناولان البيتزا. كانت الكدمات والضمادات تغطي جميع أنحاء جسمها وجروح على وجهها وتضع مقوماً للعنق. لا بد أن ذلك بسبب حادث سيارة. لذا، توجهت نحوها وقمت بخطواتي الخاصة إلى أن شرعاً بالكلام. وعلمت أن سيارة أجرة صدمتها، وهما الآن غارقان بأمور التأمين وإلى ما هنالك. وابتتهما البالغة من العمر ثمانية أعوام موجودة في الطابق العلوي في العناية المشددة. ومع الوقت تبين لي أن القضية تصبح أدمم فأدسم. ومن ثم سألاني عن سبب وجودي في كافيتريا المستشفى، وهنا ألقيت جملي باحترافية. أُمي مريضة، وفي النزاع الأخير، وأنا أنتظر قرب فراش موتها. أعطيتها بطاقتي،

وتواعدنا أن نتواصل لاحقاً، عندها رن هاتفني، وانطلقت بسرعة لأطمئن على والدتي العزيزة. غادرت المستشفى والابتسامة العريضة ترسم على وجهي لأنني حصلت على قضية دسمة".

توقفت عن الكلام لبرهة لتجعلهما ينتظران ومن ثم تابعت: "مساء اليوم، رن هاتفني، ولكن لم يكن اتصالاً من زبائني الجدد بل من محاميهما. يبدو أنهما كانا قد عيّنا محامياً. محامياً قديراً يدعى فرانك غيرسون. ويا إلهي كم هو منزعج وقلق".

ضحك مارك. قال تود: "لقد فعلتها حقاً_ عملية فريدي غارسيا أخرى".
"أجل. فقد أهمني بمحاولة سرقة موكله. نفيت الأمر، وقلت إننا كنا نتبادل أطراف الحديث فحسب، بينما كنت آخذ استراحة من مراقبة والدتي المريضة. فسألني لم أعطيتهما بطاقتي؟ ومن هم أبشو وباركر ولاين؟ وقال إنه لم يسمع بهم من قبل. في النهاية، أقلت الخط. اسمعا يا شباب، أنا غير ناجحة في هذا. عليكم إيجاد اختصاص آخر لي. بعض عمال الكافتيريا بدأوا يرمقوني بنظرات مزعجة".
قال مارك: "خلقت لهذا العمل يا زولا".

أضاف تود: "إنك فقط بحاجة إلى قضية كبيرة واحدة. نحن نقوم بأعمال مقابل مبالغ زهيدة بينما تلاحقين أنت القضايا الكبرى".
"أشعر بأنني مُطاردة. هل هناك شيء آخر يمكنني فعله؟".
قال تود: "لم يخطر ببالي شيء. لا يمكنك الاصطياد في المحكمة الجنائية مثلنا نحن لأنه أمر يخص الشباب وقد تلفتني الكثير من الانتباه".
قالت: "أصلاً لن أقوم بما تقومون به".

قال مارك: "لا أتخيلك محامية طلاق. لأنك حينها ستحتاجين لمكتب، لأن أمور موكلي قضايا الطلاق تأخذ وقتاً طويلاً، ويتطلب الأمر كثيراً من الوقت والمتابعة".

سأل تود: "وكيف تعرف ذلك؟".

"درست في فوجي بوتوم".

قالت زولا: "أخذت علامة جيد في مادة قانون الأسرة".

قال تود: "وأنا أيضاً على الرغم من أنني تغيرت عن نصف الدروس."
"ألا يمكننا استئجار مكتب صغير كي أستطيع تولي قضايا الطلاق؟"
قال مارك: "لنتحدث عن هذا لاحقاً. لديّ شيء علينا أن نناقشه. أعتقد أنني حصلت على قضية كبيرة جداً".

قال تود: "أتخفنا".
أخذ مارك يتحدث عن رامون، وفي النهاية سحب عقداً للخدمات القانونية، وأشار إلى التوقيع في أسفله. قال بفخر: "موقعه بأكمله". تفحصه كل من تود وزولا وراودهما آلاف الأسئلة.
سألت زولا: "وما الخطوة التالية؟".

أجاب مارك: "علينا أن ندفع بعض المال. سيكلفنا الخبر ألفي دولار. كنت أبحث على الإنترنت ووجدت العديد من الأشخاص، معظمهم أطباء متقاعدون، ووظيفتهم الوحيدة هي العمل لدى الشركات القانونية في سير القضايا التي تخص الإهمال الطبي. والعديد منهم موجود في هذه المقاطعة. علينا أن ندفع بعض المال للحصول على رأي خبير، وإذا كان هناك إمكانية للربح نُحيل القضية إلى محام محترف".

سألت زولا: "وكم سنحني لقاء ذلك؟".
"نصف الأتعاب. هكذا يتعامل محامو قضايا الأضرار، عن طريق الإحالة. المبتدئون مثلنا يبحثون عن القضايا، ثم يسلمونها إلى الأشخاص الذين يعرفون التعامل معها ومن ثم يجلسون منتظرين حصتهم".

بدا تود متردداً: "لا أدري. إذا تدخلنا في قضية كبيرة من الممكن أن يفتضح أمرنا. إذا وضعنا أسماءنا على الدعوى، فسيراها العديد من الأشخاص. محامو الدفاع وشركات التأمين والقاضي. لا أدري. يبدو في الأمر مخاطرة".

قال مارك: "لن نضع أسماءنا على الدعوى. سنطلب من المحامي ألا يقحمنا في الموضوع. لا بد أن ينجح الأمر هكذا، صحيح؟".

قال تود: "لا أدري، فنحن لا نعرف ما ستؤول إليه الأمور. بالإضافة إلى أنني لست متأكداً من أنني أريد دفع ألفي دولار".

سألت زولا مع ابتسامة خفيفة: "هل يمكن أن يُغدر بنا؟".

"بالطبع لا. سنستعين بخبير مختص بالإهمال الطبي. هناك الكثيرون من الخبراء في هذه المقاطعة منهم ممن لا يفعلون شيئاً سوى مقاضاة الأطباء والمستشفيات. محامون حقيقيون. بالله عليك يا تود. لا أرى مخاطرة في الأمر. يمكننا أن نعمل بشكل سري، ولا نظهر أنفسنا، ونجعل شخصاً آخر يقوم بالعمل، وبعد أن تنتهي نشرع بجمع بدل أتعابنا".

"وكم المبلغ؟"

"من يدري؟ لنقل إن هناك إهمالاً فاضحاً من قبل الأطباء والمستشفى. ولنقل إننا وصلنا إلى تسوية بمبلغ ستمئة ألف دولار، فقط لنبقي الحسبة بسيطة، ستكون حصتنا مئة ألف دولار، وكل ما قمنا به هو إحالة قضية إلى محام مختص".

قال تود: "أنت تحلم".

"وما العيب في ذلك؟ ما رأيك يا زولا؟".

أجابت: "كل حركة تعد مخاطرة في هذه اللعبة. في كل مرة نقف فيها أمام القاضي وندعي أننا محامون نخاطر أكثر. أنا أقترح المضي قدماً". سأل مارك: "هل أنت معنا يا تود؟".

أهوى تود كأسه وعابن شريكه. منذ أن أسسوا شركتهم أبشرو باركر ولاين كان تود الأكثر إقداماً بينهم. وإذا تراجع الآن سيبدو بمظهر الضعيف نوعاً ما. قال: "لنتحرك خطوة بخطوة. لنسمع ما سيقوله الخبير ومن ثم نقرر الخطوة التالية".

"قال مارك: "اتفقنا".

جلس فرانك غيرسون خلف مكتبه، وحدّق إلى بطاقة عمل زولا. وكخبير في دعاوى الإصابات الشخصية، كان على دراية بلعبتها. في سنواته الأولى، جاب ساحات المستشفيات بحثاً عن موكلين، كان على دراية بجميع الخدع، فقد سبق له أن رشى سائقي الشاحنات لكي يفبركوا الحوادث، وكان يدفع الرشى أيضاً لرجال الشرطة الذين يرسلون الزبائن إليه. في كل صباح كان يراجع تقارير الشرطة بحثاً عن أكثر حوادث السيارات الواعدة، ومع نجاح أعماله وازدهارها عيّن صائداً بدوام كامل وهو شرطي سابق يدعى كيني، وكان هو من وجد العائلة التي عثرت عليها زولا في كافثيريا مستشفى جورج واشنطن. كان غيرسون قد وقع مع ذلك الثنائي عقداً والآن تحاول شابة مبتدئة أن تصطاد فريسته.

كانت المنطقة الخاصة بغيرسون هي الطريق الرئيسي للمقاطعة، حيث تنتهك القوانين ويكثر اللاعبون المشبهون. لكن عندما شك أن أحدهم يحاول الاقتراب من منطقته سيما أن علامة استفهام كانت حوله، استعان بكيفي الذي يجلس الآن قبالة واضعاً ساقاً فوق أخرى مرتدياً حذاء رعاة البقر الجلدي ويقضم أظفاره.

سأل غيرسون: "وهل عثرت على المكان؟".

"أجل. إنها حانة في الطابق الأرضي تدعى روستر، والمكتب فوق الحانة بطابقين، ومن المستحيل الوصول إليه. تناولت الشراب، وتحدثت مع الساقبي الذي ادّعى أنه لا يعرف شيئاً. لكنه تلكاً عندما سألته عن زولا باركر".

"وماذا عن رابطة المحامين؟".

"تفقدتها. ما من محام بهذا الاسم، هناك عدد كبير من المحامين بكنية باركر، لكن لا أحد منهم يدعى زولا".

"هذا شيق. وماذا عن شركة أبشو باركر ولاين؟".

"لا شيء، لكن كما تعلم، تتغير الشركات القانونية بسرعة كبيرة، ومن المستحيل أن أتابع أين يعمل كل شخص من تلك الشركات. تفيد رابطة المحامين أنه من الصعب متابعة أسماء الشركات القانونية".
"حسناً".

"هل تريد تقلص شكوى؟".

"سأفكر بالأمر. ولنر هل سيعترض هؤلاء المهرجون طريقنا مجدداً".

في الطابق الثامن من مبنى كلية فوغلي بوتوم، لاحظت مساعدة المدير أن ثلاث أساتذة قد أبلغوا عن طالبين من السنة الثالثة قد تغيبا عن جميع الصفوف للأسابيع الأربعة الأولى من الفصل الدراسي لفصل الربيع، وهما مارك فرايزر وتود لوسيرو وكانا قد حصلوا على قرض من أجل الفصل النهائي، لكنهما لم يحضرا أبداً. لم يكن الإهمال أمراً غريباً عن طلاب السنة الأخيرة لكن التغيب لشهر كامل كان لافتاً للنظر.

أرسلت رسالة إلكترونية للسيد فرايزر هذا نصها:

السيد فرايزر، أتمنى أن تصلك رسالتي وأنت بخير؟ لوحظ غيابك عن صفوف هذا الفصل، ونحن قلقون بشأنك. يرجى إعلامي بأقصى سرعة ممكنة. فاي دوكسي، مساعدة مسؤول التسجيل.

أرسلت رسالة أخرى مطابقة لتلك الرسالة لكن إلى تود لوسيرو. مضى يومان ولم يجب أي منهما.

في الرابع عشر من شباط، دخلت زولا قاعة محكمة القاضي جوزيف كانتو وراقبت الإجراءات القضائية. وبعد قرابة الساعة، نادى أحد المساعدين القضائيين اسم جوردون تانر. وقف محاميه بريستون كلاين أمام القاضي كانتو

وقال: "حضرة القاضي، لم أسمع من موكلي منذ شهر، لا يمكنني القول سوى أنه يتهرب".

سلم أحد المساعدين القضائيين ورقة إلى القاضي. قرأها مرتين ثم قال: "يا سيد كلاين يبدو أن موكلك قد توفي".

"يا إلهي! هل أنت متأكد حضرة القاضي؟ لم يكن لي علم بالأمر".
"نعم، الخبر مؤكد".

"لم يخبرني أحد. لكن هذا يفسر الأمر".

عندها قال القاضي وهو يتفحص باقي الأوراق: "انتظر لحظة، وفقاً لهذه المعلومات فقد توفي في الرابع من كانون الثاني. لقد انتحر. وقد ذكر ذلك في الصحف، لكنه حضر إلى هنا معك ومثل أمامي في السابع عشر من كانون الثاني. هل لديك تفسير لذلك؟".

حك كلاين ذقنه وهو ينظر إلى نسخته من قائمة القضايا. "في الواقع لا يا سيدي، لا أستطيع شرح الأمر. من المؤكد أننا كنا هنا في السابع عشر من كانون الثاني، لكن بصراحة أنا لم أكلمه منذ ذلك الحين".
"أعتقد أن سبب ذلك هو أنه متوفٍ".

"إن الأمر مريب حقاً حضرة القاضي. لا أعلم".

رفع كاتو يديه وقال باستياء: "الشاب متوفٍ ولا خيار لديّ سوى أن أرفض النظر بالقضية".

"أجل يا سيدي أعتقد ذلك".

"القضية التالية".

غادرت زولا بعد بضع دقائق، ونقلت الأخبار إلى شريكها.

دخل مارك إلى مبنى المكاتب في الشارع السادس عشر، واستقل المصعد إلى الطابق الثالث. وجد باب مكتب بوتوماك للاستشارات القانونية، ودخل غرفة الاستقبال الصغيرة.

أشارت السكرتيرة إلى كرسيين فارغين، فاختار واحداً وجلس. بعد خمس

دقائق، ظهر الدكتور ويليس كونس وعرف عن نفسه. تبعه مارك إلى مكتب صغير في آخر الرواق.

كان كونس طبيب أطفال مارس مهنته في هذه المقاطعة سابقاً. ووفقاً للموقع الإلكتروني، أمضى العشرين عاماً الماضية خبيراً قانونياً. يزعم أنه حلل آلاف القضايا ودُعي للشهادة مئات المرات في واحد وعشرين ولاية. وغالباً ما كان يعمل في صف المدعين.

حالما جلس مارك بدأ كونس بـ: "لقد نلت منهم يا بني. سيغطون التكاليف حتماً. هاك تقريرتي". سلّمه مستنداً من ورقتين. "جميع المعلومات التقنية موجودة هنا. سأوفر عليك الوقت، وسأشرح لك الأمر بمصطلحات عامة. تُركت الأم آسيا مهملة من دون رعاية معظم الوقت في فترة حرجة، من الصعب معرفة كم كانت تُراقب بعناية لأن هناك نقصاً في السجلات، لكن يكفي أن نقول إن هناك انخفاضاً بمعدل ضربات قلب الجنين، وتمزقاً في الرحم، وهناك تأخير واضح في تنفيذ العملية القيصرية.

لولا التأخير ربما كان المولود لا يزال على قيد الحياة، لكنه أصيب بما يُعرف بنقص التروية في الدماغ أو إصابة دماغية بالغة، وكما تعلم، توفي بعد يومين من الولادة. كان الموت شيئاً جيداً، وإلا لكان الطفل سيعيش ما يقارب العشر سنين في حالة خُضرية دائمة دون أن يكون قادراً على المشي أو التكلم أو الأكل. كان يمكن الحيلولة دون كل هذا بالرعاية المناسبة وتنفيذ عملية قيصرية في وقت أبكر. يمكن وصف الإهمال بالجليسيم، وكما تعلم، سيسهل هذا الأمر حسم القضية".

لم يكن مارك يعلم لكنه، ومع ذلك، أوماً برأسه على الفور. "وكما تعلم أيضاً، فإن ولاية فرجينيا، وقعت عقداً مع الأطباء منذ عشرين عاماً وقد سقّفت جميع نفقات الأضرار فيكون الحد الأقصى للتعويضات الذي يمكن أن تحصل عليه هو مليوني دولار. هذا مؤسف لكنه الواقع. لو عاش الطفل لكانت قيمة مبلغ التسوية أكبر بكثير. لكنها قضية خاضعة لقوانين ولاية فرجينيا".

قال مارك وكأنه منزعج من صغر المبلغ: "لن تتمكن من الحصول سوى على مليونين؟".

"أجل وللأسف. هل ترخيصك من فرجينيا؟".

"كلا". في الواقع لا وجود لترخيصه.

"هل توليت قضية إهمال طبي من قبل؟ تبدو يافعاً جداً".

"كلا. فأنا سأحيل هذه القضية. هل تقترح أحداً؟".

"بالطبع." أمسك كونس بورقة وأعطاه إياها. "هذه لائحة بأفضل شركات المحاماة في واشنطن من أجل قضايا كهذه. وجميع المحامين العاملين فيها أكفاء. لقد سبق لي أن عملت معهم جميعاً".

نظر مارك إلى الأسماء وقال: "هل تنصح بأحد؟".

"بداية، إليك جيفري كوربيت. أعتقد أنه الأفضل، ولا يتولى سوى قضايا التوليد، سيرهب الأطباء، وسيحاولون الوصول إلى تسوية بأسرع ما يمكن".
مليوناً دولار وتسوية بأسرع وقت. كانت آلة النقود تعمل بسرعة البرق في رأس مارك.

كونس رجل كثير الأشغال. نظر إلى ساعة يده وقال: "أتقاضى أربعين ألف دولار كبديل الأعمال المحكمة بما في ذلك بدل الشهادة في المحكمة. يرجى إعلامي بأسرع ما يمكن إذا نويت أنت وكوربيت الاستعانة بي. فأنا لذيّ كثير من القضايا". بدأ بالنهوض على مهل.
"بكل تأكيد يا د. كونس".

تصافحاً، وجمع مارك سجلات رامون الطبية وانطلق مسرعاً.

في وقت متأخر من ذلك اليوم، كانت زولا وحدها في الحانة تنتظر تقرير أبشو باركر ولاين اليومي. كانت قد أمضت النهار بعيداً عن المستشفيات، وشعرت بأنها أفضل حالاً. بعد أسابيع من البحث والتمحيص، وجدت أخيراً المحامي المناسب في السنغال في العاصمة دكار. ووفقاً للموقع الإلكتروني، فقد عمل ديالو نيانغ في ثلاث شركات قانونية وهو يتحدث الإنكليزية. بالرغم من

أنه كان من الصعب فهمه على الهاتف. كان يتولى القضايا الجنائية والهجرة وقضايا الأسرة. ومقابل مبلغ قدره خمسة آلاف دولار كان السيد نيانغ مستعداً لتمثيل والدي زولا وأخيها عند وصولهم، بالرغم من أنه لم يكن أحد يعلم متى سيحصل هذا. تحويل مبلغ كهذا إلى بنك في السنغال أمر لم تطمئن له زولا، لكن في ظل الظروف الراهنة لم يكن لديها خيار آخر. ادّعى السيد نيانغ أن لديه كثير من الصلات بالحكومة وأنه قادر على إدخال عائلتها إلى البلاد مجدداً. كانت زولا قد قرأت كثيراً من القصص المريبة عن معاناة المبعدين عند عودتهم إلى بلادهم. فجميعهم يشعرون بأنهم منبوذون.

فتحت حاسبها المحمول، وتفقدت بريدها الإلكتروني. لم تُفاجأ عندما رأت رسالة من جامعتها. كتبت فاي دو كسي التالي:

"الآنسة مال: أبلغنا البروفسور أبرناتي والبروفسور زاران أنك متغيبه عن صفوف هذا الفصل. إننا قلقون. هلا اتصلت بنا أو أرسلت لنا رسالة تخبرنا فيها عن حالك؟

فاي دو كسي، مساعدة مسؤول التسجيل".

بالطبع كانت زولا تعرف أن مارك وتود قد وصلتتهما رسالتين مطابقتين لرسالتهما وأنهما قد تجاهلا الأمر. تعجب الشركاء من أن أحداً من جامعة فوغي بوتوم قد يكون دقيق الملاحظة إلى درجة أن يلاحظ أمر الغياب. فكّرت بالرسالة لرهة ومن ثم أجابت بالتالي:

"الآنسة دو كسي، أعاني من التهاب رئوي حاد، وقد نصحتني الأطباء بأن ألتزم الفراش، وأن أبقى بعيدة عن الجميع. أنا أتابع المحاضرات وأتوقع الشفاء التام قريباً. شكراً لاهتمامكم. سأحضر بأسرع وقت ممكن.
مع خالص الاحترام، زولا مال".

لم تكن زولا تحبذ الكذب، لكنه بات أحد سبل العيش. في الحقيقة، كل ما كانت تفعله كان عبارة عن كذبة: "من الاسم المستعار الذي تستخدمه، إلى الشركة المزيفة، وبطاقة العمل المزيفة، والشخصية المزيفة التي تمثل محامية مهتمة

تصيد القرائس الذين هم عبارة عن مصابين. لن تستطيع المتابعة بهذا الشكل. هل سيكون الوضع أسوأ إذا ما حضرت صفوفها، وحاولت أن تجد عملاً حقيقياً وقلقت بشأن اجتياز امتحان رابطة المحامين وبشأن قرضها.

أجل، سيكون الوضع أسوأ. على الأقل تشعر الآن بالاطمئنان لأنها بعيدة عن تناول سلطات الهجرة. استمر الكذب بعد الرسالة الإلكترونية التالية. كانت من تيلدي كارفر مستشارة القرض من شركة لاون أيد:

الآنسة مال: في آخر مرة تراسلنا فيها كنت قد قمت بمقابلة في وزارة العدل. هل من معلومات جديدة؟ كنت تفكرين بالالتحاق بقسم الخدمات العامة التابع لبرنامج إعفاء قروض دائرة التعليم. لكنني لا أعتقد أنه الخيار الأنسب لك. فهذا يتطلب التزاماً بالأقسام يدوم لعشر سنوات وهي مدة طويلة. لكن سأقدر إعلامك بأي مجال عملت بأسرع وقت ممكن. تحياتي، مستشارة القروض، تيلدي كارفر.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 191 ألف دولار.

وكالعادة، حدّثت إلى الأرقام مذهولة. كانت دائماً تغريها فكرة تجاهل الرسائل ليوم أو أكثر، لكنها اليوم قررت الرد فوراً على تلك الرسالة.

الآنسة كارفر: لم أحصل على الوظيفة في وزارة العدل، وفي الوقت الحاضر لا أستطيع القيام بأي مقابلات عمل في مكان آخر. فأنا الآن أعاني من التهاب رئوي، ولا أزال تحت رعاية الطبيب، آمل أن أعود إلى حضور صفوف في الأيام القليلة المقبلة، وسأسجل حضوري حينها.

مع كامل إخلاصي، زولا مال.

وصل مارك والابتسامة مرتسمة على وجهه وطلب جعة. دخل تود الحانة، وتوقف ليحصل على كوب من الجعة هو الآخر، ومن ثم انضم إليهما. بدا عليه التعب والإرهاق بعد يوم طويل في ملاحقة الموكلين المحتملين، وكان سيئ المزاج جداً. حياهما قائلاً: "لقد أمضيت طوال هذا اليوم محاولاً اصطياد أحد أولئك

الفاشليين في المحكمة، ولكن ما من جدوى. لا شيء على الإطلاق. وماذا عنكما؟ ماذا فعلتما؟".

قال مارك: "استرخ يا صاح. فالحياة يوم لك ويوم عليك".

عبّ تود كأس جعته وقال: "كيف لي أن أسترخي؟ فنحن نقوم بهذا الهراء منذ شهر، ومع ذلك أشعر بأن الحمل بأكمله يقع على كاھلي وحدي، لتكلم بصراحة يا شباب، ثلثا الأرباح التي نجنّيها هي من القضايا التي أجلبها أنا، تلك التي أتصيدها".

قال مارك: "حسناً حسناً. إنه شجارنا الأول. أعتقد أن الشجار أمر حتمي في جميع الشركات القانونية".

أغلقت زولا حاسبها، ورمقت تود بنظرة.

أجاب: "أنا لا أتشاجر مع أحد، كل ما في الأمر هو أنني مررت بيوم سيئ".

قالت زولا: "بحسب ما أذكره، فقد نصحتماي بأن أبقى بعيدة عن المحاكم الجنائية لأنها اختصاص الشباب. فمهمتي وفقاً لخطتنا، وهي العمل في المستشفيات وملاحقة الجرحى، والمفروض أن قضية واحدة من مشاركتي في هذا العمل تساوي العديد من القضايا التي تجلبها أتما. أليس كذلك؟".

أجاب تود باستهزاء: "صحيح، لكنك لم تجلبي أي قضية".

أجابت برودة: "إنني أبذل قصارى جهدي يا تود. وإذا كانت لديك أية أفكار أفضل فسيسرني سماعها. أنا حقاً غير راضية عما أقوم به".

قال مارك بابتسامة خفيفة: "نهدأ قليلاً ونعدّ أموالنا".

ارتشف الجميع من الكؤوس الموجودة أمامهم وانتظروا. قال مارك أخيراً: "التقيت اليوم بالخبير الطبي، ذاك الذي دفعنا له ألفي دولار وقال إنها قضية إهمال جسيم من قبل الأطباء والمستشفى، جلبت لكما نسختين من التقرير لكي تطلعا عليه في الوقت الذي يناسبكما. إن الأمر يستحق كل سنت دفعناه. وقال أيضاً_ علماً إنه محترف في مجال عمله_ إن القضية إذا ما أُحيلت إلى المحامي المناسب قد تجني مليوني دولار كحد أقصى وفقاً لقانون ولاية فرجينيا. ونصحني

بتوكيل جيفري كوربيت، مختص في قضايا الإهمال الطبي الذي جنى أموالاً طائلة من مقاضاة أطباء الأطفال. يقع مكتبه على بعد أربعة أحياء، بحثت عنه على الإنترنت، ووجدت أن أمور الرجل قانونية تماماً. ووفقاً لمقالة في مجلة طبية، فإن السيد كوربيت يجني بين الخمسة والعشرة ملايين دولار في العام". ارتشف رشفة أخرى ثم قال: "هل هذا يساعد مزاجك العكر يا تود؟".

"أجل".

"هذا ما تصورته. وإذا وافقتما أقترح أن نتصل بالسيد كوربيت وأن نحدد معه موعداً".

قالت زولا: "لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة".

"إننا محظوظون فحسب. ووفقاً لأبحاثي، فإن أكثر من ألفي طبيب أطفال ترفع عليهم دعاوى كل عام بسبب الإهمال الطبي. هناك العديد من حالات الولادة غير الناجحة وحدث أن تعثرنا بواحدة منها".

أوما تود للنادل لكي يحضر شراباً آخر.

صباح السبت غادر الثلاثة العاصمة واشنطن باكراً في سيارة تود، وبعد ساعتين من القيادة وصلوا إلى سجن باردتاون الفدرالي بالقرب من آلتون في بنسلفانيا. لم يتغير شيء من الخارج منذ زيارتهم الأخيرة قبل أسابيع قليلة. لمع السلك الشائك تحت أشعة الشمس، بالرغم من أن ذلك السلك والسياج يبعثان الرهبة في النفس. كان المرأب مليئاً بسيارات وشاحنات عشرات الموظفين الذين يحمون أرض الوطن.

ارتدت زولا عباءة سوداء، وعندما أوقف تود المحرك عن العمل، أخرجت زولا حجاباً من حقيبتها، وغطت رأسها وكفيها. قال تود: "يا لك من مسلمة". ردت عليه وهي تترجل من السيارة: "اخرس".

من أجل هذه المناسبة، ارتدى محامي دفاعها، مارك أبشو، معطفاً وربطة عنق. كان قد اتصل مسبقاً كي ينسق أمور اللقاء لتجنب الأخطاء التي واجهوها في المرة السابقة. يبدو أن الأوراق كانت صحيحة، أدخلوا إلى غرفة الزيارة ذاتها، حيث انتظروا لنصف ساعة إلى أن أتى والداها وأخوها. عرفت زولا عن صديقيها مجدداً وحضنت والدتها، حاولوا تمالك مشاعرهم عندما قال بو إنه لم يكن يعلم أنهم سيرحلون. كان أحد الموظفين قد أخبرهم أن دائرة الهجرة تنتظر أن يلتحق عدد كافٍ من السنغاليين حتى تمتلئ مقاعد الرحلة. فلا داعٍ لتتضيق أية مقاعد لرحلة مكلفة كهذه. كانوا يسعون إلى مئة شخص، وكانوا مستمرين بتكديس المهاجرين غير الشرعيين.

سأل بو عن جامعة زولا فأجمع الشركاء أن الأمور تجري على ما يرام. ربت والدتها علي ذراعها وقال إنه فخور بها لأنها ستصبح محامية. ابتسمت زولا، وكان شيئاً لم يكن. أعطته بطاقة عليها اسم ديالو نيانغ، المحامي الموجود

في دكار وطلبت منه أن يتصل بها إذا أمكن الأمر عند توجيههم إلى الطائرة. وقالت إنها ستصل بالسيد نيانغ الذي سيحاول تسهيل وصولهم. هذا ما خططت له، ولكن القادم من الأيام كان يخفي الكثير.

لم تتحدث فانتا كثيراً. بل اكتفت بالإمساك بيد زولا والجلوس محطة وحزينة وخائفة بينما تولّى الرجال الحديث. بعد عشرين دقيقة استأذن مارك وتود وانتظرا في الردهة.

عندما انتهى وقت الزيارة، عادوا إلى السيارة وأزالوا الحجاب. مسحت دموعها ولم تنبس بينت شفة لبعض الوقت. عندما عبروا مرييلاند، توقف تود عند متجر صغير، وابتاع ست زجاجات جعة، وبما أن لديهم وقتاً فرروا التوجه إلى مارتينزبيرغ ليزوروا قبر جوردي. في المقبرة العامة، في مكان ليس بعيد عن الكنيسة، وجدوا شاهدة قبره.

يوم الأحد، استعار مارك سيارة تود، وتوجه بها إلى المنزل في دوفر. لقد كان بأمس الحاجة للتحدث إلى والدته في أمر جدي، لكنه لم يكن مستعداً للتعامل مع لوي، الذي كان كما تركه ينتظر المحاكمة في أيلول.

وصل مارك قرابة الحادية عشرة وكان لوي لا يزال نائماً. قالت السيدة فرايزر: "في العادة يستيقظ وقت الغداء". بينما كانت تسكب القهوة الطازجة على طاولة المطبخ. بدت مشرقة بفستانها الجميل وحذائها ذي الكعب العالي والابتسامة التي تزين وجهها لرؤية ولدها العزيز. وعبقت رائحة اليخنة الشهية التي تطهى على النار في الأرجاء.

سألت: "حسناً، كيف حال الجامعة؟".

أجاب: "لم آتِ إلى هنا لأتحدث عنها". أخبرها القصة الحزينة عن انتحار جوردي وشرح لها كيف أنها كانت تجربة كئيبة. وبسبب الحزن الشديد قرر أن يؤجل تخرجه فضلاً وأن يفكر بمستقبله.

سألت مندهشة: "أيعني هذا أنك لن تتخرج في حزيران؟".

"أريد بعض الوقت لنفسى".

"وماذا عن عملك؟".

"لقد اختفى. فقد اتحدت الشركة التي كنت أعمل لديها مع شركة أكبر، ولم يعد أحد يفهم وضعي، لا أعتبر الأمر خسارة، فعلى كل حال كانت شركة سيئة".

"لكنني ظننتك متحمساً للعمل فيها".

"أعتقد أنني كنت أدعي ذلك، فالفوضى تسود سوق العمل في هذه الأيام، وأنا تعلقت بتلايب أول عمل صادفته. والآن إذا ما نظرت إلى الماضي فمن الواضح أن الأمر لم يكن لينجح".

"يا عزيزي.. كنت آمل أنك تستطيع مساعدة لوي بعد أن تجتاز امتحان رابطة المحامين".

"أعتقد أن قضية لوي أعقد مما نظن، فقد أمسكوا به متلبساً، هل يتواصل مع محاميه؟".

"في الواقع لا. لديه محام دائم الانشغال. أنا قلقة جداً عليه".
"قلقك في مكانه".

"أنظري يا أمي، عليك الاستعداد لفكرة أن لوي سيذهب بعيداً. فقد ضُبط بالجرم المشهود وهو يبيع المخدرات لشرطي متخف وكل ذلك موثق بالصوت والصورة. الأمر في غاية الوضوح".
"أعلم، أعلم".

ارتشفت رشفة من القهوة كاجحة دموعها. وسألت لتنتقل إلى موضوع آخر: "وماذا عن قرضك التعليمي؟".

لم تكن تعلم كم كان المبلغ الذي يدين به مارك ولم يكن ينوي إخبارها.
"لقد علقته مؤقتاً. لا مشكلة في ذلك".

"حسناً. إذا لم تكن تدرس في الجامعة حالياً، فما الذي تقوم به هذه الأيام؟".

"أعمل ساقياً في الحانات. وماذا عنك؟ أنا متأكد أنك تبقيين اليوم بطوله هنا معه".

"كلا، فأنا أعمل بدوام جزئي في متجر كروغر وفي دوام جزئي آخر في تارغيت. وعندما لا أكون في العمل، أتطوع في دار المسنين. وعندما أشعر بالضجر أزور السجينات. فالسجن مليء بمن. وجميعهن هناك بسبب قضايا المخدرات كما تعلم. أقسم إن المخدرات ستقضي على هذا البلد. لذا أحاول أن أبقى نفسي منشغلة بعيداً عن هذا المكان".

"وماذا يفعل هو طوال اليوم؟"

"ينام، ويأكل، ويشاهد التلفاز، ويلعب ألعاب الفيديو. ويتململ من مشاكله. أبتاع له بعض الجعة بين الحين والآخر ليسكت. يمنعه أمر المحكمة من احتساء الكحول، لكنه لا يكف عن إزعاجي إلى أن أبتاع له الجعة. لا أظن أن أحداً سيدري بالأمر".

"هل فكرت بتقريب موعد محاكمته؟"

"وهل يمكن فعل هذا؟"

"لا أرى مانعاً. ستكون مساومة قضائية للتخفيف من عقوبته. يا أمي لن يذهب لوي إلى المحاكمة فليس لديه محام. سيكون من الأفضل إذا ما اعترف وانتهى من الأمر".

"لكنه يقول إنه يريد المحاكمة".

"هذا لأنه أبه. إذا كنت تذكرين فقد قابلت محاميه عندما أتيت إلى هنا في العطلة. أراني ملفاً وشريط فيديو. أفتع لوي نفسه بأنه يمكنه الابتسام لهيئة المحلفين والتحايل عليهم ليصدقوه بأن الشرطة قد أوقعته في فخ صفقة مخدرات زائفة. يظن أنه سيخرج من قاعة المحكمة حراً طليقاً. وهذا لن يحصل".

"وما هي إجراءات الصفقة القضائية؟"

"الأمر بسيط. كل قضية جنائية تقريباً تتم تسويتها بصفقة على تخفيض العقوبة. يعترف حينها لوي بأنه مذنب ليتفادى المحاكمة وعندها يخفف المدعي العام من العقوبة التي يطلبها له. تنتظره عقوبة بالسجن لعشر سنوات. ولا أملك أدنى فكرة كم ستكون مدة السجن بعد الصفقة، لكنه على الأغلب سيحصل على خمس سنوات تحتسب منذ الإدانة، وبالسلوك الجيد

ومع اكتظاظ السجون قد ينتهي الأمر ببقائه ثلاث سنوات أو شيء من هذا القبيل".

"وهكذا لن يكون عليه الانتظار حتى شهر أيلول؟".

"أظن ذلك. على حد علمي، أنا لا أرى سبباً يمنع من التبكير في إجراءاته. سيكون هذا سبباً ليخرج من المنزل".

كانت هناك ابتسامة خفيفة تلوح على وجهها، لكن لم تدم سوى برهة. قالت وعيناها تنتقلان: "لا أصدق هذا، فهو فتى صالح".

هذا جائز، لكن كان للوي سوابق متعلقة بالمخدرات منذ أيام المدرسة الثانوية. دائماً ما كان هناك إشارات تنذر بالأمر لكن اختار والداه تجاهلها. فكلما كانت تظهر إشارة لتورطه بأمر ما، كانا يهرعان للدفاع عنه ويصدقان أكاذيبه. كانا قد أفسحا الكثير من المجال لـ لوي والآن حان وقت دفع الثمن.

عرف مارك تماماً ما كان ينتظر لوي. نظرت إليه وعيناها تدمعان وسألته: "هل يمكنك التكلم مع محاميه يا مارك؟ فهو يحتاج إلى بعض المساعدة".

"هذا مستحيل يا أمي. فلوي في طريقه إلى السجن ولن أقرب من هذه القضية. والسبب بسيط للغاية. فأنا أعرف لوي، سيلوم الجميع ما عدا نفسه، وسيلومني أنا بالأخص، وأنت تعرفين ذلك".

"لطالما كنت قاسياً عليه".

"وأنت لطالما أشحت بنظرك بعيداً عن أخطائه".

سُمع صوت تدفق ماء من المرحاض في الجانب البعيد من المنزل. نظرت السيدة فرايزر إلى الساعة وقالت: "لقد استيقظ باكراً. أخبرته أنك ستحضر وقت الغداء".

تحرك لوي بتأقل في المطبخ والابتسامة تملو وجهه لرؤية أخيه. وقف مارك واحتضنه محاولاً إظهار سعادته لرؤيته. بدا مظهر لوي كدب استفاق لتوه من سباته: أشعث الشعر بلحية غير مخلوقة وعينين متورمتين من كثرة النوم. كان يرتدي قميصاً قديماً جداً لفريق إيغلز ممزقاً من ناحية الخصر مع سروال قصير

فضفاض جداً. لم يكن ينتعل حذاء ولا جوارب ما عدا جهاز المراقبة حول كاحله. لا بد وأنه كان اللباس ذاته الذي كان نائماً فيه. كاد مارك أن يمازحه بشأن زيادة وزنه قبل أن يتجاهل الأمر.

سكب لوي لنفسه بعض القهوة، وجلس إلى الطاولة وسألهما: "وعمّ تتحدثان؟".

"عن الجامعة". أجاب مارك بسرعة قبل أن تقول السيدة فرايزر أي شيء عن قضية لوي. وتابع: "كنت أخبر أمي أنني سأؤجل تخرجي فصلاً. فأنا أحتاج بعض الوقت لأتأقلم مجدداً. بالإضافة إلى أن عملي متوقف الآن، وسوق العمل شبه راكدة، لذا أحاول التروي".

"لماذا ستعلق تسجيلك في الجامعة قبل تخرجك بفصل واحد؟".

"أنا لم أعلق تسجيلي، الأمر فقط أنني أجلت تخرجي فصلاً واحداً".

قالت السيدة فرايزر: "لقد انتحر صديقه وهذا الأمر أثر عليه كثيراً".

"يا إلهي، أنا آسف. ولكن بدا لي الأمر غريباً أن تفعل هذا في الفصل الأخير قبل تخرجك".

فكر مارك في نفسه أن لوي لم يكن بموقع يسمح له بإطلاق الأحكام على الحياة العملية للآخرين. لكنه قرر أن يتعد عن المشاكل وقال: "ثق بي يا لوي، فأموري تحت السيطرة".

"متأكد من ذلك. ماذا يوجد في القدر؟ الرائحة شهية".

"إنها يخنة اللحمية. ما رأيكما أن نتناول الغداء أبكر من المعتاد اليوم؟". سألتها وهي تنهض لتفتح خزانة المطبخ، ثم نطقت كلمات وضعت مارك في موقف كان يتفاداه منذ البداية: "يعتقد مارك أنه من الأفضل لك أن تعقد صفقة يا لوي. هل ناقشت هذا الأمر مع محاميك؟".

"شكراً لك أمي! والآن يمكننا أن نبدأ عراكتنا".

ابتسم لوي لمارك وقال غاضباً: "إذا أنت تمارس الحمامة الآن أليس كذلك؟".

"كلا، على الإطلاق وليس لدي أية نصائح. فقد كنا نتناقش بشكل عام".

"أجل يا أمي، لقد ناقشت الأمر في أحد اللقاءات. وإذا ما اعترفت، سأقضي في السجن وقتاً تُحتسب منه فترة الحجز المنزلي التي أمضيها مع هذا الجهاز الصغير حول كاحلي، وهذا يعني أن أقضي الشهور الستة القادمة بعيداً في السجن مع أفراد العصابات وأستحم بالمياه الباردة بينما ظهري ملتصق بالجدار وأتناول الخبز العفن أو يمكنني أن أقضي الشهور الستة المقبلة هنا. ليس أمامي خيارات كثيرة هنا أليس كذلك؟".

رفع مارك كتفيه، وكأن لا رأي له في الأمر. فأي كلمة في غير مكافها ستشعل ناراً، في تلك الأثناء كانت السيدة فرايزر منشغلة بوضع المناديل الورقية الفضية على الطاولة.

تابع لوي: "أنا لن أسلم نفسي بغض النظر عن رأيكما، فأنا أريد المحاكمة. لقد أوقعت الشرطة بي، وسأثبت هذا لهيئة المحلفين".

قال مارك: "هذا عظيم، أنا متأكد من أن محاميك على دراية بما يفعله".
"إنه يعرف عن القانون الجنائي أكثر منك".

فأجاب مارك: "بالطبع".

ارتشف لوي قهوته مصدراً صوتاً ثم قال: "لكنني كنت آمل بعد أن تجتاز اختبار رابطة المحامين هذا الصيف أن تكون قادراً على مساعدتي قليلاً في قضيتي، وربما تجلس معي أثناء المحاكمة لكي تظن هيئة المحلفين أن لي محامين، أتفهم ما أعنيه؟ لكن أعتقد أن هذا لن يحدث".

"كلا، لن يحدث، فأنا في فترة استراحة".
"هذا غريب جداً".

وضعت السيدة فرايزر ثلاثة أطباق من اليخنة الشهية على الطاولة. التهم لوي طبقه وكأنه لم يتناول الطعام منذ أسبوع. نظر مارك إلى والدته ومن ثم إلى الساعة. لم يكن قد مضى على وجوده أربعين دقيقة ولم يستطع تخيل نفسه صامداً في ذلك المكان لساعة أخرى.

يوم الإثنين، في الثالث من آذار، داهم ثلاثة عملاء فدراليين المقر الرئيسي لبنك سويفت وسط فيلادلفيا. كانت الصحافة مستنفرة وكان هناك مشاهد عرضت لمجموعة من الأشخاص يعتمرون قبعات عليها شعار الأف بي آي وهم ينقلون الصناديق والحواشيب المحمولة إلى شاحنات عديدة. صرّحت الشركة أن كل شيء على ما يرام وإلى ما هنالك، ثم انخفضت الأسهم بسرعة. أوجز أحد المعلقين التجاريين مشاكل البنك. وكان الكونغرس يجري تحقيقات بموازاة تحقيقات الأف بي آي، كان المحامون الأمريكيون في ثلاث ولايات يتأنقون من أجل الكاميرات ويعدون بالوصول إلى أجوبة. سُجّلت خمس دعاوى جماعية على الأقل وحن جنون المحامين. وكان هناك حتماً المزيد من الإجراءات القانونية. كان المدير التنفيذي لبنك سويفت قد أعلن استقالته للتو، ليمضي المزيد من الوقت مع عائلته وأخذ معه 100 مليون من خيارات الأسهم، وهو مبلغ سيزيد من أوقات المرح لدى عائلته من دون شك، وكان المدير المالي يفاوض لما سيأخذه معه عند رحيله. ظهر العديد من موظفي الشركة السابقين يشتكون للسلطات العليا ويرفعون الدعاوى للقضاء على الظلم والجور. أُعيد النظر في الدعاوى القديمة ضد سويفت، فافتضح سلوك المصرف السيئ الذي استمر لأكثر من عشر سنوات. هلع العملاء وأغلقوا حساباتهم. وكان مراقبو المستهلكين يصدرّون التصريحات التي تدين عمليات النصب المصرفي في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

9 بالمئة من أسهم سويفت كانت تديرها أكبر شركة استثمارات في لوس أنجلوس. وكأكبر مساهم لها، لم يكن لديها ما تقوله. كان شركاء أبشو باركر ولاين يراقبون فوضى سويفت العارمة يومياً، وكانوا يطبعون كل كلمة كانوا قد

تمكنوا من إيجادها حول المصرف. وإلى ذلك الحين استطاع هيندز راكلي أن يهرب من تسليط الضوء عليه.

قرروا أن الوقت مناسب في ظل فوضى كهذه للانضمام إلى جوقه المرح تلك. تواصل مارك مع شركة قانونية في ميامي وسجّل فيها كمدّع في قضيتها الجماعية. اتصل تود برقم مجاني، أعلن عنه عن طريق شركة قانونية في نيويورك وانضم إلى قضيتها الجماعية. بقيت زولا على مسافة قريبة من مقرها، وانضمت إلى مجموعة تابعة لشركة قانونية شهيرة. بمجال عملها ضمن قضايا الأضرار الجماعية.

وفي غضون ساعات من كونهم مدّعين، أغرقوا بالأعمال المكتبية التي حضّرها المحامون ضد سويفت. كانت تشكيلة مثيرة للاهتمام. وفقاً لآخر التقديرات، هناك احتمال أن يكون مليون من زبائن المصرف قد تعرضوا لعمليات نصب.

كان رامون يتصل يومياً حتى في أيام العطل، يريد أن يعرف آخر التطورات بشأن قضيته، وكان مارك قد شرح له مراراً وتكراراً أن المراجعة الأولية من "خبيرهم الأول" كانت جيدة وكانوا يعملون بأسرع ما يمكن. كان لمارك موعد مع العظيم جيفري كوربيت يوم الأربعاء في التاسع عشر من آذار في أول موعد له من مواعيده المكتظة. من الواضح أن جدول أعماله كان مكتظاً، وبالكاد كان لديه الوقت لينظر في قضايا جديدة.

عندما اتصل رامون يوم الثلاثاء، أفصح عن الخبر الكبير أن آسيا، زوجته السابقة، موجودة في تشارلستون ومهتمة بشأن الدعوى. كان لدى مارك شكوك أنه ربما حاول أن يثير اهتمامها بالحديث المبهرج عن توكيل المحامين لمتابعة قضية الإهمال الطبي. كان مارك متأكداً أنها لن تكون طرفاً في القضية، لكنه كان مخطئاً. يوم الأربعاء، تلقى اتصالاً من محام في تشارلستون، السيد موسبيرغ. بما أن الرقم كان مجهولاً، تردد مارك، كعادته، بالرد على الاتصال، وبعد الرنة الخامسة أجاب.

بدأ موسبيرغ كلامه: "أنا أمثل آسيا تاير، وأرى أنك تمثل زوجها السابق، صحيح؟".

"هذا صحيح. رامون تاير هو موكل لدينا".

"لا تستطيع المضي قدماً بالدعوى من دون موافقتها. فهي أم الطفل كما تعلم". كانت نيرة موسبيرغ عدائية.

هذا رائع يا رامون، ها قد ذهبت حصّة من مستحقّاتنا. هذا ما كان ينقصنا، محاكمة ملحة أخرى تعترض طريقنا.

"أجل، أنا أعني هذا". أجاب مارك وهو يبحث عن اسم موسبيرغ على الإنترنت.

"تفيد موكلتي أن بحوزة موكلك جميع السجلات الطيبة. هل هذا صحيح؟".

أجاب مارك: "أملك السجلات صحيح". إدوين موسبيرغ يعمل في ست شركات قانونية مختصة في الإصابات الشخصية في تشارلستون. يبلغ من العمر خمساً وأربعين عاماً. وهذا يعني عشرين عاماً في مجال العمل وخبرة مضاعفة أكثر من أي شخص في أبشو باركر ولاين. رجل ضخم مترهل الخدين أشيب الشعر ببذلة وربطة عنق باهظي الثمن، أكبر نجاح حققه حتى الآن هو حكم بأحد عشر مليون دولار ضد أحد المستشفيات في أتلانتا. والكثير من القضايا الأصغر المثيرة للاهتمام أيضاً.

سأل موسبيرغ: "هل يمكنك أن ترسل لي نسخة عنها؟".
"بالطبع، لا مشكلة".

"حسناً، أخبرني يا سيد أبشو، إلى أين وصلت في القضية؟".

وللمرة الألف، ضرب مارك جبينه وسأل نفسه لماذا تورط في هذه المسألة. كان يضغط على أسنانه. وقال: "حالياً، يقوم خبير لدينا بمراجعة السجلات الطيبة، ومن المفترض وصول النتائج في الأيام القليلة المقبلة".

"ومن هو الخبير؟" سأل موسبيرغ وكأنه يعرف كل الخبراء في ذلك المجال.

"ستحدث عنه لاحقاً". أجاب مارك محاولاً إيجاد مخرج. فكان ينتقل من وغد إلى آخر.

"أرغب برؤية التقرير حالما تحصل عليه. نجد العديد من الخبراء السيئين في هذا المكان، ويصدق أنني أعرف الأفضل بينهم. إنه رجل يقطن في هيلتون هيد. فقد استعنت به عدة مرات، ولا يسعني سوى القول إن النجاح كان حليفنا في كل مرة".

أرجوك، تابع بالقول! فأنا أرغب بسماع المزيد منك حول نجاحك الأسطوري. أجاب مارك: "هذا رائع. أرسل لي عقدك وسنبقى على تواصل".

"بالطبع. سيد أبشو، تذكر أنه لا وجود للدعوى من دون موكلتي. أتفهم هذا؟ فقد عانت آسيا الأمرين بسبب هذا، وأنا مصمم على تحصيل كامل حقوقها".

يا سوبرمان! "وأنا أيضاً يا سيد موسبيرغ. إلى اللقاء". أنهى المكالمة، وأراد أن يلقي بنفسه من النافذة.

تلقت زولا تلك المعلومات على نحو جيد. التقى مارك بشريكه على الغداء في مطعم قرب محكمة المقاطعة حيث أنهى تود لتوه التوقيع على قضيتين للقيادة تحت تأثير الكحول في جلسة واحدة. وقد جنى منهما 700 دولار، وأصر على أن يدفع الحساب في المطعم، وقرر أن يأخذ باقي اليوم عطلة. وبالرغم من عدم اعتراف أي من الشركاء الثلاثة، لكن فكرة الحصول على ذلك المبلغ الكبير بسهولة من قضية رامون كانت مثيرة جداً. بالإضافة إلى أنها جعلت حياتهم أقل صعوبة. ولم العذاب والذهاب إلى المحاكم الجنائية والمستشفيات لاصطياد الموكلين والمبلغ الحقيقي الكبير قريب منهم؟ بات الثلاثة يعملون لساعات أقل، وقل الوقت الذي يقضونه معاً. لم يكن هناك شرخ في علاقتهم، الأمر فقط أنهم كانوا بحاجة إلى بعض الوقت بعيداً عن بعضهم. لقد زودتهما الزحمة في المحكمة بالعديد من الفرص.

غالباً ما كان تود ومارك يحضران إلى المحكمة في الساعة التاسعة صباحاً ليقوما بالإجراءات اليومية. بعض الأيام كانت مليئة بالفرص بخلاف الأيام الأخرى. بعد مرور بضعة أسابيع على لعبتهم، استدرك مارك وتود أهما لن يستطيعا الصمود لوقت أطول. كان من الصعب فهم كيف أن داريل كروملي وبريستون كلاين وباقي المختالين يمكنهم قضاء حياتهم العملية يجوبون أروقة المحاكم، مستعدين للانقضاض على الأشخاص البسطاء. ربما لم يكن لديهما خيار حقيقي؛ وكان ذلك العمل الوحيد الذي ناسبهما. لربما ساعدهما أهما لم يخافا يوماً أن يقبض عليهما لعملهما من دون ترخيص.

كانت زولا قد توقفت عن تعقب سيارات الإسعاف، لكنها لم تكن قد أخبرت شريكها بعد، وكان عليها فعل ذلك. فكانت قد غيرت وحسنت وجمّلت أسلوب طرحها لخدماتها عشرات المرات، لكنها لم تنجح بالحصول على موكل لائق. لقد أرهقها الجهد الذي تبذله، فقد كان الأمر يتطلب كثيراً من المراوغة والخداع. ففي كل مرة تستهدف فيها أحد المصايين البسطاء كانت تشعر بأنها متوحشة، وبعيداً عن شريكها، كانت تقضي وقتاً أكثر في قاعات المحكمة، تراقب محاكمات حقيقية وحجج استئناف. فقد رأت أن الأمر مذهل، لكنه محبط قليلاً. لقد التحقت بكلية الحقوق منذ سنوات قليلة وحلمت أن تصبح محامية حقيقية. لكن انتهى بها المطاف إلى أن تراقب المحامين الحقيقيين وأن تتساءل عما يحدث.

سألت أثناء الغداء: "هل سيأخذ موسبيرغ هذا نصف الأتعاب؟".

أجاب مارك: "لا أدري، فهذا جديد علينا، شأنه شأن كثير من الأمور،

لكن أعتقد أن قسمة الأتعاب سيحددها هو وجيفري كوربيت".

أضاف تود: "لكن كوربيت لم يوقع معنا بعد".

"صحيح. لكننا سنقابله في التاسع عشر من هذا الشهر".

سأل تود: "نقابله؟".

"أجل، أريد منك أن تذهب معي وأن تدون الملاحظات".

"حسناً، أنت ستكون المحامي وأنا المساعد؟".

"بل ستكون الشريك الثاني".

"يا للروعة! شكراً. وماذا إذا رفض كوربيت؟".

"لدينا موعد بعد يومين مع مولي بيرلمان، ثاني أفضل محامي مختص في قضايا الإهمال الطبي في المنطقة. فإذا لم تنجح فرصتنا مع كوربيت فإننا نلجأ إلى بيرلمان، أما إذا وافق كوربيت فسنستغني عن بيرلمان".

قالت زولا: "يبدو وكأنك تعرف ماذا تفعل".
أجاب مارك: "ربما أنت لا تعلمين، لكنني بت خبيراً الآن بالكذب والتزييف".

سأل تود: "وكيف ستزيّف الأمر إذا ما قرر أحد من طرف كوربيت أو موسبيرغ أن ينشأ إنشأً أو اثنين عن خلفيتنا ليدرك أننا لسنا مرخصين لممارسة المحاماة في المقاطعة أو بالأحرى في أي مكان؟ هذا ما أكرهه بهذا العمل. إننا بأمان في المحكمة الجنائية. لأنه، على ما يبدو، لم يعد أحد يلاحظ وجودنا. ومن المؤكد أن موكلينا لا يبهون إذا ما كنا نزيّف الأمر أم لا. لكن هذا أمر مختلف. هذه دعوى كبيرة وسيدقق العديد من الأشخاص الأذكياء في التفاصيل".

قالت زولا: "أنا موافقة. إليكما فكرة ولا أعلم إذا ما كانت ستجح أم لا. لأنه لا فكرة لدينا عن أي شيء، صحيح؟ إننا من كلية فوغي بوتوم، لكن لنقل إن تسوية القضية قد تصل يوماً ما إلى مليوني دولار، والذي هو الحد الأقصى في ولاية فرجينيا. سيأخذ المحامون 30 بالمئة من المبلغ".

رفع مارك يده وقال: "عذراً، على المقاطعة، لكن يمكن أن تصل حصتهم إلى أربعين بالمئة. فقد قرأت عن بعض الحالات حيث وافقت المحكمة على نسبة أربعين بالمئة بسبب كثرة المحامين الذين يعملون على القضية. فأنا شبه متأكد من أن كوربيت وموسبيرغ سيطالبان بأربعين بالمئة. ليس هناك خيار أمام رامون".

قالت: "هذا عظيم. لنقل أربعين بالمئة يتقاسمها موسبيرغ وكوربيت بالتساوي، أربعمئة ألف لكل منهما. يكون لنا نصف مستحقات كوربيت أي مئتي ألف دولار. وإليك الفكرة المجنونة: ماذا لو نجلس مع كوربيت لنبيعه

أرباحنا مسبقاً لكي لا يكون لنا يد بالموضوع قبل أن يثور فضول أحدهم ويكتشف أمرنا؟".

سأل مارك: "وكم المبلغ؟".

"النصف. نحسم نصف المبلغ ونخرج من القضية بمئة ألف دولار". ومن ثم طقطقت بإصبعيها: "بهذه البساطة. نأخذ مالنا الآن ولا ضرورة لأن ندخل بمتاهات الدعوى أو أن نقلق من أن يُكشف أمرنا".

قال تود: "عظيم. يعجبني هذا. وهل يمكن بيع أرباح القضية؟".

قالت: "لقد بحثت جيداً، ولم أجد أي مانع أخلاقي في الأمر".

قال مارك: "إن هذه خطة جيدة. يمكننا مناقشة الأمر مع كوربيت".

كُتبت مورغانا ناش من شركة ناو آسيست:

السيد فرايزر: أريد الاطمئنان عنك مجدداً. كيف حال صفوفك هذا الفصل؟ هل من خطط لعطلة الربيع؟ آمل أنك ستذهب إلى فلوريدا أو إلى الشاطئ في مكان ما. عندما تحدثنا المرة السابقة كنت متشائماً ولم تكن متحمساً أبداً بشأن كلية الحقوق. آمل أن أوضاعك أفضل الآن. نحتاج إلى أن نناقش معك أمر خطة تسديد الأقساط في القريب العاجل. أرجو منك أن تراسلني في أقرب وقت ممكن.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 266 ألف دولار.

مع أطيب التحيات، مورغانا ناش، ممثلة القطاع العام

أخيراً رد مارك:

الآنسة ناش: في آخر بريد إلكتروني لي طلبت منك بكل تهذيب أن تدعيني وشأني لأنني أتلقى علاجاً نفسياً وطبيبي نفسي لا يطيقك. ويقول إنه بسبب قرضي الكبير والخانق أنا على وشك الانهيار عصبياً. ويقول إنني حساس للغاية في هذه الفترة. أرجوك ابتعدي عني وإلا سأجعل طبيبي يكلم محاميك.

المخلص مارك فرايزر.

وصلت تود رسالة من ريكس واغرن من شركاء دعم التعليم:

السيد لوسيرو: تشرفني مساعدة مئات الطلاب بقروضهم، لذا أعرف الكثير عن الأمر. وليس من الغريب أن تتعرض لما أنت فيه من دون وظيفة_ وتحاول تجاهلي. أنا آسف لكنني لن أذهب إلى أي مكان ولا حتى قرضك. يجب أن نتحدث عن خطة التسديد التي ستبعتها إلا إذا تمت الموافقة على تأجيلها إلى حين حصولك على وظيفة جيدة. أرجو منك مراسلتي بأسرع وقت ممكن.

القسط الأخير المدفوع: 32.5 ألف دولار في 13 كانون الثاني 2014، إجمالي الدين والفائدة: 195 ألف دولار.

مع كامل الإخلاص، ريكس واغرن، كبير مُستشاري القروض

والذي رد عليه تود سريعاً:

عزيزي السيد واغرن كبير مستشاري القروض: عندما تشعر أنك محاصر، تحاول بشتى الطرق أن تهرب. وإحدى تلك الطرق هي أن تتخلى عن الجامعة وتختبئ. وأخرى هي أن تواجه تخلفك عن الدفع وتنتهي من الأمر. والسؤال هنا: أذهب في طريقي إلى التخلف؟ وما المشكلة في ذلك؟ فأنا متأكد من أنك تعرف ملايين الطلاب الذين تخلفوا عن الدفع العام الفائت. فتمت مقاضاتهم جميعاً، لكن لم يُفصل أي منهم. لذا، ربما يمكنك أن تقاضيني، لكنك لن تتمكن من قتلي أليس كذلك؟ يمكنك أن توقف دفعاتي لبقية حياتي لكن إليك الأمر: عندما أنتهي من التعامل معك ومع شركتك ومن كلية الحقوق فسأكون قد انتهيت من ديوني. سأعيش بقية حياتي من دون ديون.

صديقك: تود لوسيرو.

بدورها أرسلت تيلدي كارفر بريداً إلكترونياً إلى زولا:

مرحباً زولا. لم يبق سوى شهرين على تخرجك. لا بد وأنك متحمسة جداً. إنك تستحقين هذا. فاجتهادك ومثابرتك أوصلاك إلى درجة المديح. هنيئاً لك. أنا متأكدة من أن عائلتك فخورة بك للغاية. ما رأيك بأن تطلعي علي خططك بشأن وظيفتك؟ علينا أن نتكلم ونبدأ بوضع عناوين لخطة تسديد الأقساط. أنا هنا من أجلك. المخلصة لك، تيلدي كارفر، مستشارة القروض. القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المُستحق، الأصلي والفائدة: 191 ألف دولار

انتظرت زولا عدة أيام ثم أجابت:

الآنسة كارفر: يؤسفني أن أخبرك أنه ما من جديد لأعلمك به. فأنا لم أستطع أن أتدبر وظيفة. سأستمر بإجراء مقابلات عمل حتى بعد تخرجي بقليل. وإذا استمر حظي سيئاً فعلى الأغلب أنني سأقبل بالعمل لدى إحدى شركات المحاسبة. وإذا حصل ذلك فإنني سأعلمك على الفور.

بالتوفيق، زولا مال.

كانت شركة جيفري كوربيت تشغل الطابقين الأخيرين من مبنى زجاجي قرب مستديرة توماس. وفي الردهة الفخمة، رافق البواب المهندم مارك وتود إلى المصعد المؤدي إلى مكتب السيد كوربيت. هذا المصعد مخصص لخدمة الطابقين السابع والثامن. وعندما فُتح بابُه، دخلا إلى غرفة استقبال عصرية الأثاث واللوحات. رحّبت بهما شابة جذابة وصافحتهما، وسألتهما إذا ما كانا يريدان شرب القهوة. راقبها الاثنان وهي تغادر، وعندما عادت ومعها القهوة بفناجين من الخبز الصيني، تبعها إلى قاعة اجتماعات بإطلالة أخاذة على قلب المدينة. تركتهما هناك وراقبها وهي تغادر مرة أخرى.

كانت الطاولة طويلة وفسيحة مغطاة بجلد خمري اللون وحولها ستة عشر كرسيًا منجدة بالجلد، وكانت اللوحات تحتشد على جدران القاعة بما يوحي بالجدية والنجاح والثراء.

قال تود مبدئياً إعجابُه بالتصميم: "وهكذا نمارس الحمامة".
 "ويبدو أننا لن نعرف هذا الشعور أبداً".

كان للسيد كوربيت طريقته الخاصة بالقيام بالأشياء. كانت الخطة أن يقابل مارك وتود مساعداً يدعى بيتر ومساعدة محام تدعى أوريليا في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر وأن يمضيا أكثر من ساعة بمراجعة أكداس سجلات رامون الطيبة بالإضافة إلى تقرير د. كونس. كان التقرير والسجلات لا يزالان في حقيبة مارك. اقترح أن يرسلها إليهما لكن لم تكن تلك سياسة الشركة.

إذا جرى الاجتماع التمهيدي على نحو جيد، فحينها سيجد السيد كوربيت فسحة في جدولِه، ليعقد معهم الصفقة. دخل بيتر وقدم نفسه، كان في الخامسة والثلاثين من العمر تقريباً ومساعداً وفقاً للموقع الإلكتروني، وكان في

الشركة خمسة عشر محامياً نصفهم شركاء، لكن كان من الواضح، على الأقل من الموجود على الإنترنت، أنه لم يكن هناك سوى رئيس عمل واحد. ارتدى بيتر لباساً غير رسمي وسترة من الكشمير وسروالاً خاكي اللون. وكانت أوريليا، مساعدة المحامي، ترتدي سروال جينز. قدّم الجميع أنفسهم بطريقة لائقة.

أظهر بيتر فضولاً تجاه شركتهم، وفي غضون ثوان، تصبب مارك وتود عرفاً. ألقيا جملهما التقديمية ذاتها بأنهم ثلاثة أصدقاء طفح بهم الكيل من الشركات الكبرى، وقرروا البدء بشق طريقهم معاً. وحين سنحت الفرصة، سارع مارك إلى تغييب الأمر وسأل: "إذا أنتم متخصصون بقضايا أخطاء التوليد صحيح؟".

"هذا هو اختصاصنا". أجاب بيتر بخيلاء، بينما كان تود يقدم تقرير د. كونس. لم تكن أوريليا قد تكلمت بعد، وكان من الواضح أنها ستحافظ على صمتها قدر المستطاع.

سأل بيتر وهو يحرق إليهما من مكانه قبالة مارك: "هل يمكنني رؤية السجلات الطبية؟".

"بالتأكيد".

"كم نسخة معك؟".

"واحدة فقط".

حسناً. هل تمانع إذا نسخنا نسخة أخرى بسرعة؟ سنتصفح تلك التقارير أنا وأوريليا ونقوم بتدوين ملاحظتنا. سيستغرق الأمر وقتاً أقل إذا كان لدى كل منا نسخة".

رفع مارك كتفيه مبدياً عدم ممانعته.

غادرت أوريليا ومعها السجلات. وغادر بيتر إلى مكتبه لينجز الأعمال المستعجلة. بقي مارك وتود ليستمتعا بالإطالة ولتفقداه هاتفيهما. كان رامون قد ترك رسالتين صوتيتين.

بعد ربع ساعة، عادت أوريليا ومعها نسختين من السجلات. وعندما عاد بيتر اتخذ الجميع أماكنهم.

قال بيتر: "يمكن أن تستغرق القراءة الأولية قرابة الساعة أو أكثر. يمكنكم البقاء هنا والانتظار ويمكنكم الذهاب في نزهة إلى ذلك الحين. لكما الخيار". أراد تود أن يسأله هل يمكنه الجلوس مع السكرتيرة في غرفة الاستقبال، لكنه تجاهل الأمر.

قال مارك: "أظن أننا سنبقى هنا".

بدأ بيتر وأوريليا بتقليب صفحات السجلات وتدوين عشرات الملاحظات. توجه تود نحو الرواق ليجري اتصالاً. أما مارك فكان يرسل الرسائل الإلكترونية من هاتفه. مرّ الوقت ببطء شديد. وبدا واضحاً أن بيتر وأوريليا يعرفان كثيراً عن السجلات الطيبة.

بعد مرور نصف ساعة، غادر بيتر وعاد مع جيفري كوربيت. كان رجلاً نحيلاً أشيب الشعر يبلغ من العمر خمسين عاماً. قرأ تود ومارك كثيراً عنه فشعرا وكأنهما يعرفانه. كان يتكلم بصوت رخيم، ما من شك أن أعضاء هيئة المحلفين يجدون صوته أسراً، وكانت ابتسامته دافئة وجذابة. كان رجلاً يمكن الوثوق به. جلس على الكرسي الذي يترأس الطاولة وتوقف عن الابتسام. وحجج مارك بنظرة وقال: "لقد أحفقتما تماماً يا شباب".

توقف مارك وتود عن الابتسام بدورهما.

قال كوربيت: "لقد وقّعتم عقداً مع السيد رامون تاير في العاشر من شباط. وقد عيّنتم د. كونس بعد مرور يومين على ذلك وأعطاكم تقريره في التاسع عشر من شباط، وبعد ستة أيام من ذلك اليوم، في الخامس والعشرين من شباط، سقطت الدعوى بمرور الزمن. إنها قضية تابعة لولاية فرجينيا. يسقط الحق بمرور سنتين في فرجينيا وبعد ثلاث سنوات في مرييلاند وبعد خمس سنوات هنا. لكنها ليست سوى سنتين في فرجينيا".

قال مارك: "عذراً، لكن كانت عملية الولادة العام الفائت، في الخامس والعشرين من شباط. وهذا موجود في أعلى صفحة سجل الدخول".

نظر بيتر إلى الأسفل وأجاب: "أجل، لكن هذا التاريخ غير صحيح. إنه التاريخ الأول الذي تراه عندما تنظر إلى السجلات، ومن الواضح أنه التاريخ

الوحيد الذي لاحظتموه، أقصد أنت ود. نوكس على حسب ظني. كتب أحدهم 2013 بدلاً من 2012 وهكذا بدأت الأخطاء تتراكم. وُلد الطفل في الخامس والعشرين من شباط 2012".

ومن أجل مصالح واضحة قال كوربيت: "كونس طيب فاشل، وقد حوّل خطأه ليصبح شاهداً طيباً لأنه لم ينجح كطيب حقيقي". لكنه هو من أعطانا رقمك. هذا ما كاد يقوله مارك، لكنه كان مصعوقاً ليقول أي شيء: "إذا ما الذي تقوله؟".

أشار كوربيت بإصبعه نحوه وقال: "ما أقوله يا بني أنك وشركتك الصغيرة لم تفعلوا أي شيء تجاه القضية قبل سقوط الحق بمرور الزمن ومن المستحيل إعادة الاستئناف في القضية. إنك متهم الآن بقضية إهمال عليك أن تدعو ليبل نهار ألا يقاضيك موكلك. فليس لديك دفاع ولا مجال للهروب. ما أنت فيه هو أسوأ كابوس للمحامي وما قمت به خطأ لا يغتفر. أجل، إن موكلك قد سكت عن القضية لسنتين وهذا ليس غريباً على الإطلاق. كان أمامك كثير من الوقت لتحضّر وترسل إشعاراً توقف به مرور الزمن. لكنك لم تفعل". فهض كوربيت مستمراً بالإشارة إليه: "والآن أريد منكما أن تأخذا سجلاتكما الطيبة وأن تخرجا من مكنتي. لا أريد أن أكون طرفاً في هذا. من الواضح في السجلات أنك راسلتني في السابع والعشرين من شباط. وهذا بعد سقوط الدعوى بمرور الزمن، لا أريد أن يظهر اسم شركتي في دعوى سقطت بمرور الزمن".

هض بيتر وأوريليا أيضاً. نظر مارك وتود إليهم وهضاً ببطء. استطاع مارك أن يخرج الكلمات التالية من فمه: "لكن السجلات تذكر أن العملية كانت العام الفائت، 2013".

لم يكن كوربيت متعاطفاً معهما: "لو أنكما درستما السجلات يا سيد أبشو، لكنت استدركت أن الحادثة حصلت عام 2012، أي منذ أكثر من عامين".

وبطريقة مسرحية رمى بيتر السجلات الأصلية على الطاولة، وكأنه يسلم مسدساً. نظر مارك إليه بتعجب وسأل: "وماذا نفعل الآن؟"

قال كوربيت: "لا أستطيع أن أسديكما أي نصيحة، فلم يسبق لي أن كنت في موقف مماثل. لكنني افترض أنه يجب عليك أن تبلغ عن الأخطاء والهفوات وأن تشعر بها شركة التأمين. ما هو مبلغ التغطية لديك؟".

أخطاء ماذا؟ عن أي تغطية يتحدث؟ نظر مارك إلى تود والذي كان ينظر إليه بدوره. أجاب متلعثماً: "عليّ أن أتحقق من المبلغ".

قال كوربيت: "افعل ذلك. والآن أرجوك غادر وخذ معك سجلاتك". مشى بيتر نحو الباب وفتحه. حمل مارك أكداً السجلات وتبع تود إلى خارج الغرفة. كان أحدهم قد أغلق الباب وراءهما بقوة، ولم تكن السكرتيرة الجذابة على مكتبها عند خروجهما، ولم يكن البواب باللطافة ذاتها عندما غادرا المبنى، ولم يتفوها بكلمة واحدة إلى أن أحكما إغلاق باب سيارة تود. كانت سجلات رامون الطيبة متناثرة على المقعد الخلفي.

أمسك تود بالمقود وقال: "حسناً. إن هذه آخر قضية نلجأ فيها إلى ذلك التافه".

بطريقة ما وجد مارك ما قاله تود طريفاً وبدأ بالضحك. وليمنع نفسه من البكاء، ضحك تود معه، واستمر بالضحك إلى أن ركنا السيارة خلف حانة روستر.

وجدت زولا جالسين إلى طاولتهم المعتادة وكأسهما فارغتان. من نظرة واحدة إلى أعينهما علمت أن هناك قصة دسمة، جلست بالقرب من مارك، ونظرت إلى تود، وبما أن أياً منهما لم يتكلم سألتها: "حسناً! كيف جرى الأمر؟".

فأجابها تود سائلاً: "هل سبق لك أن سمعت بشيء يدعى تأمين ضد الأخطاء والهفوات للمحامين؟".

"لا أظن هذا. لماذا؟".

قال مارك: "حسناً، يبدو أن كل محام مرخص لديه تأمين ضد الإهمال يشار إليه بالتأمين ضد الإهمال والهفوات، ويفيد هذا التأمين في حال أخفق المحامي وقام

بعمل مشين، كأن يتجاهل تحريك الدعوى قبل أن تسقط بمرور الزمن، ولا تعود
صالحة للمحاكمة، وعندما يثور الموكل ويقاضي المحامي ذاته، هنا تأتي شركة
التأمينات لتدافع عنه. إن هذا تأمين ذكي للغاية".
قال تود: "من المؤسف أنه ليس لدينا تأمين".

"إننا بحاجة ماسة إليه الآن. لقد سقطت دعوى رامون بمرور الزمن في
الخامس والعشرين من شباط أي بعد سنتين من وفاة الطفل، فمدة مرور الزمن
في فرجينيا سنتين فقط، هل تعلمت شيئاً بهذا الخصوص في كلية الحقوق؟".
"كلا".

"وهذا يجعلنا ثلاثة. بعد ستة أيام من معرفتي بكونس، وقبل يومين من
اتصالي بكوربيت، سقطت الدعوى بمرور الزمن. لا يمكن الاحتيال على الأمر
ولا يمكن لوم أحد سواي".
أضاف مارك: "نحن جميعاً ملامون، فالواحد للجميع والجميع للواحد،
صحيح؟".

قالت زولا: "ليس بهذه السرعة".
أضاف مارك: "في الواقع، رأى مساعداه المشكلة بينما كانا يراجعان
السجلات، فأبلغاه بالأمر، وعندما أتى طردنا، خشيت أن يستدعي رجال الأمن
ليرافقونا إلى خارج المبنى".
"إنه شرير حقيقي أليس كذلك؟".

أجاب تود: "لا يمكنك لومه. فهو يحاول أن يبعد شركته عن دائرة الخطر.
فلا يدخل كل يوم إلى مكتبه مهرجان ليناقشا قضية ميتة وهما في غاية الغباء
ليدركا هذا".

أومأت برأسها، وحاولت أن تستوعب الأمر. أشار مارك إلى النادلة،
وطلب مشروباً إضافياً.

سألت زولا: "كيف تلقى رامون الخبر؟".
ابتسم مارك وقال: "لم أتصل به بعد. أظن أنه عليك أن تتصلي به".
"أنا؟ لماذا؟".

"لأنني جبان. وأنت بخلافي. التقيه لشرب مشروب ما، أطلقني العنان لسحرك ليُهر على أمل ألا يقاضينا مطالباً بخمسة ملايين دولار".
قالت: "أنت تمزح بالتأكيد".

أجاب مارك: "أجل يا زولا. أنا أمزح. سأتولى الأمر. في النهاية سألتقي رامون، وسنجتاز الأمر بطريقة ما. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في موسبيرغ، فهو جالس بالقرب من الهاتف ينتظر تقرير خبرنا، وفي مرحلة ما عليّ أن أخبره، وعليّ فعل هذا بأسرع وقت ممكن، فقد ضاعت القضية إلى الأبد. وأنا على ثقة أنه سيقاضينا بالنيابة عن موكلته وسيُكشف أمرنا".

سألت زولا: "ولماذا يقاضينا إذا لم يكن لدينا لا تأمين ولا أي منافع؟".
"لأنه محام، ويقاضي الجميع".

قال تود: "انتظر لحظة! في الواقع هذا سؤال منطقي. لنذهب إلى موسبيرغ ونخبره بالحقيقة ونرى ما سيحدث؟ فهو موجود في مكان بعيد في تشارلستون، ولن يهتم ما نفعله بعيداً عنه هنا، لنخبره أننا تركنا كلية الحقوق، وأنا نحاول كسب المال باستقلال، ومن دون الانتساب لرابطة المحامين، وأنا متأسفون أشد الأسف لأننا أفلسنا قضيته، فنحن مجرد مجموعة مغفلين صحيح؟ إنني لا أرى سبباً يحمله على مقاضاتنا، فنحن لا نملك شيئاً؟ لم قد يهدر وقته سدى؟ من المؤكد أن لديه العديد من القضايا الأخرى".

قال مارك: "حسناً. اذهب أنت إلى تشارلستون، فسيارتي البرونكو قد تخذلني".

سألت زولا: "ماذا ستخبر رامون؟".

وضعت النادلة كأسين من الشراب وكأس شراب غازي على الطاولة. احتسى مارك حسوة كبيرة ثم مسح فمه وقال: "أظن أن إخبار رامون بالحقيقة سيكون كارثة لذا دعونا نستمر بالكذب في الوقت الحالي. سأقول له إن الخبر لم تعجبه الوقائع ولم ير أية مصداقية بالأمر. لذا نحن نبحث عن خبر آخر. علينا شراء الوقت. لنُدع بضعة أشهر تمر. ولنبق في بالنا أنه كان نائماً على القضية لمدة سنتين، ففي النهاية سيقتنع".

قال تود: "لن يتراجع الآن، فقد حمّسته بما فيه الكفاية".

"هل لديك فكرة أفضل؟".

"في الوقت الراهن لا. من الأفضل أن نستمر بالكذب. فمن دون خبيرة،

عندما تقع في مأزق عليك بالكذب".

الجمعة 21 آذار بعد يومين من بداية نهاية شركة أبشو باركر ولاين، اتصل إدوين موسبيرغ مرتين قبل الظهر. تجاهل مارك الاتصاليين. كان محتبباً في مقهى في الطابق العلوي لمتجر بيع كتب مستعملة بالقرب من مستديرة فارغوت، يقرأ الجريدة اليومية ليمضي الوقت. افترض أن تود يجول في قاعات المحكمة بينما تخيم زولا في غرفة الصلاة في أحد المستشفيات حيث تجتمع العائلات مع القساوسة. لكن مارك شك في أن أياً منهما يقوم بعمله بنشاط. لقد خفف حلمهم بغنيمة كبيرة سهلة من الضغط وهدأهم وجعلهم يشعرون بأمان كاذب.

الآن بعد أن تلاشى حلمهم بهذه الطريقة، بدوا مترنحين. لقد اتفقوا على مراكمة أكبر قدر من المال قبل أن ينهار كل شيء، لكن فشلهم قتل حماسهم.

جاء بريد موسبيرغ الإلكتروني كالقنبلة:

السيد أبشو: لقد اتصلت بك مرتين لكنك لم تجب. هل أنت على دراية بموعد سقوط الدعوى بمرور الزمن؟ فموكلتي ليست أكيدة من تاريخ الولادة، لكني أعتقد أنها في هذا التاريخ من العام، في أواخر شباط أو بداية آذار من العام 2012. وأذكرك أننا لا نملك السجلات. ومدة مرور الزمن ستان في ولاية فرجينيا. أنا متأكد من أنك تعلم هذا. أرجوك اتصل بأقرب فرصة.

بما أن المبلغ الذي بجوزة شركة أبشو باركر ولاين هو 52 ألف دولار والذي تجمع من المبلغ الذي أقرضتهم إياه دائرة التعليم، بالإضافة إلى المبلغ الذي حصلوه من اصطيات الزبائن خلال ممارستهم للمحاماة من دون ترخيص، وبعد خصم مصاريف شراء حاسوب مكتبي جديد وطابعة وثياب جديدة وأثاث قديم والطعام. لذا، وجد الشركاء الثلاثة أن شركتهم تستطيع تحمل تكاليف تذكرة ذهاب وإياب إلى تشارلستون.

ابتاع مارك التذكرة من مطار ريغان، واستقل بداية الطائرة المتجهة إلى أتلانتا، ومن ثم إلى تشارلستون. من المطار استقل سيارة أجرة إلى مستودع في وسط المدينة كان السيد تشارلستون وشركاه قد حوّلوه إلى مكتب ذي إطلالة خلابة على الميناء. كانت الردهة عبارة عن متحف مخصص لأبطال تلك الشركة، كانت جدرانها مليئة بمقالات الصحف المؤطرة التي تعرض الانتصارات والتسويات التي توصلت إليها الشركة. بالقرب من النافذة، كانت هناك بندقية صيد مثبتة بالقرب من صورة أشعة سينية لرأس شخص ما، وفي مكان آخر منشار كهربائي، وفي إحدى الزوايا ثبتت آلة جز عشب. بعد عشر دقائق اقتنع مارك بأن تلك الأدوات غير آمنة. وكما شركة كوربيت، كانت شركة موسبيرغ مليئة بالنجاحات الأسطورية. كيف يصبح المحامون أغنياء إلى هذا الحد؟ أين انحرف مسار عمل مارك ليتجه في اتجاه آخر؟

ناداه أحد المساعدين، وقاده إلى مكتب فسيح حيث كان إدوين موسبيرغ يقف أمام نافذة كبيرة، يحدق إلى الميناء ويتكلم عبر الهاتف. عبس في وجه مارك، وأشار إليه كي يجلس على المقعد الجلدي الوثير. كان المكتب أكبر من الطابق الرابع بأكمله حيث كان مارك وتود محتبئان.

أخيراً، وضع موسبيرغ هاتفه في جيبيه. مد يده من دون أن يتسهم ثم قال: "سعدت بلقائك. أين السجلات الطبية؟"

لم يجلب مارك معه شيئاً، ولا حتى حقيبة. "لم أجلبها. فنحن بحاجة لتكلم أولاً".

"لقد مر الزمن على الدعوى".

"صحيح".

جلس موسبيرغ إلى الطرف الآخر من الطاولة وحدّق إليه. "توقعت هذا. ماذا قال الخبير؟".

"قال إنها قضية إهمال جسيم، وأنا سننال منهم، وهو بدوره لم ينتبه لمرور الزمن. قال كوربيت إنه خبير فاشل، وأن الدعوى سقطت. بمرور الزمن قبل ستة أيام، أي قبل يومين من اتصالي الأول بمكتب كوربيت".

"جيفري كوريت؟".

"أجل. أتعرفه؟".

"أجل. إنه محامٌ جيد. حسناً أنت تقول إنك تركت مليوني دولار تضيع هباءً منشوراً؟".

"هذا ما أفترضه".

"ما هي حدود مسؤوليتك؟".

"ليس لديّ تأمين".

أقول إنك تمارس المحاماة من دون أن يكون لديك تأمين ضد الإهمال والهفوات؟".

"هذا صحيح. وأنا أيضاً أمارس المحاماة من دون ترخيص".

أخذ موسبيرغ نفساً عميقاً وزفر بقوة. أسدل يديه وقال: "فقط أخبرني القصة".

في غضون عشر دقائق كان مارك قد أخبر قصته: إنهم ثلاثة أصدقاء جيدون في كلية حقوق سيئة. قروض كبيرة. سوق عمل ضعيفة. قصة جوردي وانتحاره عن الجسر. الرهاب من امتحان القبول. ضخامة الأقساط والفكرة الجنونية بعمليات الاحتيال التي يقومون بها في المحكمة. والمهزلة التي ساهمت بها مساعدة جذابة للمدعي العام، والتي كانت السبب في تورطهم بقضية رامون. وها نحن ذا.

سأل موسبيرغ: "وهل كنت تعتقد أنك ستنجو بما فعله؟".

"لم يُكشف أمرنا حتى الآن. أنت الوحيد الذي يعرف بالأمر. ولماذا قد هتم؟ فلديك كثير من القضايا التي تشغلك، ولديك مال أكثر مما يمكنك صرفه، بالإضافة إلى أنك بعيد عن العاصمة وأنت لن تخسر شيئاً".

"ما عدا قضية الإهمال الطبي تلك".

"هذا صحيح. فقد أخفقنا. لكن دعنا لا ننسى حقيقة أن موكلتك وموكلي أهملوا القضية حتى اللحظات الأخيرة".

"ماذا ستخبر موكلك؟".

"ليست هناك مسؤولية، ربما سيرضخ وربما سيثير الصخب، لنتنظر وسنرى. يبدو أنه لدينا المشكلة ذاتها".

"في الواقع، ليس تماماً، فأنا لم أوقع عقداً مع آسيا. ففي قضايا الإهمال الطبي عليك أن لا توقع العقد إلا بعد النظر في السجلات الطبية، أضف هذه المعلومة إلى الأشياء الكثيرة التي لم تتعلمها بعد".
"أشكرك. لكن ماذا ستقول لها؟".

"لا أعلم. لم أفكر بالأمر بعد. فهي غير سوية تماماً من الناحية العقلية".
"يمكنك أن ترفع دعوى ضدي، لكن ما الجدوى منها؟ فأنا لا أملك شيئاً واحداً وبصراحة، لن تتمكن من إيجادني في واشنطن إذا ما أردت ذلك. فآخرون يبحثون ولم يفلحوا".

"هل مارك أبشو هو اسمك الحقيقي؟".
"كلا".

"وباركر ولاين؟"
"أسماء وهمية".

"هذا يفسر لماذا لم نستطع إيجاد أي سجلات لكم ولشركتكم في مجلد رابطة محامي واشنطن. إنك بهذا تترك وراءك آثاراً يا بني".
"هل اتصلت بأحد هناك؟".

"كلا، لكن أحد مساعدي بحث عنكم".
"سأكون ممتناً لك إذا توقفت عن البحث، فهذا أنا أخبرك بالحقيقة من تلقاء نفسي".

"حسناً دعني أخص الأمر. تركت كلية الحقوق، واتخذت لنفسك اسماً آخر، والآن تمارس المحاماة من دون ترخيص، وهذا بالمناسبة يعد جريمة، وتستلم أتعابك نقداً من دون تسجيل نظامي، وهذا أيضاً يعد جريمة. والآن، تسببت بخسارة الحق برفع دعوى، وأضعت على موكلك وموكلتي أموالاً لم يكونا ليحلما بها. هذا ودون ذكر تخلفك عن تسديد قرضك. هل فوتت شيئاً؟".
"بضعة أشياء فقط".

"بالطبع. وماذا يفترض بي أن أفعل؟".

"لا شيء. فقط دعني أنجو بنفسي، ماذا ستجني إن أبلغت عني رابطة المحامين في العاصمة؟".

"حسناً، أولاً، سيكون من الجيد أن أنظف مهنتنا. فلدينا ما يكفي من المشاكل من دون أن يعترض غشاش مثلك طريقنا".
"أظن يمكنك القول إننا نقدم خدمات قيمة لربائنا".
"رامون تاير؟".

"كلا، ليس هو. بل أشخاص آخرون. كان رامون أول مغامرة لنا في حقل ألغام الإصابات الشخصية وبصراحة، أظن أنني اكتفيت. ومن الآن فصاعداً سنحصر خدماتنا في قضايا القيادة تحت تأثير الكحول، وستترك قضايا حوادث السيارات إلى كبار المحامين".
"هذا جيد".

أرجوك يا سيد موسبيرغ، دعنا وشأننا. فلدينا من المصاعب ما يكفينا".
قال موسبيرغ بينما ينهض: "أخرج من مكتبي".
أغمض مارك عينيه امتعاضاً، وأسدل كفيه. وقال: "أظن أنني سمعت هذا سابقاً".

مشى موسبيرغ نحو الباب وفتحه قائلاً: "أخرج".
كانت رحلة العودة قد تأخرت، ووصل مارك إلى الشقة قرابة منتصف الليل.

ربما كان تأجيل الرحلة في مصلحته، وبذلك تفادى الإصابة بطلق ناري أو شيء من هذا القبيل.

قرابة الساعة التاسعة من تلك الليلة، وجد رامون حانة روستر، وجلس إلى المشرب. كان تود خلف المشرب يعد المشروب، وكان زبائن المساء الذين يأتون بعد العمل ونصف الزبائن اليوميين يشاهدون كرة السلة الجامعية. طلب رامون الشراب مع المشروب الغازي، وبعد أن وضع تود أمامه طبقاً من الفستق سألته

رامون: "هل تعرف هذا الشاب؟" وهو يريه بطاقة مارك أبشو لشركة أبشو باركر ولاين. كان العنوان المدون: 1504 جادة فلوريدا. أي المكان الذي يجلس فيه.

نظر تود إلى البطاقة وهز رأسه نافياً. أقنع تود ومارك العاملين بالحانة أن يدعوا عدم معرفتهم بهما إن سأل أحد عنهما أو عن مكتب شركتهما. لقد سارت الأمور طوال الفترة الماضية وفقاً لما خططوا له.

قال رامون: "هذا الرجل هو محاميّ ومكتوب على بطاقته أن مكتبه هنا في هذه الحانة صحيح؟".

كان لسانه ثقيلًا بعض الشيء بفعل الشراب، ولم تكن جميع كلماته مفهومة.

فحأة أصبح تود منشداً لزبونه، وأراد أن يعرف منه أكثر. "من الممكن أن يكون في الطابق العلوي. أنا لا أدري ما الذي يوجد فوق، لكنك لن تجد محامياً يعمل في هذا الوقت".

"هذا الرجل يتهرب مني، أنفهم ما أعنيه؟ منذ ثلاثة أيام وأنا أحاول الاتصال به، ولكنه لا يرد على اتصالاتي".
"لا بد وأنه مشغول. ما هي قضيتك؟".

"في الواقع إنها قضية كبيرة". أغمض عينيه، وهز رأسه، فأدرك تود أنه كان ثملاً أكثر مما يبدو عليه.

سأله تود: "ماذا أقول له إذا صادفته؟ من الذي يبحث عنه؟".
"أنا رامون" قال وبالكاد رفع رأسه. هذا ولم يكن قد شرب من كأسه بعد. أخذ تود نفساً عميقاً. دخل إلى المطبخ، وأرسل رسالة إلى مارك: موكلنا رامون موجود هنا وهو ثمل، لذا ابقَ بعيداً. أين أنت؟
لقد تأخرت رحلة أتلانتا.

اتصل به وقل له شيئاً ليهدأ قليلاً.
عاد تود إلى المشرب، ووقف على بعد بضع خطوات من رامون الذي لم يكلف نفسه عناء سحب جواله من جيبيه. فإذا اتصل مارك، ما كان رامون ليرد

عليه. لوّح وهو يحمل البطاقة وقال: "مكتوب على البطاقة أن العنوان هو جادة فلوريدا. أين المكتب إذا؟"
"لا أدري يا سيدي".

قال رامون بصوت عال: "أعتقد أنك تكذب".
"لا يا سيدي. هذا صحيح، هذه جادة فلوريدا، لكن لا وجود لمكتب محاماة هنا".

قال بصوت أعلى: "حسناً. أتعلم أنني أملك مسدساً في سيارتي؟ وإذا لم أحصل على العدالة كما أرجو، سألجأ إلى طريقي الخاصة. أتفهم ما أعنيه؟".
أوما تود لساق آخر بينما اقترب من رامون وقال: "اسمع يا سيدي، إذا ما استمررت بالتهديد سيكون الاتصال بالشرطة خيارنا الوحيد".
"أتفهم، عليّ العثور على هذا الرجل؟ المحامي أبشو. فهو من يتولى أمر قضيتي وأظنه يتهرب مني".

"لم لا تنهي شربك وسأطلب لك سيارة أجرة؟".
"لست بحاجة إلى سيارة أجرة، فسيارتي في الخارج ومسدسي أسفل المقعد".

"إنها المرة الثانية التي تذكر فيها المسدس. وهذا يوتر الجو هنا".
"لا تتصل بالشرطة".
"لقد اتصلنا يا سيدي".

جحظت عينا رامون وقال: "ماذا؟ ولم فعلتم هذا؟ فأنا لم أوذ أحداً".
"يا سيدي، في هذه المدينة تؤخذ التهديدات باستخدام السلاح على محمل الجد".

"كم تريد ثمن المشروب".
"إنه على حسابنا إذا ما غادرت المكان الآن". نزل رامون عن الكرسي وقال وهو يتجه إلى الباب: "لا أعلم لم اتصلتم بالشرطة". تبعه تود إلى الخارج، وراقبه يختفي عند الزاوية. لم ير تود إن كان يملك سيارة بالفعل.

في وقت متأخر من فجر يوم السبت، استيقظ تود في سرير هادلي كافينيس لليلة الثانية على التوالي، واكتشف أنها لم تكن موجودة بالقرب منه. فرك عينيه محاولاً أن يتذكر كمية الشراب التي احتساها، وتذكر أنها لم تكن كبيرة. شعر بتحسن، واستمتع بساعة أخرى من النوم. عندما عادت هادلي لم تكن ترتدي سوى قميص فضفاض ومعها كوبان من القهوة. أسندا ظهريهما إلى الوسائد وجلسا في الظلام.

كانت هناك حركة في الغرفة المجاورة، صوت سرير يهتز. وتبعه تأوه. همس تود: "من هذه؟".

"إنها زميلتي في السكن. أتت في وقت متأخر."
"ومن معها؟".

"لا أدري. أعتقد أنه عابر سبيل".

"حسناً، هي من أنصار عابري السبيل".

"أجل، فنحن نخوض شبه منافسة. منافسة في الأرقام".

"يعجبني هذا. هل أحسب مرة أم مرتين؟".

ارتشفت هادلي رشفة من القهوة، وأنصتت إلى ما يحدث في الغرفة المجاورة. "أنت تحسب نقطة واحدة. ونقطة أخرى لشريكك".

"أتقولين أن مارك كان هنا؟".

"محاولة جيدة. فقد رأيكما تتحدثان في المحكمة منذ عدة أيام بينما تنظران إليّ. واستطعت أن أقرأ شفاهكما. وأنا متأكدة من أنك رسمت الابتسامات على وجهك طوال اليوم التالي".

"عليّ الاعتراف. قال مارك أنك رائعة في السرير".

"هذا كل ما قاله؟".

"وأن جسديك رائع أيضاً وأنتك عدائية. والآن عرفت السبب. إنها المنافسة مع شريكك في السكن".

"كلتانا في السادسة والعشرين من العمر، عازبتان ولا نخطط للارتباط بعلاقة جدية. فنحن حرتان ومنطقتان في مدينة تحتوي على مليون شاب. فبات الأمر نوعاً من أنواع الرياضة".

سمعا صوتا... من الغرفة المجاورة.

قالت هادلي: "كان هذا سريعاً".

ضحك تود وقال: "وهل تقارنان الأداء أيضاً؟"

"بالتأكيد.. فنحن نستجوب بعضنا، وخاصة أنها أمضت الأسبوع بأكمله في الخارج مع أنواع مختلفة من الرجال".
"لا أريد أن أعرف علامتي".

"لدي فكرة. هناك متجر يبيع الكعك عند الناصية، لنذهب إلى هناك، ونأكل شيئاً، ذوقي في الرجال أرفع من ذوقها، وأنا لا أريد أن أقابل آخر عابر سبيل جلبته إلى المنزل".

"أعتقد يجب عليّ شكرك".

"لنذهب".

ارتديا ملابسهما بسرعة، وتسلا خارج الشقة من دون أن يقابلا الثنائي الآخر. كان متجر الكعك مزدحماً بزبائن عطلة نهاية الأسبوع. وجدا طاولة بالقرب من الباب، وحشرا نفسيهما في كرسيهما، وبينما كانا يلتهمان الكعك المقرمش قال تود: "أتعلمين.. إنك تبدين لطيفة لقيامك بهذه المنافسة".

نظرت حولها وقالت: "لا ترفع صوتك".

"بالكاد همست".

"لماذا؟ أتريد الزواج والاستقرار وإلى ما هنالك؟".

"لست مستعداً لذلك بعد. لكن من الغريب رؤية فتاة بجاذبيتك تبحث عن اللهو اليومي بدلاً من الاستقرار".

"كم هذا نبيل. أتقول إنه من المقبول أن تضاجع فتاة مختلفة كل ليلة، لكن قامت فتاة بالأمر عينه تصفها بالعاهرة؟".
"أنا لم أصفك بالعاهرة".

استرق شاب من الطاولة المجاورة نظرة إليهما. رشفت هادلي رشفة قهوة أخرى وقالت: "للتحدث عن شيء آخر. أثارت شركتكم الصغيرة انتباهي. فقد قابلتك وقابلت مارك أبشو، لكن من هي زولا باركر؟".
"صديقة".

"حسناً. هل هذه الصديقة تجول في المحاكم متصيداً مثلكما؟".
"لا. هي مختصة في مجال الإصابات الشخصية". أبقى تود إجابته مقتضبة وأراد أن يغير الموضوع.

"وهل تمتلك رخصة لممارسة المحاماة؟".
"مضغ تود وتفحص عينها الجميلتين. بالطبع".
"لكن الأمر أثار فضولي، وسألت رابطة المحامين، ويبدو أنهم لم يسمعوا بكم لأنك أنت ولا مارك ولا الآنسة باركر. عليكم أن تسجلوا أسماءكم. وأرقام الرابطة التي تستخدمونها غير موجودة في بياناتهم المصرفية".
"إن سجلاتهم مهملة بشكل فاضح".
"حقاً؟ أنا لم أسمع بهذا مسبقاً".
"ولم أنتِ فضولية بشأننا؟".

"إنها طبيعي. تقول إنك ارتدت كلية الحقوق في سينسناتي ومارك في ديلاوير. سألت عنكما في الكليتين لكن لم يسمع أحد هناك بكما. تدعي زولا بأنها حائزة على شهادة جامعية من روتغيز ولكن أحد من المتخرجين لا يتذكرها". قالت هادلي بنبرة بغیضة وابتسامة تذاكٍ.

تابع تود تناول طعامه وقال بنبرة لا مبالاة: "إنك متبعة محترفة. أليس كذلك؟".

"لا. هذا ليس صحيحاً تماماً. فهذا أمر لا يعني. لكنه غريب".
ابتسم تود، لكنه في الوقت نفسه أراد أن يمسح تلك الابتسامة عن وجهها،

فقال: "إننا في مرحلة توظيف هذه الفترة، إذا ما شعرت بأنك سئمت من أعمال المدعين".

"أخشى أنه لن يكون هناك عمل كثير في المكتب. لديكم مكتبكم الخاص صحيح؟ أعلم أن لديكم عنواناً لكن الجميع يستطيعون ذكر أي رقم على بطاقتهم".

"إلى ماذا ترمين؟".

"لا شيء.. مجرد فضول".

"وهل شاركت فضولك مع أحد آخر؟".

"لا، ولا أظن أن أحداً يشك بالأمر. فقد اخترتم المكان الأمثل لممارسة أعمالكم من دون ترخيص. إن المكان أشبه بالغابة، ولا أحد يهتم. لكن نصيحة، لو كنت مكانكم لبقيت بعيدة عن ويلسون فيدرستون في الدائرة السابعة. إنه أكثر حشورية من معظم القضاة".

"أشكرك. هل من أحد آخر علينا بتجنبه؟".

"لا.. لكن لا تتجنبي أنا. والآن بما أنني على دراية بخططكم تلك.. سأساعدكم عند الإمكان".

"إنك خارقة".

"هذا ما يقوله الجميع".

عند الظهرية، عندما وصل تود، كان مارك يقدم المشروب في حانة روستر. نظر إلى الساعة، ثم وضع مئزره الأحمر، وياشر بملء بضعة أكواب. وفي أول فرصة سنحت له، سحب شريكه وقال: "لدينا مشكلة يا مارك".

"مشكلة واحدة فقط؟".

"كنت مع الأنسة هادلي بالأمس".

"يا رجل.. كنت أبحث عنها".

"أنا من وجدتها أولاً. تحدثت معها قليلاً هذا الصباح على الفطور. إنها على دراية بعمليات الغش التي نقوم بها، وتعلم أننا نعمل من دون ترخيص، وقد

تفقدت رابطة الحمامين، وتعلم أننا لم نرتد الكليات التي قلنا إنها ارتدناها".
"تبا".

هذا ما قلته بالضبط. لكن أعتقد أنها لن تشكل خطراً. قالت إنها لم تخبر أحداً، وأنها تحب كتمان الأسرار حتى أنها عرضت المساعدة".
"وماذا تريد؟".

"ما نريده نحن. أعتقد أنها وزميلتها في السكن تجبان العبث مع الرجال. فكل ما يهمهما العدد".

ضحك مارك، لكن لم يكن هناك من شيء مضحك. "هل لديهما أي مشاريع الليلة؟".

"أعتقد ذلك.. مشاريع مع شبان آخرين".

قال مارك: "تبا". ثم مشى ليلبي طلب أحد الزبائن. كان تود يجفف أكواب الجعة عندما قال: "يبدو أن هذه بداية النهاية".

في وقت متأخر من يوم الأحد، اعتقل رامون تاير لقيادته تحت تأثير الكحول. أحيل إلى السجن حيث أمضى الليلة في حجرة السكارى. صبيحة الاثنين أتت حبيبته لتفقد أمره، وبينما كانت تنتظر، قابلت داريل كروملي، محام لطيف بدا مسترخياً في غرفة الانتظار. وبسرعة رتب كروملي أمور رامون. خارج السجن، وبينما كان داريل يقوم بإجراءاته الاعتيادي بشرح الخطوات التالية، قال رامون: "يا رجل.. لدي محام لكنه يتجنبني".

سأل داريل: "محام من أجل ماذا؟".

"لدي قضية كبيرة في فرجينيا، قضية إهمال طبي. مات طفلي في المستشفى منذ سنتين، وقد وكلت هذا الأحمق مارك أبشو. هل سمعت به من قبل؟".

"لا.. لكن هناك كثيراً من الحمامين ممن لا يمكن الوثوق بهم".

"إنني أشك بمهارته، وأود عزله، هل تعمل بقضايا الإهمال الطبي؟".

"أجل إنه أحد اختصاصاتي. أخبرني عن قضيتك".

بعد يومين من تلك الحادثة، كان مارك يجلس في محكمة القاضي فيونا داريمبل ينتظر شخصاً سيُعرف بسرقة من أحد المتاجر. وكالعادة، كان يدعي أنه يراجع بعض المستندات، لكنه في الحقيقة كان يراقب المحامين يمشون ذهاباً وإياباً، بينما تُذاع أرقام دعاوهم. كان المكان أشبه بغابة والقروء هي التي تتحكم بالمكان. بعض الوجوه كانت مألوفة بينما لم يسبق له أن رأى بعضها الآخر. ومرة أخرى، كان مندهشاً من عدد المحامين الذي يتطلبه سير عجلة العدالة، حين مر أمامه رجل يرتدي بذلة قبيحة، ونظر حوله كما يفعل جميع المحامين عندما يريدون أن يتم التعرف إليهم. توجه نحو المنصة، وتحدث مع أحد المساعدين الذي جال القاعة بنظره إلى أن رأى مارك ومن ثم هز برأسه.

توجه داريل كروملي إلى حيث يجلس مارك، وجلس بالقرب منه، وأخرج بطاقة عمل وقال بهدوء: "أنا داريل كروملي وأنت مارك أبشو صحيح؟".
فكر مارك بنفسه: لقد تقابلنا من قبل لكن هذا لا يبشر بالخير.
"أجل.. هذا صحيح".

"وكّلني رامون تاير. لتحدث في الخارج".

نظر مارك بسرعة إلى بطاقته وقرأ: داريل كروملي، اختصاصي بقضايا الإصابات الشخصية. وتذكر فوراً أن المحامي الآخر داريل كروملي، اختصاصي بقضايا القيادة تحت تأثير الكحول. لا بد وأن داريل رجل متعدد المواهب.

في الرواق، كان كروملي جدياً واحترافياً وهو يطلعه على الأخبار المرعبة: "وكّل السيد تاير شركتنا لمتابعة قضيته، بعد أن اعتقل لسوء الحظ لقيادته تحت تأثير الكحول".

حسناً، هذا هو الرابط! تجمد كروملي ونظر إلى مارك بتمعن وقال: "هل سبق لنا والتقيناً؟ فمظهرك يبدو مألوفاً".

"لا أظن أنني تشرفت بلقائك من قبل، فهناك العديد من المحامين في هذا المكان".

قال داريل على غير اقتناع: "اعتقد هذا". سحب بعض الأوراق من حقيبته المهترئة، وسلمها إلى مارك وأردف: "هذه نسخة من عقدنا مع السيد تاير مع رسالة منه يعفيك فيها من مهامك. أمضينا أسبوعين نحقق في قضيته في فرجينيا ويبدو أن حقه بالدعوى سقط بمرور الزمن. أظنك تعلم بذلك؟".

"أكيد. فقد نظرنا في القضية، وتمت مراجعتها من قبل خبير، الذي أخبرنا أن لا أفق لها لعدم وجود دليل على إهمال الأطباء أو تقصيرهم".
شعر مارك بوهن في ركبته، وبدأ قلبه بالخفقان بسرعة..

"من المؤكد أن لا أفق لها الآن بعد سقوط الحق بها بمرور الزمن. هل تقدمتم باستحضار لإيقاف مرور الزمن".

"بالطبع لا. فليس هناك من مصداقية. وستكون الدعوى مضيعة للوقت".

هز داريل رأسه محبطاً، وكأنه يتعامل مع أبله. أراد مارك أن يضربه، لكنه تعقل ولم يفعل ذلك. وعلى الأغلب أن محتالاً خبيراً ككروملي كان مشاجراً بدوره.

أجاب كروملي بتحدٍ: "سنرى أولاً، أريد السجلات الطبية. سأعطيها لخبير ليراجعها، وإن وجد فيها بارقة أمل، سيُقضى عليك يا صديقي".
"إنني أقول لك إنها قضية لا خير فيها".

"لو كنت مكانك للجات إلى تأميني ضد الإهمال والهفوات".
"هل تلمح إلى أنك ستقاضى محامياً آخر؟".

"نعم وألف نعم، إن وجدت ضرورة لذلك، فقد قمت بذلك قبلاً وسأقوم به مجدداً".

"أنا متأكد من أنك ستفعل".

"أرسل لي التقارير.. هل هذا واضح؟".

في تلك اللحظة، اقتربت امرأة مذعورة منهما سائلة: "هل أنتما محاميان؟".
كان مارك مرتبكاً جداً ليحيب. أما داريل فعبس وقال بسرعة: "بالطبع. ما المشكلة؟".

جمع مارك أغراضه وتراجع تاركاً إياهما ليتابعا عملهما.

اجتمع الشركاء الثلاثة مجدداً في حانة رويستر بعيداً من زحمة بعد الظهر.
كان مارك قد أنهى لتوه قصة كروملي، وكانت قد أثبتت عزيمتهم. سألت
زولا: "وماذا الآن؟".

أجاب مارك: "لنفترض الأسوأ. فلاحتمال الأكبر أن ينظر كروملي إلى
السجلات التي يمكنني أن أماطل بإرسالها لكن ليس إلى الأبد، فإذا كان هناك
مصدقية واضحة كالتّي رأها كونس، سيعرف كروملي أنه كان لرامون وزوجته
قضية دسمة. وبما أنه لا يستطيع مقاضاة الأطباء والمستشفى، لن يكون هناك من
يلاحقه سوانا. لذا سيتقدم بدعوى مطالباً شركتنا الصغيرة بعشرة ملايين دولار،
وهنا يبدأ إصلاح الضرر. وفي مرحلة ما، ولا نعرف متى تماماً، سيكشف أمرنا.
سيراجع رابطة المحامين ويكتشف الحقيقة، ومن ثم ستبلغ الرابطة عنا إلى المحكمة
لتبدأ بالتحقيق. ستكون أسماؤنا على عشرات الأوامر القضائية. لذا لن يمر وقت
طويل قبل أن تجمع قطع الأحجية معاً".

سألت زولا: "وهل ستكون الأوامر جنائية؟".

"أجل. فنحن نعلم منذ البداية أن ممارسة المحاماة من دون ترخيص تعد
جريمة. ليست جريمة كبرى لكن لا يمكننا وصفها إلا بالجريمة".
"تقصد جنحة".

"جنحة!"

قال تود: "وهناك شيء آخر يا زولا. كنا سنخبرك به لكن لم تسنح لنا
الفرصة".

"قالت زولا: "أخبراني هيا..".

تبادل مارك وتود النظرات وباشر تود بالكلام: "حسناً، هناك مدعية عامة في الدائرة العاشرة. تُدعى هادلي كافينيس. التقاها مارك في الحانة منذ بضعة أسابيع، وقد أقاما علاقة عابرة، وشيء أدى إلى آخر، إلى أن أقمت معها علاقة عابرة أنا أيضاً.. مرتين. وأثناء تناولنا الكعك على الفطور في صبيحة المرة الثانية قالت لي إنها على دراية بأمر شركتنا. وقالت أيضاً إنها لا تمنع الأمر، وتظن أنه مضحك نوعاً ما، وقالت أيضاً أنها تحب كتمان الأسرار، لكن لا يمكننا الوثوق بأحد".

قالت زولا: "وخاصة المحامون المزييفون. اعتقدت أننا اتفقنا على أن نحدّ من تواصلنا مع الآخرين".

قال مارك: "لقد حاولت ذلك".

أضاف تود: "إنها جميلة جداً".

"لم تخبراني من قبل؟".

قال مارك: "حصل الأمر الأسبوع الفائت.. بالإضافة إلى أننا نعتقد أنها ليست مصدرراً للخطر".

قالت زولا بسخرية: "خطر؟ والآن لدينا الجميلة هادلي وكروملي لنقلق بشأهما".

قال مارك: "ولا تنسى السيد موسبيرغ في تشارلستون. فهو لثيم ولن يجب شيئاً أكثر من تدميرنا".

قالت: "هذا رائع.. بعد ثلاثة أشهر من العمل، ستسقط شركة أبشو باركر ولاين".

ارتشفت رشفة من مشروبها الغازي، وجالت بنظرها في الأرجاء. ران عليهم الصمت وهم يفكرون بالخطوات التالية التي سيخطونها. وأخيراً قالت زولا: "كانت خطوة توقيع قضية الإهمال الطبي سيئة جداً، أليس كذلك؟ لم يكن لدينا أية فكرة عما يجب أن نفعله بها، وقد أفسدنا الأمر. إنها بالفعل كارثة بالنسبة إلينا، لكن فكراً برامون وزوجته السابقة. لقد حرمانها من ثروة".

قال مارك: "لقد أهملنا القضية لسنتين كاملتين يا زولا".

قال تود: "لا يمكننا العمل ضمن هذه الظروف الصعبة إلى الأبد من دون نتيجة. علينا أن نحسب حساباً للمستقبل ونفكرّ بالغد". ران الصمت مجدداً. مشى تود نحو المشرب، وجلب كأسين آخرين من الجعة. قال: "فكرّ بهذا. عندما يقاضينا كروملي بسبب الإهمال، ستكون أسماء المتهمين تود لاین ومارك أبشو وزولا باركر. ثلاثة أشخاص لا وجود لهم. فكيف له أن يكتشف هوياتنا الحقيقية؟"

قالت زولا: "ونحن بهذا نفترض أن هادلي الظريفة تلك لا تعرف أسماءنا الحقيقية، أليس كذلك؟".

قال مارك: "بالطبع لا تعرف".

"وماذا عن موسبيرغ؟"

"ليس لديه أية فكرة".

قالت: "حسناً، ليس أمامنا سوى الهرب أو الاختباء".

قال تود: "نحن مختبئون أصلاً، لكنهم سيجدوننا، إذا اقترب رامون خطوة واحدة من الحقيقة، أنا متأكد من أن المحققين المحترفين سيقطفون آثارنا. فعنواننا موجود على مليون بطاقة على الأقل من بطاقات العمل تلك نوزعها على الناس". قال مارك: "لن يحدث شيء. سيتطلب الأمر شهراً أو أكثر ليتقدم كروملي بدعوى ضدنا. سنعرف حين يقوم بذلك، لأننا سنراقب قائمة الدعاوى طوال الوقت، وحينها سيعرف أنه قاضى أشخاصاً لا وجود لهم. وهذا سيؤخره أكثر وأكثر. ستلاحق الرابطة ثلاثة محامين وهميين".

قال تود: "أعتقد أن علينا البقاء بعيداً عن المحاكم الجنائية".

"أجل. فقد ولت تلك الأيام. لا مزيد من الاحتيال على المساكين".

"وماذا بشأن قضايانا المعلقة؟ لا يمكننا ترك أولئك الأشخاص معلقين هكذا".

قال مارك: "هذا تماماً ما سنفعله. لا يمكننا إنهاء تلك القضايا لأنه لا يمكننا المخاطرة والعودة إلى المحكمة. وكما قلت لقد ولت تلك الأيام. ومنذ الآن لن تردا على أي اتصال من الزبائن أو من أي شخص على الإطلاق".

لنستخدم خطوط هاتف مسبقة الدفع لتواصل مع بعض ولنتجاهل الاتصالات الأخرى".

قالت زولا: "أنا في الأساس أحمل هاتفين. والآن سأحمل الثالث؟".

قال مارك: "أجل. وعلينا مراقبتها لنعرف من يبحث عنا".

سألت راسمة ابتسامة على وجهها: "وأعتقد أن أيامي كصائدة في المستشفيات قد ولت أيضاً".

"يؤسفني القول إن هذا صحيح".

قال تود: "أياً يكن الأمر فأنت لم تكوني جيدة فيها".

"شكراً. فقد كرهت كل لحظة من تلك المهمة".

دخل أحد مسؤولي الحانة قائلاً: "تود، عليك أن تناوب الليلة.. نواجه نقصاً ونحتاج إليك".

"لحظة". قال تود ملوحاً له. وعندما رحل المدير سأل تود: "حسناً يا شباب، ما العمل الآن؟".

أجاب مارك: "سنلجأ إلى بنك سويفت".

"ونزيد الطين بلة". قالت زولا.. لكن لم يكن ذلك سؤالاً.

أرسلت مورغانا ناش من ناو آسيست رسالة إلكترونية:

السيد مارك: أعلمت مؤخراً من قبل إدارة كلية فوغوي بوتوم أنك فصلت. اتصلت بالجامعة، وأعلمت أنك لم تحضر أي صفوف لهذا الفصل. هذا لا يبشر بالخير. أرجوك أن تراسلنا فوراً.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 266 ألف دولار.

مورغانا ناش، ممثلة القطاع العام.

في وقت متأخر من ذلك المساء وبعد احتسائه الجعة أجاها بالتالي:

عزيزتي السيدة ناش: الأسبوع الفائت أحالني طبيبي النفسي إلى مستشفى خاص للأمراض العقلية في ريف مرييلاند. لا يفترض بي استخدام الإنترنت،

لكن الإدارة هنا عبارة عن مهزلة. هلاً توقفت عن ملاحقتي رجاء؟ ووفقاً لطبيبي النفسي، أنا على وشك الانتحار. إذا استمرت بالضغط عليّ فسأفقد عقلي تماماً. أرجوكم أرجوكم دعوني وشأني.

مع حبي، مارك فرايزر.

أرسل ريكس واغتر من شركاء دعم التعليم رسالة إلكترونية إلى تود:

السيد لوسيرو: أعلمت من قبل كليتك أنك فصلت بشكل رسمي. اتصلت بالجامعة وتم إعلامي أنك لم تحضر أي صفوف هذا الفصل، والذي هو الأخير قبل التخرج. ليس لأي طالب عاقل أن يترك الجامعة في فصله الأخير قبل التخرج؟ إذا لم تكن في الجامعة أفترض أنك تعمل في مكان ما ربما في حانة. إن الوظيفة من أي نوع من دون أن تدخل الجامعة في برنامجك يعني شيئين: إما البدء بخطة تسديد أو يمكن أن يعني ذلك تخلفك عن الدفع. وأنا متأكد من أنك على دراية بأن التخلف سيؤدي إلى التقدم بدعوى ضدك من قبل دائرة التعليم. الرجاء مراسلتنا فوراً.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32.5 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 266 ألف دولار تحيائي، ريكس واغتر، كبير مستشاري القروض

بينما كان مارك يكتب رده إلى مورغانا ناش، فصل تود مستشار قرضه:

عزيزي واغتر مستشار القروض: لقد أصبت بسؤالك عن العقلانية. لا شيء عقلاي موجود في عالمي في هذه الأيام، لأنني أكره كلية الحقوق وبالأخص القروض التي لا تُقهر وأكره القانون. أكسب أسبوعياً 200 دولار بعملتي ساقياً في إحدى الحانات. ولنقل إنني أكسب 800 دولار شهرياً من دون الضرائب لأنني لم أملاً تلك الاستثمارات بعد. ولأبقي على أسلوبتي الحياتي الفقير أحتاج إلى حوالي 500 دولار شهرياً للطعام والإيجار وأشياء كهذه، وعليك أن ترى أين أسكن وماذا أكل، وبتحليل تلك الأرقام، أفترض أنه يمكنني الوصول إلى تسوية لخطة تسديد تبلغ قيمة دفعاتها الشهرية 200 دولار تبدأ بعد ستة أشهر من الآن. أعلم أنك ستكلم عن الفوائد حلماً تسنح لكم الفرصة لتضيفوا 5 بالمئة على الأقساط سنوياً. 5 بالمئة على مبلغ قدره 195 ألف دولار أي 9750 دولار سنوياً. لنقل إن المبلغ يصل إلى 10 آلاف دولار مع الفوائد. ووفقاً لخطة تسديدي يمكنني تسديد ربع ذلك المبلغ كل

سنة. وعندها ستزيدون، يا قروض القروض، الفوائد كدفعات متخلفة على المبلغ الكلي المتزايد وهذا يعني 5 بالمئة أخرى سنوياً. هذه الحسبة مربكة لكن يقول جدول بياناتي أنه خلال عشر سنوات سأكون مدين لكم بنحو 400 ألف دولار. وهذا لا يتضمن تلك الأسرار حول التكاليف والإضافات والدفعات غير القانونية التي تحشونها في قروض الطلاب. (لقد قرأت تفاصيل الدعوى، ويا إلهي كم أرغب بأن ألقأ إليها. على شركتكم أن تتجمل من تكويم المبالغ الخفية على كاهل الطلاب الغارقين في القروض).

حسنا هل أنتم مستعدون لقبول عرضي بدفع 200 دولار شهرياً؟ بعد ستة أشهر من الآن؟ بالطبع.

صديقك، تود لوسيرو.

من الواضح أن السيد ريكس واغرن كان يعمل لوقت متأخر أو كما تخيله تود كان جالساً على كرسيه ولا يرتدي سوى سروال داخلي ويشاهد الأفلام الإباحية ويراقب بريده الإلكتروني. وفي غضون دقائق أجاب:

عزيزي تود: الجواب هو لا. عرضك سخيف جداً. أجد صعوبة في تصديق أن شخصاً بذكائك مصمم على أن يقضي السنوات العشر المقبلة في إعداد المشروعات. هناك العديد من الوظائف الجيدة منها ما يتعلق في المحاماة ومنها لا. وإذا حرّكت مؤخرتك قليلاً ستجد العمل المرجو. وحينها يمكننا أن نقوم بمحادثة جدية بشأن تسديد القرض.

المخلص، ريكس واغرن، كبير مستشاري القروض."

أجاب تود على الرسالة فوراً قائلاً:

عزيزي مستشار القروض: هذا رائع. أنا أسحب عرضي. نتحدث لاحقاً.

كانت مراسلات زولا ذات مستوى مهني أعلى بعض الشيء.

أرسلت لها تيلدي كارفر التالي:

الآنسة زولا مال:

أعلمت أنك فصلت من كلية الحقوق. يستدعي هذا الحدث المأساوي عدة أمور وعلينا أن نناقشها على الفور. أرجو منك مراسلتي أو الاتصال بي

بأسرع وقت ممكن.

تيلدي كارفر، مستشارة القروض.

القسط الأخير المدفوع في 13 كانون الثاني 2014 = 32 ألف دولار. إجمالي المبلغ المستحق، الأصلي والفائدة: 191 ألف دولار.

كانت زولا شبه نائمة عندما أجابت:

الآنسة كارفر: بعد انتحار صديقي في كانون الثاني، وجدت أنه من المستحيل المتابعة في دراستي. لذا قررت التوقف عن الدراسة لفصل كامل. والخطة أن أتابع دراستي في كلية الحقوق خلال عام أو أكثر. سأراسلك بالمستجدات لاحقاً.

زولا مال.

في أحد أيام نيسان الربيعية، اجتمع الشركاء في مقر الشركة. تغير مظهر مقر الشركة بإضافة مكان سكن زولا التي أضفت حياة ولوناً إليه على مدى الشهور الثلاثة السابقة. كانت قد طلت الغرفتين باللون القشدي الفاتح، وعلقت لوحات معاصرة. في إحدى الزوايا كان هناك ثلاجة صغيرة، وهي الدليل الوحيد على وجود المطبخ. وعلى طاولة معدنية قديمة كان هناك حاسوب بشاشة حجمها ثلاثون إنشاً، وبالقرب منه طابعة ليزرية. وكانت الرفوف العتيقة التي تغطي جدارين مليئة بالكتب والأوراق والمستندات التي هي ثمار جهدهم في تقصي الأمور المتعلقة بينك سويفت. لقد انضم كل منهم منفصلاً عن شريكه، كمدح في دعوى جماعية ضد المصرف. فقد انتشرت ثلاث دعاوى جماعية في البلاد يتولاها محامون مختصون بمثلاتها من الدعاوى الكبرى.

في تلك الأثناء كان بنك سويفت على حافة الفشل، وكان بالكاد قادراً على النجاة يومياً من الهزيمة. وكانت الادعاءات المقصودة التي تسيء إلى سمعته تكثر.

كان المبلغون عن التقصير في قمة انشغالهم، ويشيرون بأصابع الاتهام إلى المدراء، وبدت الاتهامات واعدة، وأصحاب الأسهم محرجون وغاضبون في الوقت عينه، لأن الأسهم هبطت من 60 إلى 13 دولاراً في أقل من أربعة أشهر، وملاأت الإشاعات محطات التلفزة وشبكة الإنترنت. أفاد أبرزها أنه لن يكون أمام سويفت خيار سوى أن يدفع المليارات مقابل مشاكله. وحرّضت إمكانية دفع المليارات الناس على رفع الدعاوى الجماعية. مقارنة باستجابات الشركات الثلاث كان واضحاً أن مجموعة ميامي التي تدعى كوهين- كاتلر متقدمة ببضع خطوات على المجموعتين الأخريين الموجودتين في نيويورك وفي واشنطن. كان

لكوهين- كاتلر سمعة جيدة في عالم الأضرار الكبرى. وهي مجموعة ضخمة جداً تضم مئة محام بقوة غاشمة، وكانت أكثر فاعلية من المجموعتين الأخرين. قررت شركة أبشو باركر ولاين المتداعية الانضمام إلى مجموعة كوهين- كاتلر العظيمة.

جلست زولا إلى الطاولة ويدها فنجان من الشاي وشرعت بالدراسة، وجلس تود على الكرسي الوحيد الموجود وأمامه حاسوبه المحمول، أما مارك فتمدد على الأرض. كانا قد تخليا عن النظارات والبذلات وحلقا لحيتيهما، فقد ولت أيام المحاكم ولا داعي للتمويه. أمضوا بضعة أسابيع محتبئين فوق حانة روستر، ولم تكن لديهم أية خطط.

قال مارك: "هناك فرع لبنك سويفت في جادة ويسكونسن في بيثيسدا. لنبدأ من هناك. انظرا إلى كل هذه الصفحات البيضاء لبيثيسدا. إننا نبحث عن أسماء عادية يمكن لأحد أن يخطئ بكتابتها".

قال تود: "ها قد وجدت واحداً. السيد جوزيف هول، 622 مانينغ درايف، بيثيسدا. بدلاً حرف الواو بحرف الياء ليصبح جو هيل. زبوننا المزيف الأول".

فتحت زولا مستنداً منسوخاً من محتويات كوهين- كاتلر. كان ذلك المستند يُعرف باسم ورقة معلومات الدعوة (PIS). سألت: "تاريخ الميلاد؟".

أجاب مارك: "اجعليه في الأربعين من العمر. من مواليد 3/3/1974. متزوج ولديه ثلاثة أولاد. زبون لدى بنك سويفت منذ عام 2001. لديه حسابان، حساب للشيكات وآخر للمدخرات، بالإضافة إلى بطاقة صرف إلكترونية". طبع ما قاله وملأت الفراغات: "حسناً. ما هي أرقام الحسابات؟". "لتركها فارغة الآن. سنفبرك الأرقام إذا ما احتجنا إليها". "من التالي؟".

أجاب تود: "إيثيل بيري، تسكن في جادة 1210 راغبي. بدلي الياء في بيري إلى ألف وسيبقى لديك الاسم عينه، إيثيل باري".

قال مارك: "تلك هي فتاتنا المطلوبة. إيثيل اسم قدم بعض الشيء، فلنعطها بعض السنوات. من مواليد 5/12/1941، قبل يومين من هجوم بيرل هاربر. عزباء من دون أولاد. ولديها أيضاً حسابان، حساب شيكات وحساب مدخرات. وهي متقدمة في السن يصعب أن تستخدم بطاقة صرف إلكترونية. فهي لا تحب تلك البطاقات".

ملأت زولا الفراغات، وهكذا أصبحت إيثيل باري مدعية بدعوى جماعية.

"التالي".

قال تود: "تيد رادفورد. يسكن في جادة 798 دراموند، في الشقة F4. بدلي حرف الألف بحرف الياء ليصبح تيد ريدفورد، مثل الممثل روبرت".

قال مارك: "ومتى ولد تيد ريدفورد؟ انتظر لحظة". بدأ يبحث على شاشة حاسوبه ثم قال: "18/8/1936. لذا أعطه ذات تاريخ الميلاد".

سأل تود: "وهل تيد حقاً في عمر الثمانين؟".

قالت زولا وهي تطبع: "لا يزال الأمر مقبولاً في نظري".

قال مارك: "ذا ستينغ وباتش كاسيدي هما اثنان من أفلامي المفضلة. لذا لا يمكن ملاحظة ريدفورد من دون نيومان".

بحث مارك بدوره على حاسوبه وقال: "وجدت واحداً. مايك نيومان يسكن في آرلينغتون رود في بيتسدا. أزيلني حرف الياء ليصبح مايك نومان. طبعت زولا وهممت: "إننا نستمتع بوقتنا أليس كذلك؟".

بعد انتهائهم من جلبة بيتسدا وتجميعهم لخمسين مدعياً، وجهوا اهتمامهم إلى ضواحي فرجينيا الشمالية. كان هناك فرع لسويقت في بروود ستريت في فولز تشيرتش. زودت المنطقة المحيطة بها بعشرات الزبائن الوهميين الجدد الذين أضيفوا إلى الدعوى.

عند الظهيرة، شعروا بالضجر وقرروا تناول الغداء في الخارج. استقلوا سيارة أجرة إلى جورجتاون حيث وجدوا طاولة بإطلالة على بوتوماك. لم ينطق أي منهم باسم جوردي، لكنهم جميعاً تذكروا آخر زيارة لهم إلى تلك المنطقة.

فذات ليلة وقفوا-هنا- في مكان قريب وقد رأوا الأضواء تومض على جسر أرلينغتون التذكاري من بعيد.

طلبوا ثلاث شطائر وشايًا مثلجاً، وفتح الثلاثة حواسيبهم المحمولة، وتابعوا رحلة بحثهم عن زبائن وهميين لبنك سوفيت.

بعد أن فرغوا من تناول الطعام، طلب منهم النادل بلطف أن يغادروا لأنه بحاجة إلى الطاولة، توقفوا عن العمل، ومشوا إلى مقهى عند الناصية، ووجدوا طاولة أخرى في الخارج، وباشروا مجدداً عمليتهم. عندما أضافوا زبونهم المزيف المثة، أرسل مارك الاستدعاء إلى ميامي، وطلب أن يتكلم مع أحد المحامين في كوهين- كاتلر، لكن بالطبع كان ذلك المحامي المهم مشغولاً. استمر مارك في المتابعة إلى أن توصل إلى محام يدعى مارتينيز والذي- ووفقاً للموقع الإلكتروني- كان يحارب سوفيت في الصفوف الأولى. وبعد أن عرف عن نفسه وعن شركته الصغيرة، قال مارك: "لدينا ما يقارب المئة زبون لبنك سوفيت، ونود أن ننضم إلى الدعوى الجماعية".

قال مارتينيز بشيء من الدهشة: "مئة؟ أتمرح؟".
"لا أنا جاد تماماً".

"انظر يا سيد أبشو، لدى شركتنا اليوم ما يقارب المئتي ألف مدع على سوفيت. نحن لا نقبل أية إحالة تحت الألف مدع. جد ألف مدعٍ وعندها نتحدث".

قال مارك مصعوقاً وهو ينظر إلى شريكه: "ألف؟ حسناً، سنبدأ بالعمل. ومن باب الفضول فقط، كيف هو الوضع؟".

سعل مارتينيز وقال: "لا يمكنني قول الكثير، فبنك سوفيت تحت ضغط كبير، وعليه أن يتدبر أمر تسوية ما، لكنني لست متأكداً من أن محاميه يفهمون الأمر، إنهم يرسلون رسائل متضاربة، لكننا نعتقد أنهم سيتقدمون بطلب تسوية".

"الديكم فكرة عن الموعد؟".

"بداية الصيف على الأغلب. لا يريد البنك هذه الجلبة حوله، ولديه ما يكفي من المال ليوقفها، والقاضي الموجود في نيويورك المسؤول عن القضية يحاول التهرب وتأجيل الإجراءات القانونية. من المؤكد أنك تشاهد الأخبار".

"طبعاً. شكراً لك. سنبقى على تواصل".

وضع مارك هاتفه قرب حاسوبه المحمول وقال: "يبدو أن المئة ليست سوى البداية".

ينتسب لرابطة المحامين في المقاطعة ما يقارب المئة ألف عضو، نصفهم يعملون في المدينة، ونصفهم الآخر ينتشرون في الولايات الخمسين. وبما أن الإنتساب - كما دفع المستحقات - يعد واجباً، كانت النشاطات الإدارية للرابطة تشكل تحدياً، فقد عمل فريق مؤلف من أربعين شخصاً بجهد في مقر الرابطة في جادة ويسكونسن لمتابعة الأسماء والعناوين الخاصة بالأعضاء والتخطيط لمحاضرات، وحلقات بحث، ووضع المعايير للمسؤولية المهنية، وإصدار مجلات شهرية، والتعامل مع الأمور الجزائية. كانت الشكاوى ضد القضاة والمحامين تُوجّه إلى مكتب لجنة الانضباط الذي يعمل فيه لدى مارغريت سانشيز خمسة محامين وثلاثة محققين وستة مساعدين وسكرتيرتان. على أن تكون الشكاوى مكتوبة حتى تقبل، ولكن في بعض الأحيان تتلقى اللجنة شكاوى عبر الهاتف من قبل محامين لا يريدون أن يظهرُوا في الصورة.

بعد عدة محاولات استطاع إدوين موسبيرغ من تشارلستون الاتصال بالآنسة سانشيز، وأخبرها عن لقاؤه بمارك أبشو؛ شاب يدّعي أنه محام، لكن يبدو أنه يستخدم اسماً مستعاراً، فهو لم يجد اسمه في دليل رابطة المحامين، ولا حتى في كتيب أرقام الهواتف، ولا على الإنترنت، ولا في أي مكان. ووصف بشكل عام إهمال أبشو ما أدى إلى سقوط الحق بمرور الزمن من دون أن يفعل شيئاً، وأخبرها عن قدوم أبشو إلى تشارلستون متوسلاً إياه التكتم عن الأمر.

أخذت الآنسة سانشيز بالقصة، فقد كانت الشكاوى بشأن ممارسة العمل من دون ترخيص نادرة جداً، ومعظمها تكون بوجه مساعدي المحامين الذين يتعدون حدودهم بقصد أو من دون قصد، ويقومون بأعمال لا ينبغي سوى على رؤسائهم القيام بها. وكان الحل في هذه الحالات بسيطاً لا يتعدى توبيخاً

سريعاً يقضي بأن يعودوا إلى مسارهم من دون أن يصاب الزبائن بضرر كبير.
تردد موسبيرغ بإرسال شكوى رسمية، وقال إنه لا يملك وقتاً للتورط في
الأمر، لكنه يريد فقط أن يُعلم الرابطة أن هناك خطباً ما. أرسل نسخة عبر البريد
الإلكتروني من بطاقة أبشو مع اسم الشركة وعنوانها في جادة فلوريدا ورقم
الهاتف. شكرته الأنسة سانثيز على وقته.

دبّت الحماسة بالآنسة سانثيز عندما ورد اتصال آخر بشأن شركة أبشو
باركر ولاين، فقد أبلغها محامي الإصابات الشخصية فرانك غيرسون أن شابة
تدعى زولا باركر حاولت الأسبوع الماضي أن تسرق منه موكليه في الكافيتريا
التابعة للمستشفى. كانت الأنسة سانثيز تعرف غيرسون من شكاوى سابقة
عن عمله غير الأخلاقي، بدوره أرسل لها غيرسون نسخة عن بطاقة عمل زولا
باركر.

قارنت الأنسة سانثيز البطاقتين؛ الشركة ذاتها والعنوان ذاته، ولكن أرقام
الهاتف مختلفة. ألقت نظرة سريعة على لوائح أسماء المسجلين في رابطة المحامين،
ولم تجد اسم زولا باركر ولا اسم مارك أبشو. استدعت أحد العاملين لديها،
تشاب غرونزكي - والذي كان يعمل مساعداً في لجنة الانضباط - وأعطته
نسختين من بطاقتي العمل. بعد ساعة من البحث، عاد غرونزكي ليقول:
"تحققت من الجدول، ووجدت أربع عشرة دعوى كان قد تولاها مارك أبشو.
لا شيء ضد زولا باركر. هناك شاب يدعى تود لاين وهو ناشط منذ ثلاثة
أشهر، ووجدت اسمه على سبعة عشر مُدخلًا، وعلى الأغلب أن هناك المزيد،
الغريب في الأمر أنه لا يوجد أي نشاط سابق لشهر كانون الثاني من هذا العام".
قالت: "يبدو أنها شركة ناشئة. فرع جديد في المنطقة. هذا ما نحتاجه".

سأل غرونزكي: "هل أفتح ملفاً بالقضية؟".

"ليس الآن. فليس هناك شكوى رسمية بعد. متى موعد حضورهم إلى
المحكمة مجدداً؟".

قلّب غرونزكي في الصفحات أمامه وقال: "يبدو أن مارك أبشو لديه جلسة
استماع لموكل في قضية قيادة تحت تأثير الكحول في الدائرة السادسة عشرة، في

تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح الغد".

"تسلل وتقصّ عن الأجواء. تكلم مع أبشو ولنرَ ما الذي سيقوله عن نفسه".

عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، كان تشاب غرونزكي يجلس في قاعة القاضي كانتو يراقب أفواج الناس. بعد الاعتراف الثالث، نادى موظف المحكمة اسم جيريمي بلانكمور، فوقف رجل مرتبك في الصفوف الأخيرة ونظر حوله بحثاً عن مساعدة، ثم مشى بخطوات متعثرة عبر الممشى. وبينما كان يقترب من المنضدة وحيداً، سأله القاضي كانتو: "هل أنت السيد بلانكمور؟".

"أجل سيدي".

"مدونّ هنا أن محاميك هو مارك أبشو وأنا لا أراه في القاعة".

"ولا أنا يا سيدي. فأنا أتصل به منذ ثلاثة أيام وهو لا يجيب".

نظر القاضي إلى أحد موظفي المحكمة الذي أوماً بأنه لا يعرف شيئاً، ونظر إلى المساعد الذي أعطى الإيماءة ذاتها: "حسناً. تنح جانباً يا سيد بلانكمور، وسأتعامل مع الأمر لاحقاً، لنرَ إن كنا نستطيع الوصول إلى السيد أبشو عبر الهاتف. لا بد وأن مواعيده قد تشابكت".

جلس بلانكمور في الصف الأمامي مرعوباً ومرتبكاً.

وها قد تحضّر محام آخر للهزيمة.

أعلم غرونزكي الأنسة سانشيز بالأخبار، وقررا أن ينتظرا ليومين حتى يجين موعد قدومه التالي إلى المحكمة.

قرر جيريمي بلانكمور أن يبحث أكثر في الأمر، وبمساعدة أحد أصدقائه قصد مساء العنوان المذكور على البطاقة. كان أبشو قد اتفق معه على بدل أتعاب بقيمة ألف دولار، ثمانئة منها سلفاً. كان باقي المبلغ موجوداً في جيبيه، لكنه لم يكن ينوي تسليمه، بل خطط أن يواجه السيد أبشو، وأن يطلب استرداد المبلغ. ذهب إلى العنوان الموجود على البطاقة والذي هو جادة فلوريدا، لكنه لم

يجد الشركة المطلوبة، لذا ذهب وصديقه إلى حانة روستر وشربا الجعة، وتحديثاً مع النادلة التي كان جسمها مليئاً بالوشوم وتدعى بامي. لم تقل بامي الكثير خاصة عندما بدأ جيريمي بالأسئلة حول مارك أبشو وعن شركته الموجودة في ذلك المبنى. ادّعت أنها لا تعرف شيئاً، وأبدت امتعاضاً من الأسئلة. استشعر جيريمي أنها غير متعاونة معه، فكتب اسمه ورقم هاتفه على منديل ورقي وأعطاه إياه قائلاً: "إذا ما صادفت مارك أبشو أخبريه أن يتصل بي وإلا سأبلغ عنه رابطة المحامين".

أجابت بامي: "أخبرتكم مسبقاً أنني لا أعرف هذا الشخص".
"أجل أجل، لكن في حال صادفته". بعدها غادر جيريمي وصديقه الحانة.

بعد أن اشتم داريل كروملي رائحة النجاح القريب، بدأ يتحرك بسرعة أكبر. دفع 3500 دولار إلى طبيب متقاعد من أجل "مراجعة سريعة" لسجلات رامون الطيبة، كتب الخبر في لغة مباشرة أكثر من تلك التي استخدمها كونس قائلاً: "الأفعال التي قام بها فريق عمل المستشفى والأطباء الحاضرون كانت أدنى من حدّ الرعاية المطلوب بكثير، وهي تبلغ حدّ الإهمال الجسيم".

حمل داريل التقرير المؤلف من صفحتين، وأرفقه بورقتي الدعوى، وأرسلها إلى المحكمة في مقاطعة كولومبيا باسم موكله رامون تاير ضد المحامي مارك أبشو وشركته. كان موضوع الدعوى واضحاً وهو أن المحامي أبشو أهمل قضية إهمال طبي، ساحماً بسقوط الحق. بمرور الزمن، مغلقاً الأبواب أمام أي فرصة للتعويض من الأطباء والمستشفى. لقد سعى داريل للحصول على تعويض قيمته 25 مليون دولار.

أرسل داريل نسخة من الاستحضار إلى عنوان حانة روستر، ودفع شخصياً مئة دولار مقابل إرسالها إلى السيد أبشو، لكن عامل التوصيل القانوني تاه معتقداً أن المكان المرجو موجود في مكان ما فوق الحانة، فصعد إلى الطابق الثالث، لكن الباب الوحيد الظاهر كان مقفلاً. وعندما سأل داخل الحانة، أخبره المدير أنه لم يكن هناك شركة قانونية في ذلك المكان. لم يبدُ أن أحداً في المكان يعرف شيئاً

عن مارك أبشو. حاول عامل التوصيل القانوني أن يقي نسخة الاستحضار مع المدير، لكنه رفض رفضاً قاطعاً.

لثلاثة أيام حاول عامل التوصيل القانوني أن يجد إما الشركة أو مارك أبشو، لكن الحظ لم يحالفه. بسرعة قرر داريل كروملي أن يتفقد رابطة المحامين ليرى ما إذا كان أبشو عضواً فيها.

لقد اتبع الشركاء سياسة التنقل، فكانوا يغادرون المبنى كل صباح، ويتنقلون من مكان إلى آخر في المدينة، من المقاهي إلى المكتبات إلى محال بيع الكتب. كانوا يستقرون في أي مكان مع حواسيبهم المحمولة، ويملأون الجداول البيضاء بالزبد من الزبائن. كان للمار أن يتساءل ما الذي يفعلونه بهذا الجهد عندما يراهم يتممون ويقترحون الأسماء والعناوين متجاهلين الاتصالات التي ترد إلى هواتفهم. من المؤكد أنهم كانوا مطلوبين لأمر ما، لكن نادراً ما كانوا يردون على الاتصالات.

في وقت متأخر من المساء، كان تود واقفاً خلف المنضدة في الحانة يرتب المكان، بينما يدفع آخر الزبائن الحساب مغادراً. حين ظهر ماينارد - الذي كان نادراً ما يدخل حانة روستر - من المطبخ سائلاً: "أين مارك؟".
أجاب تود: "في الأعلى".

"استدعه لأنني أرغب بالتحدث إليه".

أدرك تود أن هناك مشكلة، استدعى مارك الذي كان فوقه بطابقين، في مكتب الشركة، يعمل على ملء الصفحات البيضاء مع زولا وإضافة الأسماء إلى الدعوى الجماعية. خلال دقائق قليلة، دخل مارك الحانة وتبعه تود وماينارد إلى طاولة فارغة، بدا ماينارد عابساً عندما رمى بطاقة عمل على الطاولة وسأل: "هل سبق وسمعتما بأحد يدعى تشامان غرونزكي؟ ينادونه تشاب؟".

أمسك مارك بالبطاقة وشعر بالغبثان.

سأل تود: "ومن هذا؟".

أجاب ماينارد: "إنه محقق من رابطة المحامين، أتى مرتين سائلاً عنكما. السيد مارك أبشو والسيد تود لاين. أنا لا أعرف هذين الشخصين، بل أعرف مارك فرايزر وتود لوسيرو. ما الذي يجري بحق السماء؟".

لم يعرف أي منهما بما يجب، فتابع ماينارد ورمى منديلاً ورقياً على الطاولة وقال: "جاء رجل يدعى جيريمي بلانكمور البارحة، وترك هذا، وقال إنه زبون وأنه يبحث عن محاميه، السيد مارك أبشو".

رمى بطاقة أخرى على الطاولة وقال: "وهذا الرجل أتى ثلاث مرات، يدعى جيرى كولمان، وهو عامل توصيل قانوني، أرسله أحد المحامين ويريد أن يقاضيك أنت وشركتك". ثم روى بطاقة أخرى على الطاولة وقال: "وهذه من أب قال إن ابنه قد وكلّك يا تود لتتولى قضية اعتداء بسيطة. وقال إنك لم تذهب إلى المحكمة".

حدّق ماينارد إليهما إلى أن نطق مارك أخيراً قائلاً: "إنها قصة طويلة لكننا في ورطة الآن".

قال تود: "لا يمكننا العمل هنا بعد الآن يا ماينارد. علينا أن نخفي عن الأنظار".

"معك حق وأنا سأساعدك، أنت مطرود. لا يمكنني السماح لهؤلاء بأن يسببوا الإزعاج للعمال الآخرين في هذه الحانة، فقد سئموا من التغطية عليكما، وأعرف ما سيحدث لاحقاً، ستأتي الشرطة، وتساءل العديد من الأسئلة، ولا داعي لأن أخبركما كم توترني الشرطة. لا أدري ما الذي تفعلاه، لكن الأمر سيتوقف ابتداء من هذه اللحظة. اخرجاً".

قال تود: "أنفهم هذا".

قال مارك: "هل يمكننا الإبقاء على المكان فوق لشهر آخر؟ فنحن بحاجة لأن ننهي بعض الأمور؟".

"تهيان ماذا؟ فأنتما تديران شركة غير قانونية ونصف المدينة تبحث عنكما، ما الذي تفعلاه؟".

قال تود: "لا تقلق بشأن الشرطة، فليس لها علاقة بالأمر، لنقل فقط إن هناك بعض الزبائن المتعاضين".

"زبائن؟ لكنكما لستما محامين، صحيح؟ فأخر ما سمعته هو أنكما في كلية الحقوق تستعدان للتخرج".

قال تود: "لقد تركنا الجامعة، ونحن نختال على الزبائن في المحكمة الجنائية، ونأخذ أتعابنا نقداً".

"برأيي، هذه قمة الغباء".

فكرّ مارك بأن يقول: "لم يسألك أحد عن رأيك". لكنه ملمم الأمر، ولم يقل شيئاً. بصراحة كان محقاً، لأنه حينها بدا الأمر بغاية الغباء. قال: "سندفع لك ألف دولار سلفاً مقابل شهر آخر ولن ترانا مجدداً".

رشف ماينارد رشفة من الماء المثلج أمامه وحدّق إليهما.

قال تود: "انظر يا ماينارد، إنني أعمل لديك منذ ثلاث سنوات. لا يمكنك طردي بهذه البساطة".

"أنت مطرود يا تود. أتفهم هذا؟ كلاكما مطرود. لا يمكنني السماح لهذا المكان بأن يمتلئ بالمحققين والزبائن الغاضبين، أنتما محظوظان بأن أحداً لم يتعرّف إليكما في هذا المكان".

قال مارك: "أمهلنا فقط شهراً واحداً. وأعدك بأنك لن تشعر بوجودنا".

"أشك في الأمر". وأخذ رشفة أخرى وبقي يحدّق إليهما. إلى أن سأل أخيراً: "لم تريدان البقاء هنا بعد أن بات الجميع يعرف عنوانكما؟".

أجاب مارك: "نحتاج إلى مكان لننام فيه وننهي عملنا، بالإضافة إلى أنه لا يمكن لأحد الوصول إلينا، فالباب للطوابق العلوية مقفل على الدوام".

"أعلم، ولهذا يأتون إلى الحانة ويزعجون العمال الآخرين".

قال تود: "أرجوك يا ماينارد. سنخرج في الأول من شهر حزيران".

قال ماينارد: "ألفا دولار نقداً".

أجاب مارك: "حسناً. وستستر علينا؟".

"سأحاول. لكنني لا أحب أيّاً من تلك الأضواء".

في سجن باردتاون الفدرالي، أيقظ والدا زولا وأخوها عند منتصف الليل وأخبروا بأن يوضبوا أغراضهم بعد أن أعطي كل منهم حقيبتين ليملاهما بأغراضه في غضون ثلاثين دقيقة استعداداً للرحلة، بالإضافة إلى خمسين أفريقيًا آخر-معظمهم سينغاليون كانوا قد تعرفوا على بعضهم خلال فترة السجن- صعدوا إلى حافلة بيضاء لا تحمل أي علامة تجارية. كانت الحافلة مُعدة خصيصاً لنقل معتقلي السجن الفدرالي. كانوا مكبلين وبقوا كذلك في الحافلة، رافقهم أربعة رجال مسلحين تابعين لدائرة الهجرة والجوازات إلى مقاعدهم، وأمروهم أن يجلسوا بهدوء في أماكنهم وألا يسألوا أي أسئلة. وقف اثنان من العملاء أمام الحافلة واثنان خلفها، لقد كانت كل النوافذ مغلقة ومغطاة بقضبان حديدية ثخينة.

فانتا، والدة زولا، كانت إحدى النساء الخمس في الحافلة، أما الباقون فكانوا رجالاً ومعظمهم دون الأربعين من العمر. أبدت شجاعة وأصررت على تمالك نفسها. كانت مشاعرهم قد تحجرت، فقد اعتادوا على واقع إقصائهم منذ مدة. بعد أربعة أشهر من الحجز، ارتاحوا منه. بالطبع كانوا يفضلون البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية، صحيح أن الحياة هناك تعني العيش في قفص، لكن الحياة في السنغال أكثر سوءاً.

سارت بهم الحافلة في الظلام لأكثر من ساعتين. كان العملاء يتكلمون ويضحكون بين الحين والآخر، لكن لم يصدر عن الركاب صوت واحد. أشارت اللوحات الطرقية إلى أنهم دخلوا بيتسبيرغ، وفي طريقهم إلى المطار، ما إن وصلوه حتى عبرت الحافلة بوابات الأمن، وركنت داخل حظيرة طائرات ضخمة. كانت هناك طائرة من دون شعار تجاري بانتظارهم، استجوبوا واحداً تلو الآخر، وتم التدقيق في أوراقهم الثبوتية، وبعدها أزيلت الأصفاة من

معاصمهم، وسُمح لكل منهم بأخذ حقيتيه بعد تفتيش محتواها. جرت العملية ببطء شديد، فما من أحد مستعجل، وخاصة أولئك العائدون إلى الوطن.

وصلت حافلة أخرى، ونزل منها أربعة وعشرون إفريقيًا، بدوا مصابين بالدوار، ومتعبين جداً مثل ركاب الحافلة الأولى. كان هناك خطأ ما في أوراق أحد الركاب. لذا، توجب على الباقين الانتظار، فانتظروا وانتظروا. قرابة الخامسة فجراً قاد أحد المسؤولين مجموعة الركاب الأولى في صف طويل إلى الطائرة، وبيطء شديد صعّدوا سلم الطائرة ووَجَّهوا إلى مقاعدهم. استلزم الأمر ساعة أخرى حتى الإقلاع. ارتاح الركاب عندما علموا أنهم لن يكبلوا أثناء الرحلة. قرأ مسؤول آخر القواعد المتعلقة بالتحرك أثناء الرحلة، وقواعد دخول الحمام وغيرها من القواعد. عندها سُمح لهم بالتكلم لكن بهدوء، وحذروا أنه عند حدوث أي جلبة صغيرة سيقيدون جميعاً. رافقهم ستة رجال مسلحين، وأعلموا أن الرحلة ستستغرق إحدى عشرة ساعة متواصلة مع تأمين الطعام.

قرابة الساعة صباحاً شغلت الطائرة محرّكاتها، بعد أن أغلقت الأبواب، ووضع الجميع أحزمتهم، ترافق ذلك مع قراءة إرشادات السلامة والطوارئ، وبعد ذلك سلّم جميع الركاب أكياساً ورقية فيها شظيرة جبنة وتفاحة وعلبة صغيرة من العصير. عند الساعة 7:20 درجت الطائرة على طول المدرج.

بعد ستة وعشرين عاماً من وصولهم إلى ميامي بطريقة غير قانونية على متن سفينة ليبيرية، ها هو عبدو وفانتا مال يغادران أميركا إلى مستقبل مجهول، أما بو فجلس خلف والديه، ولكن ما يميزه عنهما أنه لم يسبق أن وطئت قدماه تراب بلدٍ آخر عدا أميركا، وعندما أقلعت الطائرة أمسك عبد يد فانتا في مشهد مؤثر، وبدا أنهما يبذلان جهداً كبيراً لكبح دموعهما.

بعد ساعة من الإقلاع، اتصل أحد موظفي الخدمة الاجتماعية بزولا وأخبرها أن والديها وأخاها في طريقهم إلى دكار، هذا الاتصال كان إجراءً معيارياً يقومون به بمقتضى القانون الذي يوجب الاتصال بشخص يحدده المعتقل بالرغم من أن زولا كانت تعرف أن تلك اللحظة قادمة لا محال، إلا أنها شعرت

بثقل وطأهما عليها. صعدت إلى الأعلى، وأخبرت مارك وتود، اللذين أمضيا ساعة يواسيانهما. في النهاية، قرروا أن يمشوا ويتناولوا الفطور. خيم جو من الكآبة عليهم، حتى أن زولا لم تقرب فطورها. شعر مارك وتود بقلق جدي على عائلتها، ولكن كابوساً آخر أبقاهما مستيقظين طوال الليل، فداريل كروملي تقدم بدعوى أسرع مما توقعنا، أضف إلى ذلك أن رابطة المحامين تتبع آثارهما إما بناء لطلب كروملي أو ذلك التافه موسبيرغ من تشارلستون. وهذا ما وضعهما تحت ضغط كبير، لقد كانت صافرة النهاية على وشك أن تطلق.

أثناء تناولهما للطعام ومراقبتهما لزولا، اتصلت بديالو نيانغ للمرة الثانية. التوقيت في دكار يسبق واشنطن بأربع ساعات، وكانت ساعة العمل في ذروتها هناك. ومرة أخرى لم يجب ديالو نيانغ على هاتفه، ولم يجب أحد على هاتف مكتبه، عندها شعرت بالهلع. كان مقدم بدل أتعابه البالغ 5 آلاف دولار قد دُفع قبل أسابيع بعد أن أكد لها أنه سيوافي عائلتها في المطار، ويؤمن لهم مسكناً مؤقتاً، والأهم، سيقبهم شر السلطات. فقد ادعى أنه خبير بهذه الأمور ويعرف تماماً ماذا سيفعل.

بسبب بحث الكثيرين عنهم، لم تكن فكرة العودة إلى عنواهم المعروف جيدة. مشوا إلى أن وجدوا مقهى ستارباكس، فابتاعوا القهوة، وفتحوا حواسيبهم عائدتين إلى ملء صفحاتهم البيضاء بالأسماء.

بسبب رتابة الرحلة، لجأ الركاب إلى الثرثرة. معظمهم قالوا إن لديهم من ينتظرهم على أرض المطار بالرغم من أن الشك كان واضحاً. لم يكلف أحد نفسه عناء التظاهر بالتفاؤل، فقد ابتعدوا عن بلادهم لأعوام، ولم يكن لديهم أية أوراق ثبوتية ولا حتى أوراق ثبوتية سنغالية. فأولئك الذين كان لديهم رخصة قيادة أميركية مزيفة أُجبروا على تسليمها. الشرطة السنغالية قاسية جداً على العائدين، انطلاقاً من فرضية إذا كنتم لا تريدون العيش هنا فمن يحتاج إليكم؟ إذا طردكم الأمريكيون فلا أحد يريدكم؟ كانوا يعاملوهم كمنبوذين، وكان

تأمين السكن والوظيفة أمراً صعباً. وبالرغم من أن سكان السنغال كانوا يحملون بالهجرة إلى الولايات المتحدة وأوروبا، إلا أنهم كانوا حاقدين على أولئك الذين حاولوا وفشلوا.

لعبدو وفانتا أقارب في شتى أرجاء البلاد، لكن لم يكونوا أهلاً للثقة. فقد تواصل معهما العديد من الأقارب والأخوة على مر السنين طالبين مساعدتهما لدخول الولايات المتحدة بطريقة غير شرعية، لكن لعبدو وفانتا لم يكونا قادرين على التدخل في الأمر. فقد كانا قلقين بما فيه الكفاية لأنهما يقيمان بطريقة غير شرعية، ولم يشاء المخاطرة بمساعدة الآخرين.

الآن هم بحاجة إلى المساعدة، ولم يكن هناك من يثقون به، لكن زولا أكدت لهم أنها دفعت لديالو نيانغ وأنه سيعتني بهم، تمنوا بشدة أن يكون صادقاً ويساعدهم. انطلقوا في رحلتهم فجرأ، واستمروا بها إلى أن حل الليل. بعد رحلة دامت إحدى عشرة ساعة وجولتين إضافيتين من الطعام المعبأ بالأكياس الورقية، بدأت الطائرة بالهبوط إلى دكار و مرة أخرى عاد الركاب إلى الهدوء.

بعد منتصف الليل، وصلت الطائرة سالمة، كانت تلك مغامرة من أربع وعشرين ساعة لم يكن أي منهم قد راهن عليها. درجت الطائرة على المدرج الرئيسي، وتوقفت عند البوابة الأخيرة، أطفأت المحركات، وبقيت الأبواب مغلقة. شرح أحد مسؤولي دائرة الهجرة والجوازات لهم أنهم سيسلمون فوراً إلى السطات السنغالية. يالأنخبار المفرحة.

أخيراً، عندما فتحت الأبواب، حملوا حقائبهم وغادروا الطائرة. داخل المطار أقتيدوا إلى باحة فسيحة ومعزولة حيث اصطف رجال الشرطة، الذين لم يوح أي منهم باللطافة على الإطلاق. بدأ أحد المسؤولين بالتكلم باللغة الفرنسية والتي هي اللغة الرسمية في السنغال.

عندما اعتقلوا قبل عدة أشهر، وبدا الترحيل أمراً حتمياً، عاد لعبدو وفانتا للتكلم بلغتهما الأصلية. في البدء وجدا صعوبة بتذكر اللغة، بعد ستة وعشرين عاماً من محاولة تجنب التحدث بالفرنسية والعمل على تحسين لغتهم الإنكليزية، إن كان هناك جانب إيجابي وحيد لفترة الاحتجاز هو أنهما أعادا إحياء اللغة

التي لطلما أحباها. لكن بو لم يكن قد تكلم الفرنسية في حياته. في البداية، لم يستطع التفوه بكلمة واحدة باللغة الفرنسية، لكنه تلقى الحافز الكافي في سجن باردتاون.

بعد أربعة أشهر من التكلم فقط باللغة الفرنسية مع عائلته أصبح على مقربة من إتقانها.

تحدث المسؤول بسرعة كبيرة، ووجد معظم العائدين صعوبة في فهم ما قاله. بدأت الإجراءات عندما بدأت الشرطة بمراجعة الأوراق والمستندات القادمة من أمريكا. أشار أحد المسؤولين إلى عائلة مال وسألهم بضعة أسئلة مثل: من أي جزء من السنغال أنتم؟ متى غادرتم البلاد؟ لماذا غادرتموها؟ أين عمل عبدو قبل مغادرته السنغال؟ كم مضى على وجودهم في الولايات المتحدة؟ أين سيقيمون؟ لقد طرحوا الأسئلة وسخروا من الإجابات. حذر المسؤول عبدو عدة مرات بضرورة أن يكون صادقاً، وأكثر من مرة أكد له عبدو أنه لا يكذب.

لاحظ بو أن بعض العائدين يُصطحبون بعيداً من الباحة إلى مكان حيث ينتظرهم بعض الأشخاص، وأدرك أن هؤلاء المحظوظين يطلق سراحهم ويلتحقون بأصدقائهم وأحبّتهم.

سألهم المسؤول ما إذا كان لديهم رقم ليتواصلوا معه في دكار، وعندما أعطاهم عبدو اسم محاميهم، ديالو نيانغ، سأل المسؤول لم قد يحتاجون إلى محام، حاول عبدو أن يشرح أن الأمر قد تم تنسيقه من قبل ابنته الموجودة في الولايات المتحدة لأنه ليس لهم من أحد في السنغال يمكنهم الاعتماد عليه. تفحص المسؤول الورقة وقال إن السيد نيانغ لم يتواصل مع الشرطة بهذا الشأن، ولم يكن بانتظار عائلة مال، عندها أشار إلى صف من المقاعد وطلب منهم الجلوس هناك والانتظار، ثم مشى متوجهاً إلى رجل يرتدي بذلة رسمية.

مرت ساعة كاملة والشرطة ترافق الركاب بعيداً من الباحة، وعندما لم يتبق سوى بضعة ركاب، اقترب رجل البذلة من عائلة مال وقال: "السيد نيانغ ليس هنا. كم تملكون من المال؟"

وقف عبدو وقال: "ما يقارب الخمسمئة دولار".

"هذا جيد. يمكنكم تحمل تكلفة غرفة في الفندق. اتبعوا الشرطي، هو سيرشدكم".

حملوا حقائبهم عندما أوما الشرطي برأسه.

قادهم من الباحة إلى ساحة ركن السيارات حيث كانت تنتظر حافلة شرطة. جلس معهم في الخلف، ولم ينطق بكلمة واحدة، ولعشرين دقيقة جالوا في شوارع فارغة إلى أن طلب منهم النزول أمام فندق مكون من خمسة طوابق. قال: "ستبقون هنا لأن السجن ممتلئ. لا تغادروه أياً يكن الأمر، سنعود في غضون ساعات لأخذكم. هل لديكم أية أسئلة؟".

أوحت نبرته أنه لن يرحب بأي أسئلة. في تلك اللحظة كانوا ممتنين أنهم لم يودعوا في السجن.

حدّق إليهم الشرطي، وكأن هناك المزيد ليقوله. أشعل سيجارة ونفخ دخانها قائلاً: "أود أن آخذ بدل أتعابسي".

أدار بو وجهه وعض لسانه كاظماً غيظه. جلس عبدو على حقائبه وقال: "أكيد. كم تريد؟".

"مئة دولار".

مدّ عبدو يده إلى جيبه.

كان الموظف عند مكتب الاستقبال نائماً على كرسيه، وبدا ممتعضاً لأنه أزعج في هذا الوقت. في البداية قال إن ما من غرف شاغرة. افترض عبدو أن الفندق والشرطة على اتفاق وتمثيلية أنه لا غرف شاغرة هي جزء من الخطة. فادّعى أن زوجته مريضة وأن عليهم النوم في مكان ما. تفحص الموظف حاسوبه وتدبر غرفة صغيرة وبسعر مرتفع بالطبع. بدا عبدو شجاعاً وتحدث مع الموظف كرجل محترم موقر. قال إنه لا يملك سوى الدولارات الأميركية والتي لم تكن مقبولة بالطبع. "لا نقبل سوى الفرنكات". استطاعت فانتا أن تمثل بأنه قد يُغمي عليها في أي لحظة.

عاني بو من فهم الحوار باللغة الفرنسية، لكنه أراد أن يقفز من فوق المنضدة وأن يخنق الرجل.

بذل عبدو قصارى جهده ليحصل على الغرفة، حتى بدا أنه يتسولها. لكن الموظف أشار إلى صرّاف في آخر الشارع، لكن موقفه بدأ يلين بعض الشيء، وقال إنه يمكنهم الحصول على الغرفة الآن، لكنه يريد ماله بالعملية المحلية في الصباح الباكر. فوعده عبدو بأن هذا ما سيحصل وشكره بحرارة، عندها أعطاه الموظف المفتاح على مضض.

سأله عبدو إذا كان باستطاعته استخدام الهاتف لإجراء مكالمة إلى الولايات المتحدة. وبالطبع جاء الجواب أنه لا يستطيع. فلا يمكنهم استخدام الهاتف إلا بعد دفع إيجار الغرفة شرط أن يتم دفع ثمن الاتصال مسبقاً. كانت الساعة الثالثة فجراً بحسب التوقيت المحلي، والحادية عشرة مساءً حسب توقيت الولايات المتحدة عندما دخلوا الغرفة الموجودة في الطابق الرابع. لم يكن في الغرفة سوى سرير واحد ضيق، أصر الأب والابن على أن فاتنا هي من يجب أن تنام عليه، أما هما فناما على الأرض.

عند الساعة الثالثة فجراً، كانت زولا مستيقظة، فمن المستحيل أن تغمض لها عين. لقد أمضت الليل بطوله تتصل وتراسل ديالو نيانغ لكنه لم يجب أبداً. عندما رن هاتفها، وكان رقماً غريباً، التقطته وأجابت بسرعة، كان بو المتصل ولبرهة بعث صوته الطمأنينة في قلبها. أعطاها لمحة سريعة عن الوضع، وعمّا حصل، وقال إنه ليس هناك أي أثر للمحامي وأن الشرطي قد غادر الفندق للتو مع عبدو.

"هل أنت وأمي بخير؟"

"لم يرسلونا إلى السجن بعد، كرروا لمرتين إننا في الفندق لأن السجن ممتلئ. لكن أعتقد أنهم وجدوا مكاناً لأبي، لا نستطيع مغادرة الفندق".

"اتصلت بالمحامي مئات المرات لكنه لا يرد. هل حاولتم الاتصال به؟"

"كلا. فأنا أستخدم الآن هاتف مكتب الاستقبال والموظف يحدق إليّ ويستمع إلى كل كلمة أقولها. يبدو أنه لا يسمح لأحد باستخدام هاتفه، لكنني توصلت إليه من أجل أن أجري هذه المكالمة".
"أعطني الرقم وسأرى ما يمكنني أن أفعل".

أعطى بو الهاتف للموظف، ثم وجد مقهى بالقرب من ردهة الفندق. ابتاع كعكتين وبعض القهوة وعاد إلى الغرفة حيث كانت فانتا جالسة. سُرت فانتا باتصال بو بزولا.

تناولا الكعك وشربا القهوة، وانتظرا أن يدق الباب مجدداً.

عند العاشرة صباحاً، كانت زولا قد حسمت أمرها بالسفر إلى السنغال. كانوا جالسين في مقهى كرامر بوكس عند مستديرة دوبونت وأمامهم الحواسيب المحمولة، والأوراق متناثرة فوق الطاولة.

تناقشوا بأمر سفرها، تفهم تود ومارك حاجتها إلى الذهاب، لكنهما خشيا أن تحتجز هناك، وألا يسمح لها بالعودة، فوالدها مسحون، وقریباً سيأتي دور فاتنا وبو. إذا أتت زولا وسببت أية مشكلة، قد يحدث أي شيء. لكنها قالت إنها مواطنة أميركية، ومعها جواز سفر، وبما أن تأشيرة الدخول غير مطلوبة لإقامة لا تتجاوز التسعين يوماً، فيمكنها الانطلاق فوراً. وقالت أيضاً إنها ستعلم السفارة السنغالية الموجودة في واشنطن بخطواتها، وإذا حاول أحد في السنغال أن يحتجزها أو يمنعها من العودة ستلجأ إلى السفارة الأمريكية الموجودة هناك. لم ترَ ضيراً كبيراً في أن يتم احتجازها هناك، وتحت ظروف معينة قد تتحملها.

اقترح مارك أن تنتظر يوماً أو يومين، وتحاول إيجاد محام آخر في دكار. فقد عثروا على كثيرين على الإنترنت ومعظمهم تابعون لشركات قانونية قديمة ذائعة الصيت. بالفعل كانت تلك الشركات واعدة لدرجة أن تود مزح قائلاً إنه يود أن يؤسس مكتباً هناك في حال اضطرروا للهرب من الولايات المتحدة: "هل من سكان بيض في السنغال؟".

قالت: "طبعاً هناك اثنان أو ثلاثة".

قال مارك محاولاً ترطيب الأجواء: "يعجبني هذا. فرع خارجي لأبشو باركر ولاين".

ابتسمت بوهن وقالت: "لقد سئمت من هذه الشركة". لكنها لم تجبذ فكرة تحويل المال إلى أحد لا تعرفه. أكد لها مارك وتود أن المال ليس مشكلة.

فهناك خمسين ألف دولار في حساب الشركة وهو بالكامل تحت تصرفها في محتتها هذه. تأثرت بكرمهما ومساندتهما لها. وللمرة الأولى كشفت عن سرها الصغير، وهو أنها استطاعت توفير مبلغ 16 ألف دولار خلال المرحلة الجامعية من أجل حالات كهذه، ولم يكن أحد يعلم بأمر ذلك المبلغ.

لم يلوماها على قرارها بمغادرة البلاد، فقد تقدم المؤجرون بدعاوى ضدهم لعدم سدادهم بدل إيجار شهر كانون الثاني، وداريل كروملي تقدم بدعوى قضائية للإهمال الجسيم مطالباً بـ 25 مليون دولار، وستنضم إلى مشكلة كروملي الحكومة الفدرالية قريباً مطالبة بقيمة القرض التعليمي الذي يبلغ مجموعة لثلاثتهم نحو 600 ألف دولار، بالإضافة إلى العديد من الزبائن الغاضبين الذين يبحثون عنهم. ولم يغرب عن بالهم موظفو المحكمة الذين يتصلون بهم على الدوام، ومينارد الذي طردهم من العمل. لذا هم حرفياً من دون أية وظيفة. والطامة الكبرى كانت تحقيق رابطة المحامين بأمرهم. كانت المسألة مسألة وقت قبل أن يماط اللثام عن شخصياتهم الحقيقية.

قادوا السيارة إلى حانة روستر، حيث حرس تود ومارك الباب بينما وضبت زولا حقيبتها. توقفوا عند المصرف لتسحب زولا من حسابها عشرة آلاف دولار. لم يكن لدى المصرف خدمة تحويل المبلغ إلى العملة السنغالية. لذا، عثروا على صراف بالقرب من محطة يونيون. واشتروا من أحد محلات بيع الهواتف النقالة أربعة هواتف بخطوط تعمل دولياً وكاميرا وخدمة بلوتوث ولوحة مفاتيح ووصول للإنترنت بمبلغ 390 دولاراً. أخذ كل منهم واحداً وكانت الخطة أن يتركوا واحداً مع بو إذا كان ذلك ممكناً.

عند الساعة الرابعة والنصف، قادوا وصولاً إلى مطار، ثم مشوا إلى شباك الخطوط الجوية البلجيكية. باستخدامها لبطاقة ائتمان قديمة لها، دفعت زولا 1500 دولار ثمن بطاقة ذهاب وإياب إلى دكار مع توقف مؤقت لأربع ساعات في بروكسل. كان من المفترض أن تصل زولا إلى دكار في قرابة الساعة الرابعة من اليوم التالي، وهذا يعني أن الرحلة ستدوم لثمانية عشرة ساعة.

عند بوابة المغادرة ودع الشريكان شريكتهما بالأحضان والدموع وراقباها
تختفي بين جموع المسافرين.

عند التاسعة من صباح اليوم التالي، بينما كانت زولا في مكان ما بين
بلجيكا والسنغال، سار مارك وتود في حرم اتحاد الطلبة للجامعة الأميركية،
ووجدا طاولة في الكافتيريا. بدا مظهرهما بالسرراويل الجينزية وحقائب الظهر مثل
أي طالب موجود هناك. ابتاعا القهوة واستقرا في جلستهما، وكأنهما يستعدان
للدراسة. سحب مارك أحد هواتفه، ومشى نحو جدار مقابل للحرم الجامعي.
اتصل بفرع ميامي لشركة كوهين-كاتلر وطلب أن يتحدث إلى المحامي رادي
ستاسن. وفقاً لموقع الشركة الإلكتروني فإن ستاسن هو أحد شركاء كوهين-
كاتلر الكثر الذين يترأسون الدعاوى ضد بنك سويقت. قالت السكرتيرة إن
السيد ستاسن يحضر اجتماعاً. وقال مارك إن الأمر مهم لذا سينتظر على الخط.
بعد عشر دقائق، قال ستاسن "ألو".

عرّف مارك عن نفسه بصفته محام في واشنطن وأن لديه 1100 موكل قد
سجلوا أسماءهم، وهم جاهزون لأن ينضموا لإحدى الدعاوى الجماعية
الستة.

قال ستاسن بضحكة خفيفة: "وقد جئتم إلى المكان المناسب. إننا منطلقون
انطلاقة قوية برفع الدعاوى. لدينا حتى الآن مئتي ألف موكل. أين هم
موكلوك؟"

قال مارك وهو يضع الهاتف على الطاولة، ويجلس بالقرب من تود، وكبس
زر السماع الخارجية وأخفض الصوت: "إنهم في واشنطن جميعاً. فأنا أبحث
جيداً، وأحاول الحصول على أفضل الحالات. كم تبلغ قيمة رسومكم؟".

لا أعرف بالضبط. لكن نعتقد أن أمور أتعاب المحامي تناقش على حدة.
وحتى الآن لدينا عقود مع زبائننا بقيمة 25 بالمئة وسأخذ نسبة 8 بالمئة من
التسوية الإجمالية. وكل هذا تحت موافقة المحكمة بالطبع. قل لي ما اسمك مجدداً؟
أبشو؟ فأنا لم أستطع أن أجد لك صفحة على الإنترنت."

قال مارك: "أنا لا أمتلك واحدة، فأنا أتواصل عبر البريد الإلكتروني".
"حسناً هذا غريب".

"لكن الأمر ناجح معي. ماذا يمكنك القول بشأن المفاوضات؟".
"سيماطل بأمرها للآن، فيدعي بنك سويفت عبر الصحافة طبعاً، إنه يريد تسوية ليتابع عمله. لكن المحامين المسؤولين عن قضايا المصرف يماطلون مراكمين الملايين، كالعادة. لكننا لا نزال نظن أنهم سيستسلمون ويقدمون على تسوية. إذاً.. هل أنت معنا؟ فقد قلت إنك تبحث عن الصفقة الأفضل".
"تبدو الثمانية بالمئة جيدة. اتفقنا. أرسل لي الأوراق".
"هذا جيد. سأرسلها غداً إلى شريكة لنا تدعى جيني فالديز، وهي ستتابع معك الإجراءات".

قال مارك: "لدي سؤال".
"تفضل".

"كيف تستطيع شركتك أن تتولى أمر مئتي ألف زبون؟".
ضحك ستاسن وقال: "بعدد العاملين. حالياً لدينا عشرة شركاء يراقبون عمل ثلاثين من مساعدي المحامين والمساعدين القانونيين. الأمر متعب بعض الشيء، فهي أكبر دعوى جماعية تتولى أمرها حتى الآن، لكن الوضع لا يزال تحت السيطرة. هل هذه أول دعوى جماعية لك؟".
"أجل. الأمر يتطلب عملاً جنونياً".
"جنوني هي كلمة جيدة للآن. لكن صدقني، الأمر يستحق هذا العناء. إن العمل يجري على قدم وساق يا سيد أبشو".
"نادي مارك".

"شكراً لمشاركتنا العمل يا مارك. سنضمك وزبائنك إلى الدعوى الجماعية في غضون أربع وعشرين ساعة. بعدها يبدأ الانتظار. سأعطيك رقم هاتف جيني فالديز، هل تحمل قلماً؟".

"أجل". كتب مارك الرقم وأنهى الاتصال. عمل مارك على حاسبه قليلاً بينما ذهب تود ليحلب بعض الطعام. لم يقلوا الكثير أثناء تناولهما للكعك

وشربهما القهوة. فكرا بزولا التي كانت قد أرسلت لهما رسالة نصية تقول فيها إن طائرهما قد هبطت وأن رحلتها كانت هادئة.

أخيراً، أخذ مارك نفساً عميقاً واتصل بجيني فالديز. تحدث معها لخمسة عشرة دقيقة مدوناً الملاحظات، وأكد لها أن الأوراق صحيحة ومستوفية الشروط، وأنه جاهز ليرسل كشافاً بـ 1100 موكل من بنك سويفت. عندما وضع هاتفه جانباً، نظر إلى تود وقال: "عندما أضغط زر الإرسال ستكون قد ارتكبنا 1100 جنحة جديدة. هل نحن مستعدون لهذا؟".

"ظننت أننا اتخذنا القرار مسبقاً".

"ألا تراودك الشكوك؟".

"كل ما نقوم به تراودني الشكوك حوله، لكن هذه فرصتنا الوحيدة للهرب. لنقم بالأمر".

ضغط مارك زر الإرسال.

استقلت زولا سيارة أجرة التي كانت تتحرك ببطء شديد في زحمة السير التي لم يسبق أن شهدت مثلها من قبل. قال لها السائق إن المكيف معطل، لكنها كانت واثقة من أنه لم يعمل منذ سنين، كل النوافذ كانت مفتوحة والهواء مشبع بالغبار. مسحت قطرات العرق عن جبينها، ولاحظت أن قميصها مبتل وملتصق بجسدها. كانت السيارات الصغيرة والشاحنات والحافلات الصغيرة تطلق الأبواق في الوقت عينه والسائقون يصيحون، وكانت الدراجات الهوائية التي يركبها اثنان وأحياناً ثلاثة تناور بين السيارات، لا تفصل بينها سوى إنشآت قليلة، والباعة المتجولون ينتقلون من سيارة إلى أخرى يبيعون قوارير المياه بينما يتسول آخرون.

بعد ساعتين من مغادرتها المطار توقفت سيارة الأجرة أمام الفندق ودفعت زولا من الفرنكات الإفريقية ما يعادل 65 دولاراً. مشت نحو الردهة وتنفست الصعداء. تكلم موظف الاستقبال إنكليزية ركيكة وبدا عليه الارتباك لكنه فهم طلبها. اتصل بالغرفة، وفي غضون دقائق قليلة اندفع بو من المصعد واحتضن

أخته. لم يكونا قد سمعنا عن عبدو أية أخبار، ولم يلمح الشرطي حتى تلك اللحظة. كانا مأمورين بالبقاء في الفندق خائفين من مغادرته. بالطبع، لم يكن هناك أثر لديالو نيانغ. كانت زولا قد اتصلت به مرات عديدة عندما كانت جالسة وسط زحمة السير الخائقة لكنه لم يجب. دفعت زولا بدل إيجار غرفتين كبيرتين متصلتين ببعضهما وكان بو إلى جانبها يترجم لها. بدأت زولا بالاتصال بالمحاميين، فقد أمضت معظم وقت الرحلة وهي تبحث عبر الإنترنت عن المحامي المناسب الذي لم تكن قد وجدته بعد، لكن كانت لديها خطة.

في رابطة المحامين، بدت مارغريت سانشير مهووسة بقضية شركة أبشو باركر ولاين. وبينما كان تشاب غرونزكي يجمع قطع الأحجية. عازمت الأنسة سانشير أن تقضي على المخادعين الثلاثة، لكن في البدء عليها ايجادهم. اتصلت بشرطة المقاطعة، بعد أن حصلت على موافقة مديرها، وبصعوبة أقنعت أحد المحققين أن يلقي نظرة على القضية.

حصل المحقق ستو هوبارت على الموافقة، وياشر بمراجعة القضية مع الأنسة سانشير. تتبع تشاب العنوان إلى أن وصل إلى مالك حانة روستر، وذهب برفقة هوبارت لزيارته معاً. وجدا ماينارد في مكتبه الموجود في طابق فوق مطعم ذا ريد كات في فوغوي بوتوم.

كان ماينارد قد سئم من لف ودوران مارك وتود، ولم يعد يحتمل منهما القيام بأي عمل قد يستدعي حضور الشرطة. وبما أنه لم يكن يعلم كثيراً عما كان يجري في جادة 1504 فلوريدا، لم يتفوه بالكثير. لكنه أدلى بمعلومات أساسية. قال: "اسماهما الحقيقيان تود لوسيرو ومارك فرايزر، لكنني لا أعلم شيئاً عن الفتاة السوداء، عمل لوسيرو لديّ ثلاث سنوات، إنه ساق رائع وهو المفضل لدى جميع الزبائن. في كانون الثاني من العام الفائت، انتقلا إلى المبنى الآخر ليفتتحا مكتباً، وكانا يقايضان الإيجار بعملهما في الحانة".

سأل هوبارت: "وهل يسكنون هناك؟".

"على حد علمي هم موجودون في الطابق الرابع والفتاة في الطابق الثالث. على الأقل هذا ما أخبروني به. لقد فصلتهما من العمل الأسبوع الفائت، لكنهما سيبقيان على الشقة حتى الأول من حزيران".

"لم فصلتهما؟".

"هذا يا سيدي ليس من شأنك. لكن بجميع الأحوال، طردتهما لأنهما كانا يلفتان كثيراً من الأنظار. فأنا أوظف وأفصل كما يحلو لي كما تعلم".
"طبعاً طبعاً. تفقدنا الباب في الطابق فوق ويبدو أنه مقفل. أعتقد أنه بإمكاننا أن نحصل على أمر قضائي وأن نكسر الباب وندخل".
قال ماينارد: "أعتقد ذلك". عندها فتح درجاً، وسحب منه مجموعة مفاتيح، فبحث ووجد المطلوب منها ورماه على الطاولة: "سينفَعكم هذا. لكن أرجو كما ألا تقحما الحانة بالأمر، فتلك واحدة من أفضل الأماكن لدي".

التقط هوبارت المفتاح وقال: "لك هذا. شكراً لك".
"لا داعي للشكر".

مع حلول الظلام، غادرت زولا الفندق بسيارة الأجرة إلى قلب الازدحام في قلب دكار. بعد عشرين دقيقة توقفت عند تقاطع مزدحم وترجلت من السيارة، مشت نحو مبنى عصري حيث يحجب بوابته رجلاً أمن، كانا يتكلمان الإنكليزية وبدا عليهما أنهما منبهران بمظهرها. أعطتهما قطعة ورق كتب عليها: الحماية إندينا سانغا، ففتحا لها الباب بسرعة وقاداها إلى الردهة ومن ثم المصعد.

وفقاً لملفها الشخصي، هي السيدة سانغا، شريكة في شركة مؤلفة من عشرة محامين نصفهم نساء، وكانت الوحيدة التي تتكلم الإنكليزية والفرنسية والعربية أيضاً. وهي متخصصة بالقضايا المتعلقة بالهجرة، وبدت واثقة جداً من أنها تستطيع تولي أمر حالة عائلة زولا، على الأقل هذا ما بدت عليه على الهاتف. لاقت زولا عند المصعد في الطابق الخامس، ومن ثم مشتا إلى قاعة اجتماعات صغيرة عديمة النوافذ. شكرتها زولا لبقائها بعد ساعات عملها.

من خلال صورتها على موقع الشركة، بدت السيدة سانغا في الأربعين من العمر لكن بعد مقابلتها شخصياً بدت أصغر سناً. لقد درست في ليون ومانشستر وتحدثت الإنكليزية بطلاقة بلكنة بريطانية محببة. لم تفارق الابتسامة

وجه السيدة سانغا، وهذا ما سهّل التحدث إليها، وجعل زولا تفتح لها قلبها وتحدث بشفافية وصدق وبالتفصيل.

أعلنت السيدة سانغا أنها ستولى القضية مقابل مقدم أتعاب كبير نسبياً، فالقضية لم تكن عادية، فالشرطة لم تكن حرقت القانون بتوقيف عبدو، فمثل هذه الأمور تعد عادية في السنغال، ولكن بالمقابل كان لديها الحق بالتواصل فوراً مع الشرطة ودائرة الهجرة، وبدت واثقة أنها تستطيع إطلاق سراح عبدو مال بسرعة، وستحول دون اعتقال فاتنا وبو، وأن العائلة ستمكن من العيش بحرية وسلامة بعد أن تؤمن لهم الوثائق المطلوبة.

عندما قرع الباب، كان مارك وتود نائمين بعمق على سرير من طابقين في الطابق الرابع على جادة 1504 فلوريدا. تعثر مارك في طريقه إلى غرفة المعيشة، وأشعل الضوء وسأل: "من الطارق؟".

"الشرطة. افتح الباب".

"هل لديكم أمر قضائي؟".

"لدينا اثنان، لفرايزر ولوسيرو".

"تبا".

دخل المحقق ستو هوبارت مع رجلين يرتديان زيّاً رسمياً. سلّم مارك ورقة وقال: "أنت رهن الاعتقال". خرج تود من غرفة النوم متعثراً لا يرتدي شيئاً سوى سروال داخلي، فسلمه هوبارت الأمر القضائي الخاص به. سأل مارك: "ما سبب هذا بحق السماء؟".

قال هوبارت بخيلاء: "لممارستكما الحمامة من دون ترخيص". ضحك مارك قائلاً: "أتمزح معي؟ أليس لديك أشياء أفضل لتفعلها؟".

قال هوبارت: "أخرس. ارتدِ ملابسك وتعال معنا".

سأل تود فاركاً عينيه: "إلى أين؟".

"إلى السجن أيها الأبله. هيا".

قال تود: "يا لك من أحمق".

عادا إلى غرفة النوم، وارتديا بعض الملابس، وعادا إلى غرفة المعيشة. سحب شرطي زوجين من الأصفاد وقال: "استديرا".

قال مارك: "لا بد وأنتك تمزح معي. لا نحتاج إلى الأصفاد".
"أخرس واستدر" قال الشرطي متحدياً. استدار مارك، فثبّت الشرطي يدي مارك وكبلهما.

كَبَل الشرطي الآخر تود واندفعا عبر الباب. كان هناك شرطي آخر بالزي الرسمي ينتظر عند الرصيف، يدخن سيجارة ويحرس سيارتي دورية الشرطة بمحركاتهما التي لا تزال قيد العمل. دُفِع مارك إلى المقعد الخلفي لإحدى السيارتين ومارك إلى الأخرى. جلس هوبارت في المقعد الأمامي. عندما تحركت السيارة قال مارك: "بالرغم من حرب العصابات التي تدور رحاها في المدينة، والاتجار بالمخدرات، وجرائم القتل والاعتصاب لا تعتقلون غير طالبي حقوق لم يؤذوا أحداً".

قال هوبارت وهو ينظر إليه شزراً: "أخرس".
"لن أخرس. لا يوجد قانون يقول إن عليّ أن أخرس. خاصة وأنتك تعتقلني لأجل جنحة".

"إنها ليست جنحة. ولو أنك تعرف شيئاً عن القانون لكنت عرفت أنها جنائية".

"يجب أن تكون جنحة، ويجب أن تتم مقاضاتك بسبب اعتقال ظالم".
"أرعبتني يا رجل. والآن أخرس".

في المقعد الخلفي للسيارة ورائهم، سأل تود بنبرة عادية: "هل تحاولون عيش جو الأفلام بأن تطرقوا الباب علينا في منتصف الليل وتكبلونا بالأصفاد؟".

"أخرس". صرخ الشرطي الذي يقود السيارة.
"أعتذر، لكنني لن أخرس. يمكنني التكلم قدر ما أشاء. فللمقاطعة أعلى نسبة جرائم قتل، وأنتم تضيعون وقتكم باعتدائكم علينا".
ردّ الشرطي السائق: "إننا نقوم بعملنا".

"أتعلم أن عملكم مقرز؟ أعتقد أننا محظوظان بأنكم لم تلجأوا للقوات الخاصة ليكسروا الباب ويطلقوا الرصاص، فتلك ستكون مغامرة تثير فيكم الحماسة والإثارة أليس كذلك؟ ترتدون الزي الرسمي الذي يشبه لباس رجال سلاح مشاة البحرية وتنقضون على الناس".

قال السائق: "سوف أوقف هذه السيارة وأوسعك ضرباً".

"افعل هذا وسأقاضيك ومؤخرتك السمينة في الساعة التاسعة صباحاً، بدعوى أمام المحكمة الفدرالية".

"هل ستفعل هذا بنفسك أم ستوكل محامياً حقيقياً؟" قال السائق وقهقهه الشرطي الجالس إلى جانبه.

في السيارة الأخرى كان مارك يقول: "كيف وجدتنا يا هوبارت؟ هل تتبع أثرنا أحدهم من رابطة المحامين ثم اتصل بالشرطة؟ لا بد وأنه ليس لك أهمية كبيرة لتعلق مع قضية تافهة كهذه".

قال هوبارت: "لن أسمى سنتين من السجن قضية تافهة".

"سجن؟ لن أذهب إلى السجن يا هوبارت. بل سأعين محامياً آخر، ربما واحداً لا يحمل رخصة وسيسبقك بعشر خطوات. محال أن ندخل السجن. سندفع غرامة بسيطة، نوبخ قليلاً ونعد بألا نفعل هذا ثانية، ثم نخرج من المحكمة. وسنعود إلى عملنا بينما تلاحق المشاة مخالفتي إشارة المرور".

"أخرس".

"لن أخرس يا هوبارت".

عندما وصلوا السجن المركزي، أنزل مارك وتود من المقعدين الخلفيين للسيارتين ودُفعا إلى قبو ما. عندما دخلا، فكوا أصفادهما وفصلوهما عن بعض. وبعد مضي ساعة ملاً استمارتي دخول، وأخذت بصماتهما، والتقطت صور لوجهيهما. اجتمعا مرة أخرى في زنزانة احتجاز حيث انتظرا لمدة ساعة تقريباً وهما متأكدان أنهما سيوضعان في زنزانة حقيقية مع مجرمين حقيقيين. عند الساعة الخامسة والنصف، أطلق سراحهما وأبلغا أنه من غير المسموح لهما مغادرة مقاطعة كولومبيا. كُتب باستدعاء المحكمة أن عليهما التواجد في الدائرة السادسة

بعد أسبوع من أجل مثلهما الأول في المحكمة. كانا يعرفان المكان عن ظهر قلب.

في الصباح، راقبا صحيفة ذا بوست على الإنترنت بحثاً عن اسميهما في لائحة المعتقلين لكن لم يجدا شيئاً. من المؤكد أنهما لم يكونا مادة تستحق الكتابة عنها في الصحف. قررا أن ينتظرا قبل أن يخبرا زولا أن هناك أمراً قضائياً باسمها هي الأخرى. فقد كان لديها ما يكفي لتقلق بشأنه. بالإضافة إلى أنها كانت بأمان بعيداً عن متناولهم.

قضايا ساعات في شقتهما يكتبان الشيكات من حساب شركتهما ليردا للموكلين المبالغ التي دفعوها مسبقاً. وبالرغم من أنهما كانا بحاجة ماسة للمال، لم يكونا قادرين على ترك زبائنهما معلقين. مجموع المبالغ التي حرروا بها شيكات بلغ أحد عشر ألف دولار، وكان من المؤلم أن يتخليا عنها، لكنهما شعرا بحال أفضل عندما أرسلوا المبالغ. استطاع مارك أن يبيع سيارته البرونكو مقابل ستمئة دولار. أخذ المال نقداً ووقع كنيته وقاوم رغبته بإلقاء النظرة الأخيرة على السيارة المهترئة التي قادها طوال الأعوام التسعة السابقة. بعد أن حل الظلام، حملا أغراضهما من الشقة في صندوق سيارة تود، ورميا بعض الملابس في المقعد الخلفي، وشربا قنينة جعة أخيرة في حانة روستر، ثم قادا وصولاً إلى بالتيمور.

بينما كان مارك يقضي بعض الوقت في حانة الفندق، أخبر تود والديه أنه لن يتخرج الأسبوع المقبل. اعترف أنه لم يكن صادقاً، وأنه في الحقيقة لم يحضر أية صفوف لهذا الفصل، ولم يكن لديه أية وظيفة، وكان مديناً بمئتي ألف دولار وهو الآن سيتقل ليرى ما يمكن أن يفعله في حياته. بكت والدته أما والده فبدأ بالصراخ. بدا الوضع أكثر سوءاً مما توقع، وعندما أراد الخروج قال إنه ذاهب في رحلة طويلة وسيحتاج لترك سيارته في المرأب. صرخ والده رافضاً، لكنه تركها هناك بغض النظر عن ردة فعل والده، ومشى مسافة نصف ميل إلى الفندق.

في صباح اليوم التالي، استقل مارك وتود قطاراً إلى نيويورك. وبينما كان القطار يغادر محطة بين، أعطى تود لمارك جريدة واشنطن بوست. في آخر

الصفحة الرئيسية من قسم الأخبار المحلية قرأ: "اعتقال شاين بتهمة ممارسة المحاماة من دون ترخيص". وصفا بالتاركين لكلية الحقوق، طالبان سابقان في فوغي بوتوم حيث لم يصرّح أحد من الإدارة بشيء عن هذا الأمر. بخلاف الإدارة الصامتة تحدثت مارغريت سانثيز من رابطة المحامين في واشنطن، مشيرة إلى أنهما كانا يجوبان قاعات المحكمة ويجذبان الزبائن تحت أسماء وهمية، ويمثلان أمام القضاة بشكل دوري. وصفهما مصدر مجهول بأتهما "محاميان جيدان". وقالت موكلة سابقة إن السيد أبشو عمل بجهد على قضيتها، وأشار موكل آخر أنه لا يريد منهما سوى أن يعيدا المال الذي تقاضياه منه. لم يأت أحد على ذكر زولا مال على الرغم من أن المقالة تفيد أن "هناك مشتبهاً به ثالثاً". إذا ما وجدوا مذنبين سيواجهون فترة سنتين من السجن وغرامة قيمتها ألف دولار.

في تلك الأثناء، لم يتوقف أصدقاؤهما من كلية الحقوق عن الاتصال بهما.

قال تود: "سيحب والدي هذا. ولده جان".

قال مارك: "والدتي المسكينة، سيتوجه ولداها إلى السجن".

هلعت زولا من خبر اعتقال شريكها. والأسوأ من ذلك أن الشرطة كانت تبحث عنها هي الأخرى، لكنها كانت على ثقة من أن الشرطة لن تتبع أثرها وصولاً إلى السنغال. ادعى مارك وتود من بروكلين أن الأمور تحت السيطرة، لكنها شكت بالأمر. كانت نظرتهمما خاطئة بشأن كل شيء منذ كانون الثاني، ووجدت صعوبة في تقبل ثقتهمما الزائدة بنفسيهما بالرغم من كل ما حصل. وجدت المقالة على الإنترنت، وأخذت تقرأها، لم يُذكر اسمها بعد، ولم تر شيئاً حولها في قائمة القضايا. كانت صفحاتها على فايسبوك قد امتلأت بأسئلة وتعليقات من الأصدقاء، لكنها كانت قد توقفت عن الرد منذ أسابيع.

لم يُسمح لإندينا سانغا بزيارة عبدو في السجن، وبعد يومين من الانتظار، ازداد منسوب القلق لدى زولا. أتت الشرطة إلى الفندق مرتين لتتفقد أمر والدتها وشقيقها، لكن لم يزوداها بأي معلومة أو خبر. وجودها مع والدتها وأخيها بعث الأمل والطمأنينة في نفسيهما. استمر بو ووالدتها بالسؤال عن دراستها وتخرجها من كلية الحقوق وعن امتحان رابطة المحامين والى ما هنالك، لكنها تدبرت أمرها بأن تبقي حديثها بعيداً عن الجلبة التي كانت سبباً فيها في أميركا.

أثناء رحلتها بالطائرة، قرأت زولا عشرات المقالات حول الازدحام والظروف الخطيرة في سجون دكار ومعتقلاتها.

في النهاية تجرأت زولا على الخروج من الفندق، وذهبت لتمشى في شوارع دكار. امتدت المدينة على شبه جزيرة حضراء، وهي المبنية على أنقاض مجموعة من القرى القديمة شيدها المستعمر الفرنسي. الشوارع حارة ومغبرة وبحال سيئة جداً، هذه الشوارع تستعيد حيويتها كل صباح، حين تتوافد إليها أفواج السابلة، وتغص بالسيارات المتزاحمة. ارتدت نساء عديدات أثواباً طويلة

محاكة من القماش الملون، أما الرجال فارتدوا البذلات الأنيقة وبدوا مشغولين بهواتفهم المحمولة وحقائبهم، شأنهم في ذلك شأن الرجال في واشنطن، وأعاقت الأحصنة التي تجر العربات المحملة بالفواكه حركة سيارات الدفع الرباعي وسط التقاطعات المسدودة. أما زولا، والتي لطلما بدت هلعة، فقد أشعرتها دكار بالاطمئنان. بدا الجميع يعرفون بعضهم، والبعض منهم بدا مستعجلاً، وملأت الضحكات والأحاديث الجو. وصدحت الموسيقى في كل مكان من السيارات ومن أبواب المتاجر ومن فرق الطرق التي تجوب الشوارع.

في يومها الثاني في المدينة، اهتدت إلى السفارة الأمريكية، وسجلت اسمها فيها كسائحة. بعد ساعة تقريباً وبينما كانت قرية من الفندق، أوقفها شرطيان، وطلبا منها أوراقها الثبوتية، أعلمت أن لرجال الشرطة الحق بأن يستجوبوها وحتى أن يحتجزوها ولأتفه سبب، كما يمكن احتجاز أي كان لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة. أحد الشرطيين كان يتكلم بعض الإنكليزية، فأخبرته أنها أميركية ولا تتكلم الفرنسية. فوجئ برؤية جواز سفرها الأمريكي ورخصة سوقها من نيوجيرسي. كانت قد قامت بخطوة ذكية بأن تركت أوراقها المزورة في الفندق. بعد خمس عشرة دقيقة طويلة، أعادا إليها أوراقها الثبوتية، وتركها تذهب في حال سبيلها. كانت تلك حادثة مرعبة بالنسبة إليها، وقررت أن تقوم بجولاتها السياحية في يوم آخر.

استقر شريكها بشكل مؤقت بجناح صغير في فندق عادي في شيرمرهن وسط مدينة بروكلين. مؤلف من غرفة نوم واحدة وأريكة قابلة للطي ومطبخ صغير مقابل ثلاثمئة دولار لليلة الواحدة. وكلفهما استئجار طابعة مع آلة فاكس من محل للتزويدات المكتبية تسعين دولاراً.

مرتدين معطفين، وربطتي عنق مشيا إلى فرع لمصرف سيتي بانك في شارع فولتون، وطلبا رؤية مسؤول الحسابات، وباستخدام اسميهما الحقيقيين وشهادتي سوقهما وأرقام التأمين الاجتماعي، فتحا حساباً من أجل مكتب لوسيرو وفرانزر للخدمات القانونية. وبروايتهما قصة قديمة، قالوا إنهما صديقان من كلية الحقوق،

وكانا على دراية بأسلوب عمل الشركات القانونية الكبرى في ماهاتن. سيساعد مكتبهما أشخاصاً حقيقيين بمشاكل حقيقية. استعاراً عنواناً من مكتب على بعد ستة أحياء، وكانا بحاجة إليه فقط لكي يطبعا العنوان على شيكاهم الجديدة، ولن يضطرا إلى رؤيته أبداً. كتب مارك شيكاً بقيمة ألف دولار ليفتح حساباً، وحالما عادا لاسميهما أرسلتا المبلغ الإجمالي الذي بلغت قيمته 39 ألف دولار إلى حسابهما الجديد، وأغلقا الحساب القديم. بعثا برسالة الكترونية لجيني فالديز التابعة لمجموعة كوهين- كاتلر في ميامي تحتوي على أخبار أن شركة أبشو باركر ولاين قد اتحدت مع شركة في بروكلين تدعى لوسيرو وفرايزر. أرسلت بدورها مجموعة من الاستثمارات تطلبتها التغيرات الجديدة، وأمضيا قرابة الساعة يعملان على تلك الأوراق. طلبت مجدداً أرقام الضمان الإجتماعي وأرقام الحسابات المصرفية للـ 1100 زبون الذين انضموا إلى الدعوى الجماعية حيث استجابا لهذا الطلب برزاة قائلين إنهما يعملان على تجميع تلك المعلومات.

كان الوصول إلى هيندز راكلي عبر الهاتف أمراً مستحيلاً. لذا، قررا أن يبدأ بإحدى شركاته القانونية. كان الموقع الإلكتروني لراتليف أند كوسغروف كافياً وأدى عملاً كفيلاً بالتستر على حقيقة أنها كانت شركة يعمل تحت لوائها 400 محام يتولون أمور الرهن العقاري واستعادة الملكية والحسابات المتأخرة الأداء وقضايا الإفلاس والتخلف عن تسديد القروض الطلابية. كان جوردي قد وصفها بـ "نهاية مجرى" الخدمات المالية. فلدى الشركة حوالي المئة محام في مقرها في بروكلين بالإضافة إلى الشريك مارفن جوكتي، رجل ستيبي ممتلىء الوجه، وسيرة ذاتية لا بأس بها.

أرسل له مارك الرسالة الإلكترونية التالية:

مكتبة

السيد جوكتي،

أدعى مارك فينلي، وأنا مراسل صحفي مستقل. أعمل على مقال حول السيد هيندز راكلي، والذي، حسب علمي، هو شريك تجاري لديكم. وبعد أشهر من البحث اكتشفت أن السيد راكلي من خلال شركات شيلوه سكوير فايننشال وفاراندا تراست كاييتال وبايتريوم غروب ولاكر ستريت تراست، يمتلك ثماني

كليات للحقوق منتشرة في البلاد، ووفقاً لنتائج امتحان رابطة المحامين يبدو أن الكليات الثماني تلك تلبى حاجات قسم من السكان ممن لا يدرسون الحقوق أو لم يتقدموا لامتحان الرابطة. ويبدو أن تلك الكليات ربحية على نحو كبير.

أود أن أحدد موعداً مع السيد راكلي بأسرع ما يمكن. عرضت هذا المقال من دون تفاصيل على جريدة نيويورك تايمز وول ستريت جورنال وهما مهتمتان به. والوقت من ذهب.

رقم هاتفي هو 838-774-9090. أنا موجود في المدينة، وأتوق للتحدث إلى السيد راكلي أو أحد ممثليه.

شكراً، مارك فينلي.

كان الاثنين، الثاني عشر من شهر أيار والساعة تشير إلى 1:30 ظهراً. راقبا الوقت وتساءلاً كم سيستغرق رد السيد جو كيتي. وبينما كانا ينتظران ويضيعان الوقت مرتدين بذلتيهما، بدأ بدعوة غير مشكوك بأمرها للمجموعة الموجودة في ضواحي ويلمينغتون، ديلاوير. وباستخدام الإنترنت عادا إلى التلاعب وبدأ بإضافة الأسماء إلى الدعوى الجماعية. وماذا سيحصل عندما يرتكبون 1100 جنحة.

في تمام الساعة الثالثة، أعاد مارك إرسال الرسالة إلى جو كيتي، وأعاد الإرسال مرة أخرى عند الساعة الرابعة. عند السادسة استقلا القطار إلى ملعب فريق اليانكي. ابتاعا بطاقتين رخيصتين في منتصف الملعب ودفعا 10 دولارات ثمناً للجنة. انتقلا إلى الصف العلوي ليبعدا قدر الإمكان عن المعجبين المنتشرين على المدرج.

كان موعدهما في المحكمة يوم الجمعة، ورأيا أنه ليس من الحكمة التغيب عن المحكمة. وبخبرتهما الواسعة كانا على دراية أن القرار القضائي سيقترضى باعتقالهما. اتصل تود بهادلي كافينيس، فأجابت من الرنة الثانية.

سألته: "ماذا لدينا هنا! يبدو -أخيراً- أنكما وقعتما في المشاكل".

"أجل يا عزيزتي. هل أنت وحدك؟ وأعتقد أنه سؤال منطقي".

"أجل، سأخرج هذا المساء".

حظاً موفقاً. اسمعي، نريد منك خدمة. يفترض بنا المثول في المحكمة يوم الجمعة، لكننا خارج المدينة ولا ننوي العودة قريباً."

"وأنا لا ألومكما، فقد أترتما جلبة كبيرة في المحكمة. فقصتكما على كل شفة ولسان".

"ليتكلموا بقدر ما يشاؤون. لنعد إلى أمر الخدمة".

"هل سبق ورفضت لك طلباً؟"

"كلا، لم تفعلي. ولهذا أحبك".

"هذا ما يقوله كل الشباب".

"إليك ما أريد. هل تعتقدين أن بإمكانك أن تتسلي إلى الدائرة الخامسة، وأن تطلبي من الموظف أن يؤجل قضيتنا أسبوعين؟ أعتقد أن الأمر قد يقتضي إعادة ترتيب الأوراق وهو أمر لست خبيراً به".

"لا أدري. أظن أنه سيكون هناك أحد وقد يراني. وماذا إذا سألني عن السبب؟".

"أخبرهم أننا نحاول إيجاد محامٍ، لكننا لا نملك المال. الأمر فقط تأخير لأسبوعين".

"سأنظر بالأمر، وأرى ما يمكنني فعله".

"إنك خارقة".

"أعرف".

رن جوال مارك وكان الرقم من مجهول. قال مارك: "عساه خيراً". كان مارفن جو كيتي قد بدأ بالكلام قائلاً: "لا يرغب السيد راكلي بلقائك، وسيقاضيك إذا قمت بعمل أخرق وأخفقت".

ابتسم مارك، وغمز تود بينما كبس زر السماعة الخارجية وأجاب: "مساء النور. ولم قد يكون السيد راكلي مندفعاً إلى هذا الحد لكي يهدد بالدعوى؟ هل يخفي شيئاً؟".

"لا. هو حساس بأمر خصوصيته، ولديه كثير من المحامين".

"لديه يد في أربع شركات محاماة على الأقل ومن ضمنها شركتكم. أخبره

أن يقاضينا بجميع الأحوال. فأنا لا أملك قرشاً واحداً".

"هذا لن يمنع. سيقاضيك ويدمر سمعتك كصحفي. وبالمناسبة، لصالح من تعمل؟".

"أعمل لحسابي. أعمل بشكل مستقل تقريباً. لتفكر بالأمر يا سيد جو كيتي، قد تكون الدعوى القضائية هي البطاقة التي أحتاج إليها لأنني سأعيد مقاضاته، وأكسب بعض المال. يمكنني جمع ثروة طائلة من تبعات دعوى عبثية".

"إنك لا تعرف ماذا تفعل يا صاح".

"سنرى. أخبر السيد راكلي أنه عندما يقاضيني سيقاضي في الوقت نفسه جريدة نيويورك تايمز، لأنني سأتفق معها غداً بعد الظهر. يريدون أن يظهر مقالي على الصفحة الأولى".

ضحك جو كيتي وقال: "لدى السيد راكلي أصحاب في جريدة تايمز مما يمكنك تخيله. لن ينشروا مقالك هذا".

"حسناً، أعتقد أنها فرصة يجب أن تنتهزها. أعرف الحقيقة، وهي التي ستدوي على الصفحة الأولى".

قال جو كيتي: "ستندم على هذا يا سيد". ثم أغلق الخط. حذق مارك إلى الهاتف، ثم وضعه في جيب سرواله الجينز. أخذ نفساً عميقاً وقال: "إنه قوي. لن يكون الأمر سهلاً".

"جميعهم أقوىاء. هل تعتقد أنه سيعاود الاتصال؟".

"وحده الله يعلم، من المحتمل أنه تكلم إلى راكلي وهما الآن مذعوران. آخر ما يسعى إليه راكلي هو الدعاية والشهرة. ليس هناك من شيء غير قانوني بشأن عمليات غش كليات الحقوق التي يمتلكها، لكن أمرها قدر بالمقدار نفسه".

"سيصلان. ولم لا؟ لو أنك كنتَ مكان راكلي ألم تكن فضولياً لتعرف ما نحن على علم به؟".

"ربما".

"سيصلان".

كان مارك نائماً على الأريكة عندما رن هاتفه الساعة 6:50 من صباح يوم الثلاثاء. قال جو كيتي: "يمكن للسيد راكلي أن يقابلك الساعة العاشرة صباحاً. إننا موجودون في بروكلين في شارع دين".

قال مارك: "أعرف مكانكم". لم يكن يعرف لكن كان من السهل إيجاد الشركة.

"سألاقيك عند المدخل في الردهة الساعة 9:50. الرجاء الالتزام بالموعد. فالسيد راكلي كثير الأشغال".

"وأنا كذلك، سأحضر صديقاً معي، وهو صحفي آخر يدعى تود مكايين".

"حسناً. هل من أحد آخر؟".

"كلا. نحن فقط".

أثناء شربهما للقهوة حمناً أن راكلي لم يكن يريد هما بالقرب من ملكيته في شارع ووتر في القطاع المالي من مانهاتن. من المؤكد أن العرين الذي يجوي رجلاً بمنزلته هو شيء قد يكون محط أنظار الصحفيين، وبما أنه يسعى طوال الوقت وراء التخفي فمن الأفضل أن يلتقيهما على العشب ومعه حماموه الخاصون. كانا يخطوان إلى عالمه، حيث الخصوصية مصانة وحماية بكل الوسائل. بما في ذلك التهيب.

لم يخلقاً لحيتهما، وارتديا سروالي جينز وسترتين قديمتين، وظهرهما بمظهر الصحفيين اللذين لا يبهرهما شيء. حمل مارك معه محفظة أوراق مستعملة، كان قد وجدها في محل لبيع الأشياء المستعملة في بروكلين، وعندما غادرا الفندق سيراً لم يكن مظهرهما يستحق تقدم دعوى ضدهما.

كان المبنى أحد الأبنية الكثيرة الشاهقة الارتفاع التي تحتل وسط بروكلين. أمضيا الوقت الذي يفصلهما عن الموعد في أحد المقاهي القريبة، ودخلا إلى فناء المبنى في تمام الساعة الـ 9:45. كان مارفن جو كيتي، الذي بدا مظهره أكبر بعشر سنوات من صورته الموجودة على موقعه الشخصي، يقف عند منضدة الأمن يتحدث مع الموظف. عرفاه وقدّما نفسيهما، أما جو كيتي فاكتفى بمصافحتها على مضض. أوماً إلى الموظف وقال: "يحتاج هذا الرجل لرؤية بعض الأوراق الثبوتية..". "مدّ مارك وتود يديهما وأعطياه رخصتي قيادة مزورتين. تفحصهما الموظف ونظر إلى وجهيهما ليقارنهما بالصور ثم أعادهما.

تبعاً جو كيتي إلى صف من المصاعد حيث انتظرا ولم يتفوّها بأي كلمة، وعندما دخلوا المصعد أدار جو كيتي وجهه نحو الباب وحافظ على صمته. ياله من شخص لطيف؛ قال مارك لنفسه ساخراً. أما تود فهمهم لنفسه؛ يالك من أحمق.

توقف المصعد عند الطابق السابع عشر، خرجوا منه إلى ردهة لراتليف وكوسغروف. خلال مسيرتهما المهنية القصيرة، كان للمحامين الذين قاما بزيارتهم مكاتب جميلة جداً. مثلاً؛ جيفري كوربيت ومكتبه الخلاب في واشنطن كان الأكثر إبهاراً. لكن مارك أحب مكتب إدوين موسبيرغ الأشبه بمتحف للجوائز في تشارلستون. لكن مكتب راتليف كان أفضل نوعاً ما من مكتب براسي. لكن لم يكونا فارغي البال ليلاحظا الديكور.

تجاهل جو كيتي موظفة الاستقبال التي تجاهلتهم بدورها، التفوا عند الزاوية، وعبروا باباً من دون أن يقرعه أحد منهم وصولاً إلى قاعة اجتماعات فسيحة. كان هناك رجلان يرتديان بذلتين باهظتي الثمن عند طرف الباب يرتشفان القهوة بفنجانين خزفيين. لم يتقدم أي منهما. قال جو كيتي: "السيد فينلي والسيد مكاين".

كان لدى تود ومارك ثلاث صور لهيندز راكلي وجميعها من المجالات. إحداها كان من بحث جوردي، تلك الصورة الشخصية المكبرة الذي كان يعلّقها على جدار غرفته الذي لا ينسى. والاثنتان الباقيتان كانتا من الإنترنت.

كان راكلي في الثالثة والأربعين من العمر، بشعر أسود خفيف مردود إلى الوراء، وعينين صغيرتين ووجه محدد. أوماً إلى جو كويتي الذي غادر دون أن ينطق بكلمة مغلقاً الباب خلفه.

"أنا هيندز راكلي وهذا باري سترايان، كبير المحامين لديّ. عبس سترايان وأوماً برأسه، ولم يكلف نفسه التعريف عن نفسه. وكزبونه، حمل فنجاناً ييد والصحن باليد الأخرى، لذا لم يكن هناك مجال للمصافحة. أبقى مارك وتود على مسافة عشر أقدام عنهما. انقضت تلك اللحظات المربكة التي كانت طويلة كفاية ليعرف أي عابر سبيل أن الدماتة قد فرت من هذا المكان عبر النافذة. أخيراً، قال راكلي: "تفضلاً بالجلوس". وأوماً إلى صف من الكراسي على الجهة الأخرى من الطاولة. جلسا مقابل راكلي وسترايان. وضع تود هاتفه على الطاولة وسأل: "أتمنع إذا قمت بالتسجيل؟".

"لماذا؟". سأل سترايان بكل حقارة. كان أكبر بعشر سنوات على الأقل من موكله، وكان يوحي أن كل شيء في حياته مثير للخلاف.

أجاب تود: "إنها عادة قديمة لدى معظم المراسلين".

سأل سترايان: "وهل تخطط لأن تفرغ هذا التسجيل؟".

أجاب تود: "على الأرجح".

"حسناً سنأخذ منه نسخة".

"لا مشكلة".

قال سترايان: "وأنا سأسجل أيضاً". عندما وضع هاتفه أيضاً على الطاولة. كان الأمر أشبه بمبارزة هواتف.

أثناء الحوار، رمق راكلي تود بنظرة من الثقة والاعتداد بالنفس وكأنه يقول: أنا أملك المليارات أما أنت فلا. أنا أعلى مرتبة منك وعليك تقبل الأمر.

إحدى فوائد ممارسة المحاماة من دون ترخيص أنها أفصت جميع أدلة التكم. تنتقل تود ومارك بوقاحة بعملهما بين محاكم واشنطن كانا قد اعتادا على الادعاء بأنهما شخصيتان غير شخصيتهما الحقيقيتين. لقد كانا قادرين على

الوقوف أمام القضاة بأسماء مزيفة، وأن يدّعيأ بأفهما محاميان حقيقيان، فمن المؤكد أفهما سينجحان بادعائهما أمام هيندز راكلي بأفهما صحفيان حقيقيان. نظر إليه مارك بنظرة ماثلة دون أن يرمش. وأخيراً قال راكلي: "أردتما مقابلي".

أجاب مارك: "أجل. إنا نعمل على مقال، كما تعلم، واعتقدنا أنه بإمكانك التعقيب عليه".
"ما هو؟".

"بدايةً، سيكون العنوان 'عملية غش كبرى لإحدى كليات الحقوق'. فأنت تملك أو تتحكم أو لك يد بطريقة أو بأخرى في العديد من الشركات التي تملك كليات الحقوق الثمانية الربحية. كليات ربحية بحق".
سأل سترايان: "هل من قانون يمنع أياً كان من امتلاك كلية حقوق ربحية؟".

"أنا لم أقل إنها مخالفة للقانون". نظر إلى تود الموجود إلى يمينه وسأله: "هل قلت هذا؟".

"أجاب تود: "لا أظن أنني سمعتك تقول هذا".
تابع مارك: "نحن لا نتحدث عن مخالفة للقانون ولا ندعي وجود جرم. كل ما في الأمر أن هذه الكليات تغري الطلاب بالتسجيل فيها بغض النظر عن درجة امتحان القبول لديها، ومن ثم يقترضون مبالغ طائلة ليغطوا الأقساط الضخمة التي تفرضها كلياتكم، وبالطبع فإن تلك الأقساط تعود إليكم عندما يتخرج الطلاب وهم رازحون تحت وطأة قروض هائلة. ونصفهم يكون قادراً على اجتياز امتحان القبول. ومعظمهم لا يمكنهم إيجاد وظائف".
قال راكلي: "هذه مشكلتهم".

"بالطبع إنها مشكلتهم، ولم يجبرهم أحد على اقتراض المال".
سأل تود: "هل تعترف أنك تمتلك أو تسيطر على الكليات الثماني؟".
أجابه راكلي غاضباً: "لا أعترف أو أنكر أي شيء وخاصة لك. ومن تظن نفسك؟".

قال تود لنفسه؛ هذا هو السؤال الجيد. ولكثرة الأسماء المزيفة التي يستخدمها، غالباً ما كان ينسى من هو.

ضحك سترايان بسخرية وسأل: "هل لديك أي دليل؟".

مدّ مارك يده إلى مصنف أوراقه القلم، وسحب منه ورقة سميكة بحجم 12 إنشاً. فتحها ورماها على الطاولة. كانت ملخصاً عن جدار جوردي، المؤامرة الكبرى، وعليها اسم هيندز راكلي في المربع العلوي ومتاهة إمبراطورته تلحق الاسم تحته.

لوهلة نظر إليها راكلي من دون كبير اهتمام، ثم حملها، وبدأ قراءتها بتمعن. اقترب منه سترايان ليلقي نظرة أقرب. كانت ردة الفعل الأولى فاضحة. لو كان جوردي محقاً- وكانا مقتنعين أنه محق- يمكن لراكلي أن يستنتج أنهما يعملان على أمر مقاضاته والدليل معهما. يمكن أن يدقق على تفصيلا هنا أو هناك، أو أن يعترف بحقيقة أنه يمتلك أو له سلطة على مجموعة المنشآت تلك، ومن المحتمل أيضاً أن ينكر كل شيء ويهدد بأن يقاضينا.

وضع الورقة ببطء على الطاولة وقال: "هذا مثير للاهتمام لكنه ليس دقيقاً". قال مارك: "حسناً. هل أنت مهتم بأن تناقش الأمر لتأكد من المعلومات؟". "لست مضطراً لفعل هذا. وإذا نشرت المقال بالاعتماد على هذا فستورط نفسك".

أضاف سترايان: "سنقاضيكما بتهمة التشهير والافتراء، وسنلاحقكما طيلة السنوات العشر القادمة".

ردّ مارك: "اسمعا، لقد حاولتما سياسة الترهيب ومن الواضح أنها لا تنفع معنا. فنحن لا نخاف من مقاضاتكما لنا، فما من شيء لدينا لنخسره".

أضاف تود: "هذا صحيح، لكن بالطبع نفضل تجنب المقاضاة. ما العيب الذي تراه في بحثنا؟".

قال راكلي: "لن أجيب عن سؤالك. يفترض بصحفي مبتدئ أن يعرف أنه من غير القانوني بالنسبة إليّ أو لأي أحد آخر أن يمتلك شركة محاماة دون أن يكون عضواً فيها. لا يمكن للمحامي أن يكون شريكاً في أكثر من شركة".

قال مارك: "نحن لا نتهمك بامتلاكك للشركات الأربعة. هذه الشركة مثلاً: راتليف وكوسغروف، يديرها صديقك مارفن جو كيتي والذي يصدق أن له شراكة محدودة في شركتك فاراندا كاييتال. وبين الشركات الثلاثة الأخرى صلة مشابهة لهذه. هذا هو الرابط، الرأس. وأنت تستخدم أربع شركات لتوظيف الخريجين من كليات الحقوق التي تمتلكها برواتب مغرية، وبذلك تسوّق شركاتك لهذه الوظائف الرائعة لاستقطاب المزيد من الشبان بهدف توريثهم بالأقساط الهائلة لكلياتك. هذه هي عملية الغش التي ترأسها يا سيد راكلي وهي خطة عبقرية. ليست قانونية لكنها مشينة".

"إنكما مخطفان يا شباب". قال سترايان ضاحكاً لكن بشيء من التوتر. رن هاتف راكلي فأخرجه من جيبه. رد مستمعاً ثم قال: "حسناً. تفضل".
فُتح الباب على الفور ودخل رجل. أغلق الباب خلفه، ووقف عند طرف الطاولة حاملاً بعض الأوراق. قال راكلي: "هذا دوغ بروم، رئيس الأمن عندي".

نظر تود ومارك إلى بروم الذي لم يعرفهما. ثبت بروم نظارته الطبية وقال: "لم أجد أي شيء عن مارك فينلي وتود مكايين. بحثنا طوال الليل والصبح ولم نجد شيئاً ولا حتى مقالاً واحداً أو مدونة أو كتاباً أو تقريراً من أي نوع على الإنترنت. وقعنا على اسم مارك فينلي، وهو يكتب عن البستنة لجريدة في هيوستن. لكنه في الخمسين من العمر، وهناك واحد آخر يكتب مدونة عن الحرب الأهلية، لكنه في الستين من العمر. وآخر كتب مرة لجريدة تابعة لإحدى الكليات في كاليفورنيا لكنه تخرج وهو الآن طبيب أسنان، لم أجد شيئاً سوى هذا. وبالنسبة إلى تود مكايين كل ما استطعنا إيجاده هو شاب في فلوريدا يكتب لجملة محلية. لذا إذا كانا يدعيان أنهما صحفيان فلا بد من أن عملهما ليس ناجحاً، وبالنسبة إلى الأسماء فقد وجدنا 431 شخصاً باسم مارك فينلي، و142 باسم تود مكايين في هذه البلاد. تفقدنا كل واحد منهم، لكن لم نجد أي تطابق. والمثير في الأمر هو أن رخصتي القيادة اللتين أبرزاهما في مكتب الاستقبال في الأسفل تابعتين لمقاطعة كولومبيا ومزورتين".

قال راکلي: "شکراً يا دوغ. هذا كل شيء". غادر دوغ الغرفة وأغلق الباب خلفه.

ابتسم سترايان وراکلي ابتسامة عريضة. أبقى مارك وتود على هدوءهما. حينها لم يكن هناك مجال للتراجع. استطاع مارك أن يسيطر على الوضع باستمراره بالهجوم: "هذا مثير جداً. إنه عمل مذهل".

"مذهل حقاً". ساندته تود وكانا يفكران بالهرب. قال راکلي: "حسناً يا شباب. والآن بما أن المصدقية ذهبت أدراج الريح، لم لا تخبرانا ما هي لعبتكما؟".

قال مارك: "إذا لم تجيبا عن أسئلتنا لن نجيب عن أسئلتكما. هويتنا ليست مهمة حالياً. المهم هنا هو أن جدولنا الصغير هذا قريب جداً من كشف لعبتكم، وكفيل بإحراجك من رأسك حتى أخص قدميك".

قال سترايان: "أتريدان المال؟ أهدا سبب ابتزازكما؟". "أبداً. فخططنا لم تتغير. سنجلس مع المراسل المناسب، ونسلمه المعلومات. وما هو داخل هذا الملف أكثر بكثير. فمثلاً، لدينا شهادة من شركاء سابقين لشركاتكم القانونية الذين يشعرون أنه يتم استغلالهم كمادة إعلانية. ونملك تصريحات من أساتذة جامعيين سابقين. لدينا جميع البيانات التي تخص المعدل المنخفض لامتحان القبول لخريجي كلياتك. بالإضافة إلى البيانات التي تظهر بشكل جلي أنك وسعت نفوذك في ذات الوقت الذي فتحت فيه السلطات الفدرالية خزينة للطلاب غير المؤهلين. لدينا عشرات الشهادات من أولئك الطلاب الذين تخرجوا بديون طائلة لكنهم لم يستطيعوا إيجاد وظائف. الملف كبير لدرجة أنه سيدوي على الصفحة الرئيسية.

سأل سترايان: "وأين الملف؟".

مدّ تود يده إلى جيب قميصه، وسحب سواقة صغيرة ورمها على الطاولة قائلاً: "كل شيء موجود هنا. اقرأ وانتحب".

تجاهلها راکلي وقال: "لديّ صديقان في جريدتي تايمز وجورنال. أكدا لي أنه لا علم لهما بالأمر". وهدوء غريب ابتسم مارك لراکلي وقال: "هذا هراء".

هراء متعجرف. هل تعتقد أننا سنصدق أنك تعرف جميع الذين يعملون في الجريدة؟ ونصدق أيضاً أنهم يثقون بك بما يكفي لكي يسربوا إليك معلومات داخلية كهذه؟ يا لها من نكتة ظريفة، صادرة عن رجل يشتهر بتجنبه للمراسلين. بالله عليك يا سيد راكلي."

قال سترايان: "حسناً. بالطبع أنا أعرف محامي تايمز وجورنال، ولا يمكنك المراهنة على أنهما لا يريدان أن يكون لهما يد في قضية تشهير".

قال تود ضاحكاً: "هل تمزح؟ سيحبون الأمر لأنهم سيتولون أمر قضية الشركة مقابل ألف دولار للساعة الواحدة، فهم يتمنون أن ترفع كل يوم دعوى على موكلهم".

قال سترايان: "لا فكرة لديك عن الأمر مطلقاً يا بني". لكن لم يكن لتلك الجملة أي معنى. كان الجدول قد زعزعهما بالإضافة إلى حقيقة أن مارك وتود ليسا في الحقيقة من زعما. سحب راكلي كرسيه إلى الوراء، ووقف وحمل معه فنجانته إلى غلاية القهوة. لم يكن قد عرض على هذين الدجالين شرب أي شيء.. سكب ببطء من الإناء الفضي، وأضاف قطعتين من السكر، وحرك ببطء، ثم عاد إلى الطاولة. جلس وارتشف رشفة، وقال بهدوء شديد: "أنت على حق. ستدوي في الصفحة الأولى، لكنها لن تبقى سوى ليوم واحد لأن كل شيء قانوني، وأنا لم أتعد حدودي، والآن أنا لا أعرف تماماً لماذا أهدر وقتي بشرح الأمر لكما".

أجاب مارك: "لا لا، إنها قصة لأكثر من 24 ساعة. ففي الوقت الذي يقومون به بحساب أرباح الكلية وطباعة تلك الأرقام التي تظهر حوالى عشرين مليون دولار سنوياً، ستكون قضيتك قد امتدت أكثر وأكثر".

هز راكلي كتفيه قائلاً: "ربما وربما لا".

قال تود: "لنتحدث عن بنك سويفت".

قال راكلي: "كلا، لقد سئمتنا من التحدث، وخصوصاً مع منتحلي الاسم

والصفة".

تجاهله تود وقال: "لكن حسب بيانات هيئة الأوراق المالية، يملك فرع شيلوه سكوير فايننشال 4 بالمئة من سويفت، الأمر الذي يجعله ثاني أكبر حامل أسهم. ونظن أنك تملك أكثر من ذلك بكثير".

رمش راكلي وجفل لرهة. عبس سترايان بنظرة من الارتباك. مد مارك يده إلى مصنفه وسحب ورقة أخرى. فتحها لكنه لم يرمها على الطاولة. من قبره، نفح جوردي نفحة أخيرة.

تابع تود: "معنا لائحة بأ أكبر حاملي الأسهم لمصرف سويفت، وعددهم أربعون بالجملة. معظم تلك الأسهم عبارة عن أموال استثمارات تمتلك 1 أو 2 بالمئة من الشركة. وبعض تلك الأموال أجنبية وبالظاهر تبدو استثمارات شرعية. لكن بعضها الآخر عبارة عن شركات خارجية، واجهات لواجهات أخرى تمتلك أجزاء من سويفت. وأسماء الشركات المشكوك بأمرها تقيم في أماكن مثل بنما، غراند كايمان أو جزر البهاماس، ومن شبه المستحيل اختراقها وخصوصاً لصحفيين مثل حالنا. لا يمكننا طلب مذكرات إحصار واستدعاءات قضائية. لا يمكننا أن نقوم بالاعتقالات. أما الأف بي آي فبالأكيد يمكنها القيام بذلك".

رمى مارك ورقة أخرى على الطاولة. أخذها راكلي بهدوء وتمعن بالجدول. كان امتداداً للجدول الأول، مليئاً بأفعال بنك سويفت. وبعد ثوان قليلة، رفع راكلي كتفيه مرة أخرى، إلا أنه هذه المرة ابتسم وقال: "أنا لا أعرف أيًا من هذه الشركات".

قال سترايان: "إنها لا شيء".

قال مارك: "ونحن لا نهملك بأنك متورط مع تلك الشركات، أتفهم؟ نحن لا ننوي التورط مع الشركات الخارجية".

قال راكلي: "فهمنا هذا من المرة الأولى. ماذا تريدان؟".

سأل سترايان: "هل تسعيان وراء المال؟".

أجاب تود: "لا. لقد سألتنا قبلاً. ما نريده هو الحقيقة. ما نريده هو فضحك، وفضح كلياتك، وفضح عملية غشك على الصفحة الأولى. إننا من ضحاياك. لقد سجلنا بإحدى كلياتك الوهمية، وترتبت علينا ديون هائلة لا

يمكننا تسديدها، لأننا لا نستطيع إيجاد وظائف، ونحن الآن مجرد شاين تركا الكلية وأمامهما مستقبل لا أفق له. ونحن لسنا وحدنا. هناك الآلاف مثلنا يا سيد راكلي وجميعنا ضحاياك".

قال مارك: "الشاب الذي رسم الجداول كان صديقنا المقرب. انتحر في شهر كانون الثاني. كان هناك العديد من الأسباب كما أن الذين يلومونه أكثر، جميعنا مدرجون كضحايا لكلياتك النصابة. وأعتقد أن وضعه كان أسوأ مما كنا نعرف".

لم يكن هناك أي تعبير على وجه راكلي وسترايان يوحى بالندم. قال راكلي بهدوء: "سأسألك مرة أخرى. ماذا تريد؟".

أجاب مارك: "تسوية سريعة للدعاوى الست ضد بنك سويفت ابتداء من تلك التي يترأسها كوهين-كاتلر في ميامي". رفع راكلي كلتا يديه في الهواء وقال لسترايان: "ظننت أننا كنا نسوي تلك القضايا". قال سترايان عابساً: "إننا كذلك".

أضاف مارك: "وفقاً للتقارير التي يسرها المصرف للصحافة، فإن الأمر يمر في عملية مفاوضات بشأن التسوية لكن مر على هذا الخبر تسعة أيام. الحقيقة هي أن محاميك يماطلون بالأمر. هناك مليون زبون في الخارج كان بنك سويفت قد دمر حياتهم ولم يعوض شيئاً من حقوقهم".

قال راكلي بغضب بعد أن فقد أعصابه: "نعلم هذا. صدقني، إننا نحاول الوصول إلى تسوية أو على الأقل هذا ما ظننت أننا نفعله". أدار رأسه محققاً إلى سترايان وقال: "فكر بالأمر وجد لي ما الذي يحصل". ثم عاد إلى مارك قائلاً: "ما هي مصلحتك من تسوية الدعوى؟".

أجاب مارك بخيلاء: "إنه أمر سري".

أضاف تود: "لا يمكننا التكلم بالأمر. والآن الساعة قرابة الـ 10:30 من يوم الثلاثاء. كم سيستغرق أمر إعلان التسوية لجميع الدعاوى الجماعية؟" أجاب راكلي: "ليس بسرعة. ماذا سيحصل بمقالك بشأن كليات الحقوق؟ على الصفحة الأولى؟"

أجاب تود: "الأمر يعود إليك، غداً سنلتقي مراسل لصحيفة تايمز في تمام الساعة الرابعة".

سأل راكلي: "مراسل حقيقي؟".

"أصبت. مراسل بشحم ولحم. وسعطيه المعلومات. ولا نرى أنه سيمتنع عن نشرها لسبب ما، وبعد النشر ستصبح حضرتك شريك هذه البلاد طوال الفترة المقبلة. والأسوأ هو أن تجذب القصة انتباه الأف بي آي، والتي كما تعلم، تدعم القضايا ضد سويفت. وطبعاً ستشعل معلومة ملكية الشركات الخارجية الفتيل".

قال راكلي: "أنا على دراية بكل هذا. أدخل في الموضوع مباشرة".

"إذا أعلن بنك سويفت عن تسوية كاملة خلال أربع وعشرين ساعة عندها لن نقابل المراسل".

"وستغربان عن وجوهنا؟".

"نحن نذهب وأنت تؤكد حصول التسوية. تأكد من أن تحصل قضية ميامي على حصتها من المال، أولاً وعندما يتم استلام المال نغرب عن وجهكم. ومن دون أن ننطق بكلمة واحدة. وسنرفع حينها أيدينا عن مقال نصاب كلية الحقوق".

حذق إليهما راكلي طويلاً. لاحظ سترايان أنه من الأفضل ألا يتكلم. مرت دقيقة شعروا بها وكأنها نصف ساعة. وأخيراً وقف راكلي قائلاً: "ليس أمام البنك خيار سوى التسوية بجميع الأحوال. سنقوم بالإعلان عن التسوية هذا المساء. وغير ذلك، أفترض أنه يمكنني الوثوق بكلامكما".

أوماً تود ومارك وكانا أكثر من جاهزين للمغادرة. قال مارك: "لن نخلف بوعدنا".

قال راكلي: "يمكنكما الانصراف الآن".

لم تحرز سانغا أي تقدم خلال عطلة نهاية الأسبوع. رفضت الشرطة وصولها إلى عبدو، وقد زعموا أنه سالم ويعامل بشكل لائق. ظهر الاثنين اتصلت سانغا بزولا لتعلمها بالقليل مما حدث من مستجدات. كانت سانغا تعتمد على معارفها من مختلف المستويات، ورددت مراراً وتكراراً قولها إن هذه الأمور تستغرق وقتاً.

بعد أربعة أيام من الانتظار في الفندق، كانت زولا تتخبط قلقاً. جلست مع فاتنا في جناحهم وتحدثتا لساعات وساعات، الشيء الذي لم تفعله منذ سنوات، وتسكعت مع بو في مقهى الفندق الصغير وشربا الشاي عدة مرات في اليوم. واتصلت بشريكها لمعرفة آخر التطورات.

كلفتها الغرفتان ما يعادل المئة دولار في اليوم الواحد. بالإضافة إلى وجباتهم في المقهى، لقد بدأت زولا تقلق بشأن وضعها المالي. فهي وصلت مع ما يقارب العشرة آلاف دولار أمريكي، ودفعت حوالي ثلاثة آلاف دولار لشركة السيدة سانغا كأتعاب توكيلها. لو افترضنا أن عبدو سيطلق سراحه قريباً، فالعائلة ستحتاج إلى سكن وملابس وطعام وما إلى ذلك، وسوف ينتهي رصيدهم من النقود قريباً.

كان لديها ستة آلاف دولار أمريكي في حسابها في العاصمة، وكانت تعرف أن شريكها سيساعدها قليلاً، لكن باغتها القلق حول المال.

عندما وصلت عائلتها، كان لدى عبدو ثمانية دولار نقداً. وبو ممتنا دولار. انتهت مدخرات العائلة عندما عيّنوا أول محام للهجرة، ذاك المحامي الذي لم يقم بأي خطوة مفيدة. كما أن مستقبلهم في السنغال سيعتمد على مدخرات زولا الضئيلة. مع الأخذ بالحسبان احتمال دفع رشوة وهو ما لا يعرف أحد مقداره.

بعد ظهر يوم الاثنين، تدهورت أوضاعهم المالية السيئة أصلاً. توقفت سيارتا شرطة أمام الفندق، وترجل منهما أربعة عناصر بالزي الرسمي. كانت زولا تشرب الشاي مع بو في الردهة، حيث قابلا عنصرَي الشرطة اللذين طلبا منهما أن يلزما مكاهما، بينما سلم عامل مكتب الاستقبال مفاتيح غرفتيهما في الطابق الرابع. بقي شرطي معهما واستقل الثلاثة الآخرون المصعد. بانقضاء دقائق عدة، فتحت أبواب المصعد، وخرجت فانتا منه لتتضم إلى زولا وبو في الردهة.

همست فانتا لزولا: "إنهم يفتشون غرفتنا". بقدر ما كان ذلك مخيفاً، شعرت زولا بالارتياح لمعرفة أن أموالها ومقتنياتها الثمينة بأمان في خزانة الفندق خلف مكتب الاستقبال.

انتظروا لساعة، وهم يقدرون مقدار ما يعيئه العناصر في غرفتيهما من فساد، وعندما عاد العناصر الثلاثة إلى الردهة، سلم القائد، وهو رقيب، ورقة لعامل مكتب الاستقبال الذي ملأها بسرعة.

قال الرقيب: "لدينا أمر بتفتيش صندوقها الذي في خزانة الفندق". احتجت زولا "انتظر لحظة، لا يمكنك تفتيش أشياءي". قالتها وهي تقترب من المكتب قبل أن يوقفها أحد العناصر.

همهمت فانتا بالفرنسية مبتعدةً. اختفى عامل المكتب، وعاد بصندوق معدني صغير، مطابق لذلك الذي استأجرته زولا. شاهدت العامل يضعه في الخزانة الكبيرة مع العديد من أمثاله. لم يكن مزوداً بقفل.

نظر الرقيب إلى زولا منادياً: "تعالى إلى هنا" خطت نحو المكتب، ورأته يفتح الصندوق. فتح ظرفاً وأخرج منه بعض الدولارات. ببطء، عد عشرين ورقة من فئة المئة دولار، وأخرج رزمة سميكة من الفرنكات، وقام بعدها. كل دولار يعادل ستمئة فرنك، أخذ العد بعض الوقت. راقبت زولا ذلك بعناية، وهي ترى هذا الانتهاك، ولكنها عاجزة تماماً عن التصرف. بلغ مجموع النقود ستة آلاف دولار. أفرغ الرقيب الصندوق المعدني، وبدا راضياً عن الغنيمة حتى الآن. ثلاث بطاقات كانت ملفوفة بشرط مطاطي مع بعضها البعض - رخصة

القيادة المزورة، بطاقة طالب من كلية فوجي بوتوم، وبطاقة ائتمان منتهية الصلاحية. لكن مجموعة هواتفها النقالة كانت مخبأة في حقيبة تحت فراشها.

كان جواز سفرها، ورخصة قيادة صادرة عن ولاية نيو جيرسي، وحوالي خمسمئة دولار، وبطاقة ائتمان، في حقيبتها، المثبتة بإحكام إلى خصرها. إن تمكنوا من الوصول إليها، فهي لن تتحلى عنها بسهولة بل ستستبسل في التمسك بها. ارتجفت ركبناها عندما سأل الرقيب: "أين جواز السفر؟".

فتحت حقيبتها، نظرت حولها، وأخرجته. فحصه بعناية ونظر مطولاً نحو حقيبتها، ثم أعاده إليها. عنصر آخر كان يكتب قائمة بمحتويات الصندوق المعدني. من الواضح، أنهم سيأخذون ما وجدوه في الصندوق.

بعد الاطمئنان على حقيبتها، سألت زولا: "هل ستأخذون أغراضى؟". قال الرقيب: "لدينا مذكرة".

"من أجل ماذا؟ لم أقترب أي جريمة".

قال الرقيب مشيراً إلى قائمة جرد الأغراض: "لدينا مذكرة، وقعي هنا".

قالت زولا: "لن أوقع على شيء"، إنما عرفت بداخلها أنه ما من خيار آخر.

في تلك اللحظة، بالرغم من أنها عرفت الحقيقة. أخذت نفساً عميقاً وأقرت بعدم جدوى المقاومة.

وضع الرقيب أموالها وبطاقاتها في أحد مغلفات الفندق الكبيرة، وسلمه لعنصر آخر. نظر نحو بو وقال بالفرنسية "ستأتي معنا".

لم يفهم بو ما قيل له قبل أن يخرج أحد العناصر الأصفاذ ويمسك بمعصميه. ابتعد بشكل غريزي. الأمر الذي دفع عنصر آخر للإمساك به من ذراعه.

نددت زولا بالإنجليزية: "ماذا تفعلان؟". بينما احتجت فانتا بالفرنسية.

تنفس بو بعمق، واسترخى بينما كانت يداه مقيدتان خلفه وقال لفانتا: "لا بأس".

نادت زولا مرة ثانية: "ماذا تفعلان؟".

فك الرقيب أصفاذه وهزهما أمام وجهها قائلاً: "صمتاً! أتريدين هذين؟".

"لا يمكنك أن تأخذه".

صرخ الرقيب بعنف: "صمتاً، أو تأخذ أملك أيضاً".
قال بو: "لا بأس يا زولا سأطمئن على والدي".

دفع عنصران بو نحو الباب، غادروا والمغلف بيد الرقيب. راقبتهم فاتنا وزولا غير مصدقتين وهم يدفعون بو بعنف نحو السيارة وألقوا به في المقعد الخلفي.

قبل أن يغادروا مبتعدين، اتصلت زولا بسانغا.

عند الساعة الرابعة من بعد ظهر الثلاثاء 13 من أيار، أعلن محامو بنك سويفت عن التسوية المقترحة للدعاوى القضائية الجماعية المنتشرة في البلاد.
نظراً للشائعات والتكهنات خلال الأشهر الثلاثة الماضية، كانت الأخبار مخيبة للآمال. تكهنات بتسوية هائلة من سويفت ذهبت هباءً.

بموجب الشروط، سيدفع سويفت مبلغاً مبدئياً قدره 4.2 مليار دولار لتغطية الدعاوى المنتظرة لحوالي 1.1 مليون عميل محتمل. بوجود 220 ألف مدع، حصة شركة كوهين- كاتلر كانت الأكبر، فهي السابقة، والأكثر تنظيماً، وستكون أول من ستحظى بأموالها.

غطت التسوية ثلاث مستويات من المدعين. المستوى الأول تضمن المدعين الأكثر تضرراً، وهم من أصحاب المنازل الذين أرغموا على الرهن نظراً لسوء تعامل سويفت. هؤلاء هم حتى الآن المجموعة الأقل، وهم حوالي 5 آلاف.

في الدرجة الثانية هناك 8 آلاف زبون من زبائن سويفت ممن تضرر ائتمائهم جراء أفعال المصرف. أما في المستوى الثالث فاجتمع كل من تبقى من عملاء سويفت ممن خُدع وغرر به بسبب الرسوم المخفية التي قللت من نسبة الفائدة، وستلقى كل واحد منهم مبلغاً مقداره 3800 دولار لقاء الضرر الحاصل.

أما المبلغ الذي ينبغي أن يتلقاه المحامي، لقاء عمله فنوقش بشكل جانبي، وسيتم صرفه من حسابٍ مختلف. وستلقى عن كل مدعٍ أتعاباً مقدارها 800

دولار، بصرف النظر عن الضرر الفعلي الواقع. كوهن- كاتلر، كغيرها من الشركات الكبرى، ستكسب زيادةً إضافية بنسبة ثمانية بالمائة.

تداول المحللون الاقتصاديون الأنباء بسرعة البرق، وساد الاعتقاد بين الناس أن إدارة سويفت تفعل كل ما هو متوقع من قبلهم، ألا وهو إنفاق مبلغ هائل من المال على المشكلة أملاً بحلّها والمضي قدماً بعملهم. ومع الأموال المتدفقة من كل صوب وناحية، كان من المتوقع أن تبرم الاتفاقية بموافقة المحكمة في غضون أيام لا أكثر. وبحلول الساعة الخامسة من بعد الظهر، لم يسجل أي اعتراض من قبل أي محام بخصوص هذه القضية.

اتصلت هادلي بتود ظهر يوم الثلاثاء الماضي ناقلة بعض الأنباء المروعة. فهي لم تتمكن من فرض سحرها والتأثير بمجرى سير قضيتيها وتأجيلها أسبوعاً أو أسبوعين أو أكثر. لأن المدعي الذي يتولى أمر التهم الموجهة ضدّها متعنت جداً ويصر على قدميها إلى قاعة المحكمة يوم الجمعة ليتعرف إليهما للمرة الأولى. تكلمت هادلي عن الاهتمام الذي ينصبّ على قضيتيها هذه، فالكلّ سئم من الأنباء التي تتناول مدمني المخدرات وأخبار القيادة تحت تأثير الكحول، فجاءت قضيتيها كتغيير عن الأنباء المكررة المضجرة.

قال تود أثناء جلوسهما على أحد المقاعد في حديقة عند جزيرة كوني: "علينا أن نوكل محامياً بهذه القضية".

"أنا أفكر بفيل سارانو. كان في السنة الثالثة في فوجي بوتوم عندما بدأنا. إنه رجل جيد، يعمل مع مكتب صغير بالقرب من كاييتول هيل".
"أتذكره. ما المبلغ الذي سيتقاضاه منا؟".

"لن نعرف حتى نسأل. أعتقد أنه يتراوح بين خمسة إلى عشرة آلاف، ألا تظن؟".

"دعنا نساومه".

"سأتصل به".

طلب فيل سارانو عشرة آلاف دولار أمريكي مقدماً. شهق تود متفاجئاً، غصّ، تلثم وبدا مصدوماً قبل أن يشرح لفيل أنه وزميله ليسا سوى طالبي

حقوق لم يكملتا تعليمهما ومن دون عمل، وعليهما ما يقارب النصف مليون من الديون.

وأكد له تود أن القضية لن تصل إلى المحاكمة، ولن تستهلك كثيراً من وقته. وتدرجياً، تمكن من تخفيض الرقم، واتفقوا أخيراً على مبلغ ستة آلاف دولار، أخبره تود أنه سيضطر إلى اقتراضه من جدته.

بعد ساعة اتصل سارانو حاملاً الأخبار السيئة، وأعلمهما بأن القاضي الذي استلم القضية، أبي أبوت، يريد من المدعى عليهما الحضور شخصياً الساعة العاشرة صباحاً يوم الجمعة في دائرة المحكمة السادسة.

من الواضح أن القاضي أبوت كان مفتوناً بالقضية ومنتشوقاً للوصول إلى قاع الأمور. وبالتالي، لا تأجيل للظهور الأولي. وأضاف سارانو: "كما أنه يريد أن يعرف أين هي زولا".

قال تود: "لسنا مسؤولين عن زولا مال، لبحث هو عنها في أفريقيا. لقد رُحلت عائلتها مؤخراً، وربما ذهبت معهم".

"أفريقيا؟ سأقوم بإيصال المعلومة". قال تود لمارك بأنهما سيعودان إلى العاصمة في وقت أبكر بكثير مما توقعاه. كان تود قد مثل أمام القاضي أبوت في مناسبة واحدة. والأمر نفسه حدث مع مارك. لم يكن لم الشمل القادم فكرة مرحباً بها.

بما أن منزل آل فرايزر يقع في شارع يورك في دوفر بولاية ديلاوير، وبما أن عائلة لوسيرو لا تزال تعيش في شارع أورانج جنوب بالتيمور، فقد اختار مارك وتود اسم يورك أند أورنج ترايدرز اسماً لشركتهما الجديدة.

ومقابل 500 دولار، مدفوعة عن طريق بطاقة الائتمان، سجلا اسم شركتهما عبر الإنترنت، واستخدما الشركة المستحدثة كعنوان تجاري لها. ووجها أنظارهما باتجاه الجنوب، ووقع اختيارهما على باربادوس من دول البحر الكاريبي لبناء فرعهم الأول على أراضيها. برسوم مقدارها 650 دولاراً، سجلت الشركة في جزر الأنتيل الصغرى.

لم تكن عملية فتح حساب بالسهولة نفسها، فبعد بحث استمر لأيام وأسابيع طويلة بين المواقع الإلكترونية والحسابات والمصارف وغيرها، علم مارك وتود أنه من الأفضل لهما تجنب المصارف السويسرية، فأبي معلومة تدلّ على مكاسب غير مشروعة ستحمل مصرفي سويسرا على رفض التعامل معهما. فهم دائمو الحذر عند التعامل مع الأميركيين؛ ورفض كثيرون بشكلٍ علني أي عقد عمل مع تجار الولايات المتحدة. لكن الأمور بدت أفضل حالاً عند التعامل مع المصارف الكاريبية.

حظيت التسوية المقترحة وشروطها بموافقة سوق البورصة وإعجابها. وما إن افتتحت البورصة حتى ارتفعت أسهم بنك سويقت، واستمر الارتفاع طوال فترة التداول في الفترة الصباحية. وعند ظهيرة يوم الأربعاء، وصل سعر السهم تقريباً إلى ضعف سعر الافتتاح.

استمات محامو سويفت في سبيل الحصول على موافقة القضاة الفدراليين الستة ممن تولوا قضية الحق العام. وكما هو متوقع، أو كما توقع كل من مارك وتود على الأقل؛ اللذين تسمرا بانتظار الأبناء أمام شاشتي هاتفيهما وأخذنا يحدثان التطبيقات الخاصة بالمحاكم، أول الواصلين كان القاضي الفدرالي في ميامي الذي وقّع على الاتفاقية قبل أن تشير عقارب الساعة إلى الثانية ظهراً؛ بعد مضي أقل من أربع وعشرين ساعة من إعلان سويفت لخطتها.

ولم يمض وقت طويل قبل أن يتلقى مارك وتود مكالمة من مارفن جوكييتي بلباقته المتصنعة قائلاً:

"أود لو أنكما تتصلان بياري سترايان من فضلكما".

"حسناً سنفعل. ما رقم الهاتف؟".

أعطاهما جوكييتي الرقم قبل أن ينهي المكالمة. أمسك مارك سماعة الهاتف ليهاتف سترايان، الذي قال: "لقد التزمنا بالجزء الذي يخصنا من الصفقة. ماذا عنكما؟".

"ألغينا موضوع المقال، سنؤجل القيام ببعض الأمور إلى حين استلامنا المال، ثم سننطلق في طريقنا مختلفين. تماماً كما وعدناكم".

"ما موقفكما من توقيع التسوية؟".

"ألست السيد سترايان خريج كلية الحقوق جامعة هارفرد دفعة عام 1984؟".

"هذا صحيح".

"ألم تدرس في كليتك المتعبرة أن تتجنب الإجابة عن بعض الأسئلة التي ينبغي أن تبقى دون إجابة؟".

سُمع صوت الطنين مشيراً إلى انقطاع الخط.

صباح الأربعاء، عرّفت سانغا عن نفسها في السجن، وأعلنت أمام العاملين أنها لن تغادر قبل أن تقابل موكلها. كان يجوزهما اسم أحد القضاة ورقم هاتفه، وقد احتفظت به لتستعمله في حال الإضطرار. أثارت صخباً تجاوز الساعة من

الزمن قبل أن تقتاد في نهاية الأمر إلى جناح مؤلف من غرف صغيرة جداً سبق لها أن رأت معظمها. خلا المكان من أي نافذة، ومن أي مروحة أو أي وسيلة تهوية، وانتظرت هناك لساعة أخرى في ذلك الجو الحار المكبوت الذي جعلها تتصبب عرقاً إلى حين مجيء بو، مصفد اليدين، كان أعلى عينه اليسرى متورماً وبدأ أن هنا جرحاً غائراً. أوصله الحراس، ثم عادوا أدراجهم وقد تركوا الأصفاد في يديه.

قال: "أنا بصحة جيدة، أرجوك لا تخبري أمي وزولا بوضعي".
سألته: "ما الذي حدث؟".

"إنهم الحراس، وهوايتهم التي يتسلون بها، ألم تسمعي عنها؟".
"أنا أعتذر، هل عليّ أن أتقدم بشكوى؟".

"لا، أرجوك. ستزيد الشكوى الوضع سوءاً، هذا إن كان من الممكن أن يكون أسوأ. أنا في زنزانة مع خمسة رجال آخرين، كلهم أعيذوا إلى هنا من الولايات المتحدة الأمريكية، والظروف سيئة للغاية، لكننا تمكنا من النجاة حتى الآن. والشكوى قد تزيد الأمور تعقيداً".

"هل وجدت عبدو؟".

"ما من أثر له، وبدأت أقلق بشأنه".

"ألم يحققوا معك؟".

"بلى، هذا الصباح، استجوبني أحد الضباط. استجوبني وحده، ولم يكن في الغرفة غيرنا. هم يشكون أن אחتي محامية أمريكية ذات ثروة طائلة، وبالطبع، يطمعون في أموالها. حاولت أن أعلمهم أنها طالبة في كلية الحقوق ولا أموال معها ولا نقود، لكن الضابط لم يصدقني. وقال إنني كاذب، والدليل بجوزتهم، فقد وجدوا نقود زولا في خزانة الفندق، واعتبر النقود دفعة أولى على الحساب".

"ما المبلغ الذي يتوقع الحصول عليه؟".

"عشرة آلاف دولار أمريكي من أجل والدي، ثمانية آلاف من أجل أمي،

وثمانية من أجلي".

قالت سانغا: "إنه طلبُ شائنٌ" وقد تسمرت ملامح وجهها من هول المفاجأة ثم أكملت: "الرشاوى شائعة لكن ليس بهذه المبالغ الكبيرة".
"كما قلت سابقاً، يعتقد الضابط أن زولا فاحشة الثراء، ويعبر أن مجيء زولا إلى هنا وبحوزتها مال وافر، فهذا دليل على أنها تملك المزيد منه".

"وماذا عن الستة آلاف دولار التي أخذوها كدفعة على الحساب؟"
"قال إن هذا المبلغ مدفوع عن زولا نفسها، وعندما قلت له إنها مواطنة أمريكية، وقد سجلت دخولها بالفعل في سفارة الولايات المتحدة التي تقع في نهاية الشارع، لم يرق الأمر له. وقال إنه سيعتقلها مع والدتي في حال لم ندفع له كامل المبلغ".

"هذا الكلام منافٍ للعقل وللمنطق، أنا على صلة مع بعض المعارف من ذوي السلطة، سأتواصل معهم حالاً".

هزّ بو رأسه وكشر وهو يقول: "لا من فضلك لا تعجّلي بالاتصال الآن. سمعت أن اثنين من الرجال توفيا هنا الأسبوع الماضي. ومن المرجح أن تأخذ الأمور منحى أسوأ، فنحن طوال الوقت نسمع صراخاً، وكما قلت سابقاً، إن شكونا، فمن يعلم ما الذي سيحدث بعدها". رفع بو رسغيه المتصقين بعضهما ببعض ومسح فمه بظهر يده بطريقة بدت غير مريحة. "لديّ أصدقاء في الولايات المتحدة، لكنهم جميعاً من الطبقة العامة مثلي ومثلك، بدخل يكاد يسدّ الرمق لا أكثر. أخي، سوري، يعيش في كاليفورنيا الآن، لكنه لم يتمكن من ادخار المال في حياته قط، وإفلاسه معلنٌ على مدار العام. آه، لا يمكنني التفكير فيمن قد يساعدنا. رئيسي في العمل، رئيسي السابق على كل حال! كان رجلاً طيباً لكنه سيرفض التدخل في أمر كهذا. لا أحد يرغب في التورط عندما يتعلق الأمر بالمهاجرين غير الشرعيين الملقى القبض عليهم لإرسالهم إلى أوطانهم، لقد بقينا في مركز الاحتجاز لأربعة شهور، وفقدنا التواصل مع العالم الخارجي بأكمله. فما أن يعلم الأصدقاء أنك سترحل، حتى تصبح الصداقة في خيبر كان، وعندها يصبح كل امرئ بالكاد مسؤولاً عن نفسه فقط".

أغمض عينيه، وبدا عابساً وحزيناً، أكمل بكدر: "لا أعرف بمن عليّ أن أتصل. لا أعرف أحداً يمكنني الاعتماد عليه. عليك بسؤال زولا".

احتسى كل من مارك وتود من كأسي الجعة أثناء مشاهدتهما مباراة، ومناقشتهما لتفاصيل خطة العمل للأيام القادمة. في الصباح، كانا سيسئقلان القطار متجهين إلى العاصمة لمقابلة فيل سارانو، الذي شرع يحادث النائب العام ليعرف ما هو حاله ومزاجه في ذلك اليوم.

أثناء غياب تود لشراء كيسٍ من الفول السوداني رنَّ هاتف مارك. كانت زولا المتصلة، لا تزال تقيم في أحد الفنادق، لم يتحدث مارك أو تود مع زولا يوماً، وكانت المحادثات مقتضبة بينهم. ولإعلام بعضهم بمستجدات الأحداث استخدموا البريد الإلكتروني وقد اعتمدوا أن يتعاملوا مع مفردات رسائلهم بحذر شديد حتى لا يدلوا بكل ما يعرفونه. أما عندما تعلق الأمر بالرشاوى، فكان من الأفضل أن يتمّ الحوار عبر مكالمةٍ هاتفيةٍ.

"إنها مشكلة كبرى". قالها مارك وهو يضع هاتفه جانباً. وكرر باختصار ما قالته زولا: "هي بحاجة إلى ستة وعشرين ألف دولار مودعة في حسابها في سيتي بنك. عشرون ألفاً منها من حساب الشركة". ففكر تود للحظة قبل أن يقول: "حساب الشركة يعاني، فقد أنفق منه الكثير ولم يودع فيه شيء".

"لا يزال هناك واحد وثلاثون ألف دولار في الحساب أليس كذلك؟".
"أكثر من ذلك بقليل. هل تشعر برغبة في تحويل عشرين ألف دولار لأحدٍ في السنغال؟".

"تريدنا زولا أن نرسلها إلى محاميها. ومن هناك، من يعلم إلى أين، لكنني أتق في حكم زولا على الأمر، وأعلم أنها تعلم ما عليها فعله".

"ماذا لو أُلقي القبض عليها بتهمة تقديم رشوة؟".
"لا أظن أنهم يلقون القبض على الناس بتهمة كهذه هناك. وهي مجازفة علينا أن نقوم بها".

"حسناً، سنقوم بالتحويل بهذه البساطة؟ سنقوم بإرسال عشرين ألف دولار كسبناها من عرق جبيننا في عملنا مع الثمالي في أروقة المحاكم؟".
"دعني أنعش ذاكرتك أن معظم المبلغ هو من القرض. لقد أودعنا ما حصلنا عليه من قروض معيشة فيه. ونحن في هذا الأمر معاً يا تود، ولا يزال الحال هو نفسه. زولا بحاجة إلى النقود، ونحن نملك ما يكفي لسد حاجتها والنقاش في هذا الأمر منتهٍ على أي حال".

قشر تود حبة فول سوداني وتناولها قبل أن يجيب:

"حسناً، لكن زولا آمنة من الاعتقال أليس كذلك؟ لقد قامت بمراجعة سفارة بلادنا هناك وسجلت دخولها؟".

"أتسألني عما تستطيع الشرطة في دكار، عاصمة السنغال، القيام به وما الذي يخرج عن صلاحياتها؟".
"لا، إنني لا أسألك".

"حسناً، إنها أمريكية يا تود، مثلنا تماماً، ونحن نجلس هنا مستمتعين بمباراة يسبول بينما هي تتصبب عرقاً هناك في أفريقيا، مكان لم تره من قبل. نحن قلقون من مواجهة قاض غير ودود يوم الجمعة، بينما هي تشعر بالقلق من أن ترمى في السجن، حيث يمكن لأي شيء أن يحدث، إن كنت تتصوره أو لا تتصوره، هل يمكنك تخيل الحراس عندما تقع أنظارهم عليها؟".
"هل عدت لإلقاء المحاضرات علي؟".

"لا أدري ماذا أنا بفاعل، حقاً، سوى احتساء الجعة. تود، نحن مدينون لها بخدمة كبيرة، منذ خمسة أشهر كانت حياتها جيدة جداً. كانت تحظى بالمرح هي وجوردي، كانت على وشك إنهاء دراستها الجامعية في القانون وتعمل أيضاً ما اعتقدت أنها ستفعله. ثم جئنا أنا وأنت. والآن هي في السنغال، مذعورة، مفلسة، عاطلة من العمل، تمت مقاضاتها حديثاً، وسيتم توجيه الاتهامات إليها قريباً، وما إلى ذلك. الفتاة مسكينة، إنها ربما تلعن اليوم الذي قابلتنا فيه".
"لا، إنها تحبنا".

"ستحبنا أكثر عندما نحول لها العشرين ألف دولار".

"هي غالباً أضعف مما ندرك".

"أعتقد أنك على صواب. من الجيد أننا لسنا ضعيفين. نحن أحمقان ونعم لقد جئنا، ولكننا لسنا ضعفاء".

"سأقبل بهذه الصفات. هذا ما نحن عليه، مجنونان فقدنا عقليهما".

"هل سألت نفسك يوماً لماذا فعلنا ما فعلناه؟"

"لا يا مارك، لا تفكر كثيراً في ما مضى، ما حدث قد حدث. لا نستطيع العودة وتغيير أي شيء، فلتوقف عن التفكير به ومحاولة فهمه. لقد حدث الأمر. لقد قمنا به، ولا نستطيع التراجع عنه. بحق الجحيم، لدينا ما يكفي لنفكر بحله في المستقبل القريب".

"أأست نادماً؟".

"أنا لا أشعر بالندم، وأنت تعرف ذلك".

"أتمنى لو أستطيع إبعاده هكذا". احتسى مارك من جعته وهو يتابع المباراة. قبل أن يردف قائلاً بعد برهة: "أشعر بالندم على اليوم الذي ظهرت فيه في كلية الحقوق. أشعر بالندم على اقتراض كل هذا المال. أشعر بالندم على ما حدث لجوردي. وسأندم على كل ما بقي إن تمت إدانتنا وسجنا لسته أشهر".

"هذا عظيم. الآن تشعر بالندم. ما الفائدة من التدمير الآن؟".

"إنني لا أتدمر".

"يبدو لي أنك تفعل".

"حسناً، أنني أتدمر. إذا انتهى بك الأمر في السجن. هل سيبقى الندم بعيداً عنك".

"مارك، كلانا يعلم أننا لن نسجن، وهذا الأمر محسوم. يوماً ما قد يوقع قاضٍ ما حكماً يرسلنا بموجبه إلى السجن، ولكننا لن نكون في قاعة المحكمة حين يحدث ذلك. حتى إننا لن نكون في المدينة، وقد لا نكون في البلاد كلها. هل توافقني الرأي؟".

"بالطبع".

في الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء. دخل مارك وتود إلى المصرف الجديد الذي يتعاملان معه في شارع فولتون حالما فتح أبوابه. كانا على موعد مع الموظفة التي ستدير الحساب؛ وسرعان ما اختلقا أمامها قصة خلصا في نهايتها أنهما بحاجة إلى تحويل عشرين ألف دولار إلى شركة حمامة في السنغال. كانت زولا قد أرسلت إليهما بريداً إلكترونياً يتضمن معلومات التحويل الدقيقة. لم تكن الموظفة قد قامت بمهمة كهذه خلال فترة عملها الوجيزة.

أجرت بضع مكالمات هاتفية لتعلم هي ومارك وتود بسعر الصرف بين الدولار والفرنك، وبعد عملية الصرف أجاز السيد لوسيرو التحويل. بدأت عملية التحويل، وسيصل المبلغ السنغال في غضون أربع وعشرين ساعة؛ ذلك في حال سار الموضوع بسلاسة وخلا من المشاكل. استغرقت الإجراءات ساعة كاملة، وهو وقت أكثر من كافٍ لمارك وتود ليظهرا سحرهما ويفتتا مديرة الحساب بتعليقاهما الذكية وجاذبية شخصيتهما.

وبانتقال النقود، استقل مارك وتود القطار من إحدى محطات ماهااتن ووصلا محطة بين. لقتل الوقت الضائع ولعدم رغبتهما بالعودة سريعاً إلى العاصمة، بدّلا عدة قطارات قبل أن يحملهما قطار العودة إلى المنزل ظهراً، واستغلا مشوار العودة لينالا قسطاً من الراحة، فناما طوال رحلة القطار.

مرّ على غيابهما خمسة أيام عن المنزل، وعند عودتهما بدت العاصمة مكاناً جديداً. لكنها بقيت مكانهما المفضل الذي لطالما وقع اختيارهما عليه، مقرهما ومستقرهما لبناء حياة مهنية في غمرة من الفرص اللاهائية في مرتع المحامين والشركات والمهنيين المحترفين هذا.

شهد هذا المكان أيضاً فشلها الذريع، ولا يزال عدّاد الفشل يتّجه إلى الأمام، باتجاه الحدّ الأقصى.

لن يطول بقاؤهما في العاصمة كثيراً؛ سيغادراها، على عجل، وبخيبة وخزي، ملاحقين من بعض الأشخاص، ما منعهما من إمتاع أنظارهما بالمدينة عندما استقلا سيارة الأجرة، وعزّ عليهما الرحيل، ووخزهما مشاعر الحنين بمجرد اشتغال عدّاد الأجرة.

المكتب الذي يعمل منه فيل سارانو في جادة ماساشوستس قرب مستديرة سكوت. فيل سارانو أحد الشركاء الأربعة في شركة ذات فريق عمل مكون من عشرة أشخاص ممّن اختصّ بقضايا الشخصيات المرموقة اجتماعياً.

فيل يكبر مارك وتود بعام واحدٍ. تخرج من كلية الحقوق في فوغي بوتوم عام 2011، في العام الذي بدأ فيه دراستهما. جالت أعينهما في مكتبه ولاحظا خلوّ جدرانها من شهادته المعترية. وخلفه، على جدار إنجازاته، علّقت شهادة في الفنون الجميلة من جامعة ميشيغان في إطار مزخرف جميل ممنوحة لفيل سارانو. لم تظهر أي شهادة من كلية فوغي بوتوم.

مكتب فيل جزء من بناء جميل يوحي للنظر بازدهار العمل ونجاحه. وبدا استمتاع فيل سارانو بما يقوم به وبجبه الواضح لمهنته.

لِمَ لم تنته حياتهما المهنية هكذا؟ ما الخطأ الذي حرف مسارهما بهذا الشكل؟

سأل تود: "من المدّعي؟".

"ميلز ريدي. هل تعرفها؟".

"لا أعرفها" اتجه إلى مارك وسأله: "هل سبق لك أن طارحتها الغرام؟".

"لا، ليست هي من طارحتها الغرام".

قال فيل: "العفو منك؟"

اعتذر تود قائلاً: "إنها مزحة تافهة".

"من المفضل أن تحتفظ بنكتك لنفسك".

سأل مارك: "هل هي ذات طباع حادة أو شخصية قوية؟".

تناول فيل أحد الملفات القرية منه وهو يجيب: "نعم، هي محطة للحمام، أرسلت لي الملف وراجعتة ملياً. هم يحتفظون بسجل حضور كما في المحكمة، مما يضطرنني أن أطرح أسئلة لا أطرحها عادة: هل تمتلكان أي حجة للدفاع عن نفسيكما أيها الشابان؟".

قال مارك: "لا".

كرر تود: "لا حجة البتة. التهمة تلبسنا من رأسنا حتى أخمص قدمينا".
تساءل تود: "أليس هذا سؤالاً آخر من حفنة الأسئلة التي عليك ألا توجهها لزيائتك أيضاً؟".

"نعم، أفترض أنه منها أيضاً. لكن الفضول انتابني لوهلة وهذا كل ما في الأمر".

قال مارك: "ستكلم بهذه التفاصيل لاحقاً، ربما عندما نتناول كأساً من المشروب. سؤالي مستمد من معرفتي بالدعوى. هل هم جديون بالتعامل مع هذا الهراء؟ إنها مجرد جريمة حمقاء تافهة. في حقيقة الأمر، إن ممارسة الحمامة من دون ترخيص لا تعدّ جناية حتى في نصف الولايات، بل تعدّ جنحة صغيرة".

اعترض فيل: "لكننا لا نسكن في هذه الولايات، أنتما الآن في العاصمة واشنطن، وكنتما ستعرفان ذلك لو أنكما حاصلان فعلاً على رخصة ممارسة الحمامة؛ فمجلس رابطة المحامين يأخذ عمله بغاية الجدية ويوليه كامل الاهتمام، وهذا الاهتمام واضح النتائج في الساحة المهنية. في محادثتي الوحيدة مع الأنسة ريدي بدت مهنتها جليةً وذكرتني أن العقوبة القصوى هي قضاء عامين خلف القضبان وغرامة مقدارها ألف دولار أمريكي".

استنكر تود: "إنها حقاً مهزلة".

أضاف مارك: "لن ندخل السجن يا فيل، والمال المتبقي معنا، ستة آلاف دولار أصبح بين يديك ونحن أشدّ إفلاساً مما كنّا عليه في البداية".

صرّح تود: "اضطّرنا إلى اقتراضه من جدتي".

أجاب فيل بشيءٍ من العدوانية: "هل توذّان استرجاعه؟ سأعيده لكما حالاً".

سارع مارك يقول: "لا، لا، أرجوك أن تحتفظ به. نحن نعلمك بإفلاسنا وبأننا لن ندخل السجن، فلتكتب ذلك في مذكراتك أو في مكان ما بين ملفاتك".

أتبع تود بقوله: "ولا يمكننا أن نقدم لك أي كفالة".
هزّ فيل رأسه يمنةً ويسرةً مبدئاً استغرابه وهو يقول: "مملكني شكُّ أنكما لن تفعلا ذلك. إذاً، أتما متهمان بما لا يمكنكما تبريره، وكل ما ستفعلانه هو إنكار التهم. ما دوري أنا في هذه القضية؟".

أجاب مارك: "ماطل".

وتابع عنه تود: "أخّره، وأجلّ المحاكمة لأطول مدة ممكنة. إن قمت بطلب تحديد موعد للمحاكمة فما المدة التي قد تحصل عليها؟".

"سته أشهر على الأقل، وقد تصل المدة عاماً كاملاً".

أجابه مارك: "هذا رائع، حسناً فلتعلم الآنسة ريدي أننا نطالب بمحاكمة، وسنحظى بوقتٍ كافٍ لمناقشة الصفقات".

"أتما تبدوان الآن كمحاميين حقاً".

وعلى ذلك أجابه تود: "نعم، لقد تلقينا تعليماً جيداً في فوجي بوتوم".

بعد حلول الظلام تسلا عائدين إلى شقتهما في البناء فوق حانة روستر، ليتحققا من بعض الأمور، وربما ليبيتا الليلة فيها.

بدأت الشقة أكثر كآبةً وظلمةً مما يذكرانه، وبانقضاء ساعة قاما بالاتصال بسيارة أجرة لتقلهما إلى فندق رخيص. في جيب كل منهما مبلغ خمسة آلاف دولار أمريكي نقداً؛ وهذا يعني أن حساب شركة لوسيرو وفرايزر لم يبق فيه غير 989.31 دولاراً.

طلبا شريحة لحم من النوع اللذيذ، وتناولوها إلى جانب زجاجة من شراب كابرنيه الجيد. وبعد أن فرغت الأطباق من الطعام ولم يتبق ما يذكر في زجاجة الشراب وجه تود سؤاله إلى مارك قائلاً: "هل تذكر فيلم حرارة الجسد؟ حيث يلعب فيه كل من كاتلين ترنر وويليام هرت دوري البطولة؟".

ردّ مارك: "بالطبع أذكره، إنه فيلم رائع عن محامٍ غير كفؤ".
"تحدث القصة عن أكثر من ذلك. يلعب ميكّي رورك دور سجين في
الفيلم، ويقول تلك العبارة الشهيرة: (إن ارتكبت جريمة قتل فأنت ترتكب عشرة
أخطاء. إن استطعت التفكير بثمانية منها فهذا يدلّ على عبقريتك) هل تذكر
هذه العبارة؟".

"عليّ أن أفعل. هل قمت أنت بقتل أحدهم؟".
"لا، لكننا قمنا بارتكاب الكثير من الأخطاء. وأعتقد صراحةً أننا ارتكبنا ما
يكفي من الأخطاء ما ينسينا نصف ما قمنا بارتكابه".
"والجريمة الأولى؟".

"قمنا بتخريب الأمور عندما أخبرنا راكلي عن قيام صديقنا بالانتحار. هذا
كان فعلاً غباءً. ذلك الرجل الذي يعمل لديه في الأمن، ما كان اسمه؟".
"أظن أن اسمه دوغ بروم".

"نعم هذا الشخص بعينه. السيد بروم أحج الذعر في شراييننا عندما دخل
وأخبرنا أنه تحقق من هوية كل شخص باسم مارك فاينلي أو تود ماكين في
البلاد. أليس كذلك؟".
"نعم".

"حسناً، فأصبح من الجليّ أن راكلي شخص متعصب ومتشدّد عندما يتعلق
الموضوع بالأمن والحماية والدهاء. ومن غير المستغرب أو الصعب أن يُظهر بحث
بسيط عن أسماء من قام بالانتحار من طلابه في كلية الحقوق اسم جوردي.
ليقوم حينها بروم ورجاله بالاستطلاع في أرجاء فوجي بوتوم، ومن المرجح أن
يجدا من ينطق باسمينا، اسمينا اللذين ذكرا في عدد الأسبوع الفائت لمعلوماتك".

ودون تكبّد عناء زائد يمكن لبروم أن يتعقب خطانا ويعرف اسمينا
الحقيقيين؛ اللذين سيقودانه مباشرة إلى شركة المحاماة خاصتنا في بروكلين".

"تروّ قليلاً في الكلام فأنا لا أستطيع مجاراتك. فحتى لو عرف اسمينا
الحقيقيين والمكان الذي انحدرنا منه، فكيف له أن يجد لوسيرو وفرايزر في
بروكلين؟ فنحن لم نقم بالتسجيل هناك حقاً. ورقم هاتفنا ليس مسجلاً في

دليل الهواتف وليس موجوداً على أي موقع إلكتروني. لا أفهم حقاً أتى له أن يجدنا".

"الخطأ الثاني الذي ارتكبناه. لقد بالغنا في دعوى ميامي. لا بدّ أن راكلي وسترايان سألنا نفسيهما عن دوافع بحثنا واهتمامنا بقضية كوهين-كاتلر. وهذا من وجهة نظرنا، فنحن لا بدّ أن نأخذ دوراً في تلك القضية. خطر يبالي خاطر غير مؤكد للغاية، لكن ماذا لو استطاع بروم أن يجد القضايا التي يبلغ عددها الألف ومئة وثلاثين قضية المحالة من لوسيرو وفرايزر إلى شركة كوهين-كاتلر؟".

"عليّ أن أوقفك عند هذا الحدّ. فنحن لسنا محامين مسجلين في الرابطة واسم شركتنا غير مذكور في السجلات، ونحن بذلك كغيرنا من المحامين الذين قاموا بإحالة قضاياهم. المعلومات موجودة لدى كوهين-كاتلر لكنها سرّية. ولا يمكن لراكلي أن يصل إليها. إضافةً إلى أنه لا يتوفر لديه حجة أو دافع لدخول كوهين-كاتلر؟".

"ربما لا يحتاج لدافع ليدخل كوهين-كاتلر وجلّ ما يحتاج لفعله هو إيصال معلوماته إلى الأف بي أي، ومن ثمّ يلمح إلى حدوث عملية نصب واحتيال في تسوية سويفت".

"أنت تنسى أن حدوث تلك الصفقة وتوقيع العقد يخدم مصلحته، وهو ينتظر توقيع العقد بأسرع وقت ممكن".

"هذا صحيح، لكن يتباني حدس أن ردّ فعل راكلي سيكون وخيماً إن شكّ أننا قمنا بسرّفته".

"شخصياً لا أعتقد أنه سيغامر بالاقتراب من الأف بي أي في ما يخصّ تسوية سويفت".

"بجداً أنت محقّ، لكنه قادر أن يجد طريقة لتسيبهم".

أدار مارك كأس النبيذ في يده وهو ينظر إلى النبيذ بإعجاب. احتسى منه حسوة وهو يتلمّظ بشفتيه. بينما حدق تود إلى الأفق.

قطع مارك الصمت: "اعتقدت أنك ابتعدت عن مشاعر الندم والأسف".

"إني أتحدث عن الأخطاء المرتكبة وليس عن ندمي جراء ارتكابها. لقد تعاملت مع مشاعر الندم والأسف وكانت مضيعةً تامةً للوقت، ولن أكرر خطئي هذا. لربما كان من التهور والحماقة أن نفعل ما فعلناه في الماضي كونه يؤثر في المستقبل. لكن إن حالقنا الحظ فستمكن من الحدّ من الخسائر".

"إن الشكوك قد تمكنت منك بالفعل".

"نعم، كما تمكنت منك. لقد تورطنا مع أناس أثرياء يمتلكون موارد هائلة لا تنضب، ونحن لا ننفكّ نخرق القوانين كلما تحررنا".
"حرقناه ألف ومائة وثلاثين مرة على وجه الدقة".
"على أقل تقدير".

توقف النادل عند طاولتهما ليسأل عما سيطلبانه كطبق تحلية لكنهما طلبا الشراب فقط. قال تود: "لقد اتصلت بجيني فالديز من شركة كوهن - كاتلر أربع مرات اليوم ولم أستطع الوصول إليها. لا يمكنني إلا أن أتخيل الفوضى العارمة التي تعم ذلك المكان وما يفعلونه بمواجهة 220 ألف ادعاء. سأحاول الوصول إليها مجدداً غداً. علينا أن نتأكد أن اسم شركتنا سيبقى في الظل، وعلينا أن نعلم إن حاول أحدهم تسليط الضوء عليه".

"حسناً. هل تعتقد أن بروم سيأتي إلى المحكمة غداً؟".

"لا لن يأتي شخصياً، لكنه قد يرسل أحدهم ليستطلع الأمر".

"أنت تحملني على الارتياب".

"نحن فاران يا مارك؛ الارتياب مفيد في حالتنا".

استقلّ المدعى عليهما مصعد العمال من باب خلفيٍّ مجهول من قِبَل كثير من المحامين تجنباً منهما لأروقة العدالة التي اعتادوا يوماً التبختر فيها. كان فيل من المحامين الذين يعلمون بوجود هذا الباب الخلفي، وقاد موكله عبر متاهةٍ من الأروقة الصغيرة التي تصطف بمحاذاة مكاتب القضاة والسكرتارية والكتابة والمساعدين القضائيين.

ارتدى مارك وتود معطفين وربطتي عنق لأنه من المؤكد أن الصحف ستسابق لالتقاط صور لهما. لم يتحدثا إلى أي أحد في طريق خروجهما، وتجنباً النظر مباشرةً إلى أي شخص، وخاصةً للقليلين الذين يعرفوهما.

الساعة 9:50، في قاعة دائرة المحكمة السادسة، ومن الباب الخلفي لقاعة القاضي أبراهام آبوت، خرج مارك وتود إلى العلن. حيث كان الجميع تواقون لرؤية الغريين؛ وهما بدورهما تفرّسا في وجوه الحضور الذين بلغ عددهم الثلاثين وهو عدد أكبر بقليل من المعتاد لأول ظهور في محاكمة. جلسا في مكانيهما إلى طاولة الدفاع مولين ظهريهما للحضور، بينما تقدّم محاميهما للتحدث إلى النائب العام. كان القاضي آبوت على منصته وأمامه مجموعة من الأوراق يراجعها. وفجأة ظهرت أمامهما هادلي كافينس الحسنة واقتربت منهما تمس إيهما:

"أنا هنا فقط من أجل الدعم المعنوي أيها الشابان."

أجابها مارك: "لك الشكر."

قال تود: "لقد فكرنا أن نتصل بك بالأمس."

هادلي: "لقد كنت مشغولة."

"هل أنت شاغرة اليوم؟"

"للأسف لدي موعد."

قال مارك مشيراً إلى الطاولة بجوارهما: "ما الإشاعات التي تدور حول الآنسة ريدي؟".

ابتسمت هادلي بجمية: "تفتقر إلى الكفاءة القانونية وهي أكثر غباءً من أن تعرف نقص قدراتها. إنها وضيفة".

سأل تود: "هل من أي صحفي هنا؟".

"نعم، مراسل يجلس في الجهة اليسرى، ذلك الرجل الذي يرتدي سترة بنية في الصف الرابع. ولا أعلم بوجود غيره. لكن عليّ الإسراع بالذهاب الآن. لا تنسيا أن تحفظا رقم هاتفي وتتصلا بي عندما تخرجان". وبالسعادة ذاتها التي ظهرت أمامهما اختفت أيضاً.

همس مارك: "هل قالت عندما نخرج؟! هل تقصد من السجن؟!".

تمتم تود: "إني أحب هذه الساقطة".

فتح باب من الناحية اليمنى البعيدة واقتيد إلى داخل القاعة ثلاثة رجال مكبلي الأيدي يرتدون الزي البرتقالي. ثلاثة زنوج اعتقلوا حديثاً من شوارع العاصمة، ومن المرجح أن يزجوا في السجن لسنوات عديدة قادمة. وإن لم يكونوا أفراداً من عصابة ما فسرعان ما سينضمون إلى إحدى العصابات كنوع من الحماية لأنفسهم. خلال فترة ممارستهم القصيرة لدور محامي الدفاع عن المجرمين، أصبح لدى مارك وتود فكرة واضحة عن أهوال السجن من قصص موكلهم.

نادى أحد الموظفين في القاعة اسمي فرايزر ولوسيرو فنهضا، واقتربا من المنصة مع فيل؛ وهما يحدقان إلى القاضي أبوت العابس الذي كانت كلماته الأولى: "لا يمكنني الجزم بأنني أميز أحداً منكما، علماً أنه تم إخباري بوجودكما سابقاً في هذا المكان".

بالفعل كانا قد رافعا بقاعة المحكمة هذه من قبل، لكنهما التزما الصمت فأكمل: "السيد مارك فرايزر، أنت متهم بجريمة حرق المادة 54 الفقرة ب من قانون أصول المحاكمات الجزائية، لقيامك بممارسة الحمامة من دون ترخيص. ما ردك على هذه التهمة؟".

"أنا غير مذنب، حضرة القاضي".

"وأنت سيد لوسيرو، ما ردّك على التهم ذاتها؟".

"غير مذنب حضرة القاضي".

"والمدّعى عليها الآنسة زولا مال، المعروفة باسم آخر هو زولا باركر، الذي باعتقادي أنه اسمها المهني. أين الآنسة مال؟" سأل وهو يحدّق إلى مارك الذي هز كتفيه وكأنه لا يمتلك أدنى فكرة.

قال سارانو: "اسمح لي حضرتك، فالآنسة على ما يظهر من دلائل أنّها غادرت البلاد. فعائلتها قد رحّلت إلى أفريقيا؛ وقيل لي إنّها ذهبت إلى هناك لمساعدتها. وأنا لا أمثلها في هذه القضية".

قال القاضي أبوت: "حسناً، يبدو أن هذه القضية الغريبة تسلك منحى أكثر غرابة. ستحال قضيتكما إلى هيئة المحلفين للنظر فيها. إن تم إثبات التهم سيتمّ تحديد موعد للاستجواب. إنّما أثق بمعرفتكما بالإجراءات المتبعة. هل من أي أسئلة إضافية سيد سارانو؟".

"لا، حضرة القاضي".

أقحمت ميلز ريدي نفسها في الحدث قائلةً: "سيدي القاضي، أنا أطلب بتحديد مبلغ الكفالة للمدّعى عليهما".

وسط تدمّر فيل وذهول القاضي الذي سأها "لماذا؟".

أجابت ريدي: "حسناً، تشير الأدلّة إلى انتحال المدّعى عليهما هويات عدّة، ما يعني أننا أمام احتمال فرارهما. فالكفالة والسند سيؤكّدان حضورهما إلى المحكمة".

تبادل القاضي ومحامو الدفاع النظرات قبل أن يقول: "سيد سارانو؟".

الذي أجاب: "لا حاجة لذلك حضرة القاضي. لقد قبض على موكليّ يوم الجمعة الماضي، وتمّ إعلامهما بوجوب الحضور صباح هذا اليوم عند الساعة العاشرة. وقد كلّفاني بتمثيلهما ووصلنا قبل الموعد المعطى لهما بربع ساعة. أعلمهما بالموعد المحدد لحضورهما وسأضمن مجيئهما".

فكّر تود في نفسه أنه لا يمكن لفيل أن يضمن مجيئهما، وأنها المرّة الأخيرة التي سيرونهما فيها فلينظروا إليهما بعناية.

أما مارك فجالت في ذهنه كلمة فرار. هه تقول فرار! بل قولي إننا سنختفي ونتلاشى من الوجود! هل جئت ريدي لتظن أنني سأقبل بزجّي في السجن.

أكملت الأنسة ريدي: "إن المدعى عليها المتهمه أيضاً في القضية قد فرّت فعلاً من قبضة العدالة، وهي الآن خارج البلاد حضرة القاضي. إنهم ينتحلون شخصيات وهمية".

ردّ القاضي على ذلك: "أنا لا أرى حاجة لكفالة في هذه المرحلة المبكرة من المحاكمة. سيد سارانو هل يؤكد لنا موكلنا بقاءهما ضمن حدود المقاطعة أثناء فترة المحاكمة وحتى موعد مثولهما أمام هيئة المحلفين؟".

نظر فيل إلى مارك الذي هزّ كتفيه قائلاً: "بالطبع، لكنني بحاجة إلى زيارة والدي التي تقطن في دوفر. إنما يمكن لزيارة والدي الانتظار إلى ذلك الحين".

أضاف تود: "تمكّن المرض من جدتي في باليمور، لكن يمكن لعيادتها أن تؤجل إلى وقت لاحق بما تحدده محكماتكم المبجلة".

أسهل ما يمكن القيام به هو الكذب. أضاف سارانو: "لن يقوم موكلنا بالذهاب إلى أي مكان حضرة القاضي، القيام بتحديد كفالة عمل لا فائدة منه".

قال القاضي وهو ينظر بإحباط إلى فيل: "أنتفق معك في هذا؛ عمل لا فائدة منه".

أصرت الأنسة ريدي على كلامها: "حسناً، حضرة القاضي، هل يمكن على الأقل إرغامهما على تسليم جوازي سفرهما؟".

ضحك مارك مجيئاً: "ليس بجوزتنا أي جواز سفر حضرة القاضي. نحن مجرد طالبين مفلسين درسنا القانون".

أما جواز سفره الحقيقي فكان آمناً في جيب سرواله منتظراً استعماله. وخطر ببال مارك أنه بحاجة لاستخراج جواز سفرٍ مزيف جديد من باب الحيلة.

رفع القاضي يده إشارةً منه لالتزام مارك بالصمت وهو يحسم النقاش: "لا كفالة. وسأراكما بعد شهر تقريباً".
قال سارانو: "شكراً حضرة القاضي".

مشى الطرفان مبتعدين عن المنصة، بينما مشى داريل كروملي عبر ممر المحكمة ويده بضع أوراق؛ وبصوته العالي قال: "عذراً على مقاطعتي لنقاشكم حضرة القاضي، لكنني أود تسليم صحيفة التبليغ هذه في محاكمة المدعى عليهما. وهذه نسخة من الدعوى التي رفعتها نيابةً عن موكلي رامون تاير".
قال سارانو: "ما الذي تفعله بحق الجحيم؟".

أجاب كروملي وهو يستمتع بكونه موضع الاهتمام: "إني أقاضي موكلتك".
تناول مارك وتود نسختيهما من صحيفة الاستدعاء في طريق عودتهما إلى طاولة الدفاع.

بدا على القاضي أبوت الجدل. وقف رجل آخر في الصف الأول ويده مجموعة من الأوراق رافعاً صوته يعلن: "فلنقل حضرة القاضي إنني أريد أن أتقدم بدعوى ضد هذين الرجلين أيضاً. نيابةً عن مالك البناء الذي كانا يقطنان فيه، إذ إن المدعى عليهما قد تهرّباً من دفع ما يتوجب عليهما في شهر كانون الثاني".
تقدّم سارانو لتناول الأوراق منه. جلس على المقعد في الصف الرابع، رجل آخر همّ بالوقوف وهو يقول: "ولنقل أيها القاضي إنني كلّفت ذاك الرجل مارك أبشو في قضية قيادة ابني تحت تأثير الكحول، ودفعت له مبلغ ألف دولار نقداً وهو أهمل الدعوى. ولا تزال المذكرة بحق ابني الذي قد يُعتقل، لكنني أرغب باسترجاع ما دفعته".

نظر مارك إلى الرجل الذي كان مألوف السحنة. رامون تاير تقدم يقول بصوت جهير: "تولّى هذان الشابان دعواي وأخفقا إخفاقاً ذريعاً فيها أيها القاضي؛ وأرى أن مكاتهما خلف القضبان".

اقترب حاجب المحكمة بزّيه الرسمي من الحاجز ليمنع رامون من التقدم أكثر. طرق القاضي بمطرقته وقال: "الرجاء الالتزام بالنظام".

رنا سارانو إلى موكلية قائلاً: "فلنخرج من هنا الآن". فأسرعوا بخطاهم حول المنصة ليخرجوا من باب جانبي.

بعد أربعة أشهر من حصول مارك وتود على رخصتي القيادة المزورتين وانطلاق مغامرتهما المشؤومة في الحمامة عادا إلى ورشة بييسدا، إلى المزور عينه، ليحصلوا على جوازي سفر مزيفين. وهي جريمة أخرى يرتكبها، صاحب هذه الورشة يقوم بالترويج لعمله على الإنترنت، ويؤكد دوماً على براعته في تزوير جوازات السفر التي يبيعها وكيف أنها تخدع أي ضابط هجرة في العالم. أوشك تود أن يسأله كيف يضمن ما يقوله. هل سيصدقان أنه قد يفتح المطار وسيتفاوض والضباط؟ لا. يعلم مارك وتود أنهما إن تم القبض عليهما، فهذا الرجل لن يجيب على هاتفه البتة.

بعد التموذج لالتقاط الصور الشخصية والتوقيع باسمي مارك أبشو وتود لاين على صفحات جواز السفر؛ جلسا بالقرب منه مدة ساعة كاملة وهو يقصّ الأجزاء بعناية ويلصق أخرى معاً، كلٌّ في مكانه، ويضع الختم عليها كدليل على أسفارهما المتكررة. استخدم أحد الأغلفة الشائعة لجواز السفر وألصق على الجهة الخلفية لها بعض الملصقات الأمنية.

دفع له ألف دولار نقداً وقال لهما مودعاً: "رحلة ميمونة أيها الشبان".

قبل حفلة التخرج، أقام بعض الأصدقاء سهرة في إحدى حانات جورجتاون. أرسل ويلسون فيذرستون رسالة نصية يدعو فيها مارك، الذي لم يجد، لا هو ولا تود شيئاً أفضل لفعله ليل الجمعة، فأتجها إلى السهرة ووصلا متأخرين وانضما إلى ستة من أصدقائهم حول كمية كبيرة من الكحول. غداً، سيتم تنفيذ المراسم المعتادة للاحتفال بتخرّج الدفعة الأخيرة وسط الحضور القليل المعتاد. لن يحضر الحفل من شلّة أصدقائهم إلا اثنان سيذهبان لاستلام الشهادة عديمة النفع، وسبب ذهابهما الوحيد هو إصرار والدتيهما على ذهابهما.

هكذا قضيا ليلهما، يشربان مع أصدقائهما الذين تعجبوا للغاية ممّا فعله
مارك وتود خلال الأشهر الأربعة الماضية، واستعرض الشبان المحاكمان بفخر
أعمال أبشو، باركر ولاين ليقوم جميع من حول الطاولة بالضحك وأخذوا
يتحدثان عن كل ما قاما به.

السّرّ قد أذيع للعلن الآن، وهما الآن بطلان أسطوريان في فوجي بوتوم.
وواقع أنّهما الآن قد يدخلان السجن بسبب ما فعلاه أضفى مزيداً من التشويق
والحماس على قصتهما. وعندما سألوهما عن خططهما القادمة صرّح مارك وتود
عن نيتهما بفتح فرع جديد لشركة أبسو باركر ولاين في بالتيمور. من يحتاج
لترخيص حقيقي لمزاولة المهنة؟ وفي غضون وقت قصير، سيتمكنان من الكشف
عن حيلتهما الكبرى.

سنة من مجموعة أصدقائهما الثمانية سيقدّمون لامتحان القبول بعد شهرين.
ثلاثة منهم حصلوا على وظيفة بالفعل، علماً أنّ اثنين منهما وظيفتهما غير ربحية،
والثالث سيعمل لدى شركة محاماة، والنجاح في امتحان القبول شرطٌ لعمله
هناك. على ظهر كلّ منهم تكلدس الديون الكبيرة، والفضل في كل ذلك يعود
إلى كلية الحقوق المخادعة التي يديرها هيندز راكلي.

وفي كل هذا كان لحضور جوردي ظلّ كثيف، وإن لم يأتِ أحد على
ذكره.

بعد القيام بعملية قرعة وذلك باستخدام عملة معدنية وقع الاختيار على تود ليستقلّ سيارة أجرة متجهاً إلى ديولس صباح الأحد. ودفع 740 دولاراً من أجل القيام برحلة ذهاب وإياب إلى باربادوس عبر خطوط طيران دلتا. لم يواجه أي مشاكل بجواز سفره المزور في الشركة أو في نقاط الأمن؛ استغرقت الرحلة ثلاث ساعات إلى ميامي، وكاد أن يتأخر عن موعد إقلاع طائرته التالية إلى الجنوب. وصل ليلاً إلى بريدجتاون، العاصمة، واستقل سيارة أجرة منطلقاً ليحجز غرفة صغيرة في فندق قريب من الشاطئ حيث استمع إلى الموسيقى وهو يخلع حذاءه ويشمّر سرواله ويمشي فوق الرمل الدافئ لتقوده قدماه إلى حفل في أحد المنتجعات القريبة. وبعد قضاء ساعة في الحفل، كان تود يغازل امرأة خمسينية جذابة من هيوستن، تركت زوجها مغمىً عليه في إحدى الأراجيح القريبة. أعجب تود بما رآه من المكان لغاية الآن.

أما مارك فاستقل قطاراً من محطة يونيون مغادراً العاصمة إلى الأبد. وصل إلى نيويورك عند الخامسة ظهراً واتجه للحاق بقطار الأنفاق الذهاب إلى بروكلين ليجد شقته على الوضع الذي تركها عليه يوم الخميس.

زولا قضت يوم سبت أكثر انشغالاً؛ فعند منتصف الصباح وصل إلى الفندق رجل شرطة يرتدي معطفاً وربطة عنق بصحبة عنصرين في زيّ مدني، وقفوا في الردهة، بينما رافق الشرطي زولا إلى غرفتها في الطابق الرابع. وبوجود فانتا للترجمة، ناولت زولا الشرطي مغلفاً سميكاً مملوءاً بالفرنكات، ما يعادل ستة وعشرين ألف دولار أمريكي. عدّ المال بترواً وبدأ عليه الرضا على الصفقة. سحب أوراقه من أحد جيوب المعطف وسحب مغلفاً آخر من جيب آخر قائلاً: "إليك ما تستحقينه من المال".

سألت بدهشة: "أي مال هو هذا؟".

"المال من خزانة الفندق. حوالي ستة آلاف دولار أمريكي مسجلة في مستندات الفندق".

فكرت في نفسها؛ إنه ميثاق الشرف بين اللصوص، لكنها لم تستطع أن تتفوه بأي كلمة. تناولت منه المغلف وهي تمدّ يدها حاملةً المغلف خاصتها؛ تناوله ودسّه في جيبه وخرج وهو يقول: "سأعود في غضون ساعة".

تماماً بعد ساعة توقفت سيارة شرطة ليخرج عبدو وبو من باهما الخلفي بدون أي أصفاد، وجابا في الردهة كسائحين. شهقا عندما رأيا زولا وفانتا واجتمعت العائلة كلها تبكي. ذهبوا إلى أحد المقاهي وجلسوا لتناول وجبة مكونة من البيض والفطائر الصغيرة.

وجدتم سانغا يجلسون هناك ووجهت كلاً منهم إلى عمله. سارعوا عندها إلى توضيب حقائبهم واستعدّوا للانطلاق. سوّت زولا حسابها في مكتب الاستقبال بينما أرسلت سانغا في طلب سيارتي أجرة.

عجلوا في الخروج من الفندق، واتجهوا في طريقهم دون أن ينظروا مرة إلى الخلف. مضت خمس وأربعون دقيقة قبل أن يتوقفوا أمام مجموعة من الأنبيّة الشاهقة الحديثة. كانت سانغا تشغل هاتفها بوصول أحد الموظفين إلى الردهة ليقابلهم في ردهة المبنى الأعلى.

كانت شقتهم المؤقتة في الطابق السابع. كان أثاثها قليلاً، ولكن من يهتم بذلك؟ بعد أربعة أشهر في مركز الحجز وأسبوع في السجن في دكار، رأى عبدو المكان قلعة. عائلته مجتمعة مع بعضها، حرة وآمنة.

رددت سانغا التعليمات. كانت الشقة مؤجرة لمدة تسعين يوماً. بدءاً من يوم الاثنين، ستبدأ مهمة تأمين الوثائق. وسيستعيدون جنسيتهم السنغالية خلال فترة قصيرة، فجميعهم ولدوا هناك وسيتم تجنيس زولا. استناداً إلى التقارير من شركائها القانونيين، لم تكن في عجلة من أمرها للعودة إلى الولايات المتحدة.

اليوم الثاني على التوالي استيقظ تود وهو يعاني من الصداع ومن جفاف في الفم. استجمع قواه نوعاً ما بكوب قهوة مكثفة شربها عند المسبح، وبحلول الظهر كان على استعداد للذهاب إلى التسوق. استقل سيارة أجرة إلى منشأة جديدة عند الضفة الشمالية لبردجتاون، فوضى مترامية الأطراف من الشقق مسبقة الصنع والتي كانت أكثر جاذبية على الموقع الإلكتروني مما هي عليه على أرض الواقع.

أياً يكن الأمر، التقى وكيلاً أدخله شقتين متاحيتين للبيع أو للإيجار. اختار أصغر الأثنتين وبعد المساومة على العربون، وقّع عقد شرائها وسلم شيكاً من شركة لوسيرو وفرايزر بقيمة خمسة آلاف دولار. شيكاً من شأنه أن يُسحب على طول الطريق إلى بروكلين. مع ضمان وجود العقد في يده، عاد إلى الفندق الذي ينزل فيه.

في وقت متأخر من ظهيرة يوم الأحد، تم استدعاء باري سترايان إلى قصر هندز راكلي في الجادة الخامسة. فتحوا زجاجة نبيذ وجلسوا على الشرفة في الشمس وستترال بارك أمامهم. دوغ بروم وفريقه تعقبوا مارك وتود وكانوا مشغولين في ربط الأحداث ببعضها. التقارير الإخبارية عن انتحار جوردي قادتهم إلى كلية الحقوق فوغي بوتوم، حيث جلس أحد المحققين في اليوم السابق خلال اجتماع الخدمة الكتيب. مع عدد من خريجي البرنامج، كانت بعض الأعمال الهاتفية البسيطة كفيلة بإنتاج أسماء مثل فرايزر ولوسيرو، وهما طالبان من طلاب السنة الثالثة، اللذين كانا مقرين من المتوفى وانسجبا سابقاً في كانون الثاني. قال طالب زميل لهما متطوعاً إنهما اعتقلا لممارستها المحاماة من دون ترخيص. مقال موجز نُشر في جريدة البارحة شرح بالتفصيل ظهورهما الأخير في المحكمة يوم الجمعة. لم يكن راكلي وحده من يبحث عنهما، يبدو أنهما كانا يتركان جمعاً من العملاء الساخطين والناس الذين يريدون مقاضاتهم. كانت صفحتها على فيسبوك قد أغلقتنا منذ شهرين، ولكن مخترقاً موظفاً من قبل بروم تمكن من استعادة بعض الصور. لم يكن هناك شك في أن فرايزر ولوسيرو كانا

الشايين المتكبرين كصحفيين في اللقاء مع راكلي وسترايان منذ خمسة أيام في بروكلين.

تمعن راكلي بمجموعة من الصور وقارنها بصور سجلات من رخصة القيادة المزورة. ألقى بها على الطاولة وسأل: "حسناً، ما هي لعبتهم؟".

أجاب سترايان: قبل شهرين ونصف الشهر انضم مارك فرايزر إلى الدعوى الجماعية في ميامي كزبون متضرر من قبل بنك سوفيت".

"صفقة كبيرة. كي يحصل على بضعة دولارات من التسوية. لا بد من وجود المزيد من هذه القصة".

"تود لوسيرو انضم للدعوى القضائية في نيويورك، وصادقتهم زولا انضمت للدعوى في العاصمة. أنا غير واثق مما كانا يفعلانه، لكن من المحتمل أنهما رغبا بالتحقق من انطلاء خدعتهما بنجاح".

"لا بد من أن يكون في القصة أكثر من ذلك. من غير المعقول أن يتكبدا العناء ذاك كله مقابل مكاسب متواضعة كذلك. ما هي المعلومات المتوفرة لدينا عن شركة كوهين - كاتلر؟".

"هي إحدى ست شركات قانونية؛ تحول إليها 220 ألف دعوى من مجموعة من الشركات القانونية الصغرى؛ يمكن إيجاد الدعاوى عبر الإنترنت عن طريق خدمات متابعة القضايا، ولكن ليست كل الدعاوى موجودة في تلك الخدمة وكما يمكنك أن تتوقع، بوجود عدد كبير؛ 220 ألف قضية وبانتهاؤ الصفقة بسرعة أصبحت الأمور فوضوية للغاية. وكوهين - كاتلر غير ملزمة بتقديم لائحة بأسماء الشركات التي حولت دعاويها إليها. لكن بروم لا يزال يبحث في ذلك".

"كيف يمكننا الدخول إلى كوهين - كاتلر؟".

"لا يمكننا ذلك. فالملفات في غاية السرية. إنما يمكن للأف بي أي أن يوجه بعض الأسئلة".

"لا أحبذ فكرة وجود محققهم حولنا".

"ذلك مفهوم بالطبع. لكن هناك طرقاً أخرى لرشوتهم".

"جد إحدى تلك الطرق ونفذها. متى يحول المال؟".

"هذا الأسبوع، بانتهاء التسوية وقرار المحكمة".

"باري، إني أجلس مسجوناً في صندوق هنا ولا يعجبني سجن. أريد إبرام التسوية وبسرعة، وأن يغلق المصرف المشكلة السوداء هذه إلى الأبد. وفي الوقت نفسه، فأنا لا أحتمل فكرة أن أذهب بهذا الشكل".

أعلم مثلما تعلم أنت والجميع أننا لا يمكننا الوثوق بمحامي قضايا الحق العام هؤلاء، وبوجود ملايين الدعاوى المحتملة فسيكون هناك احتمال كبير لوجود احتيال".

صباح يوم الاثنين ارتدى تود أفضل ثيابه، واستقل سيارة أجرة إلى سكند رويال بنك في مجموعة جزر الأنتيل في شارع سنتر من مقاطعة بريدجتاون. كان موعد الساعة العاشرة صباحاً مع السيد رودولف ريتشارد، وهو مختص بالتعامل مع العملاء الأجانب.

دار حديث تود عن تجربته وشركائه في أرض الوطن، وقتاهم في الدعاوى، وكيف أنه في سنه اليافع كان يقدم المال وينتقل للسكن على شواطئ البحر الكاريبي. وعن إغلاقه لشركته القانونية ورغبته بقضاء السنوات القادمة في عمله من مكان استراحته قرب المسبح المطل على المحيط. سلّمه جواز سفره المزور وعقد المنزل الذي سيستقر فيه، ذلك المكان الذي لن يراه مرة أخرى ورسالة التوصية خاصته من مدير المصرف في المدينة في بروكلين. طلب السيد ريتشارد مبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي ليفتح له حساباً؛ وذلك مبلغ لا يملك تود منه بنساً. فموعد الدفع ليس قبل أسبوعٍ آخر، وهو ما لم يستطع السيد ريتشارد فهمه، وأفضل ما قدمه هو مبلغ ألفاً دولار نقداً. وإن لم يكن ذلك كافياً فيمكن لتود أن يتجول في الشارع بحثاً عن واحد من مئات المصارف الأخرى التي تبحث عن عمل.

قضى تود ساعةً وابتسامته تصبح أكثر عرضاً وحبل كذبه أكثر طولاً، وهو يتملق قبل أن يتمكن من إقناعه بفتح الحساب.

خرج من المصرف واتجه إلى أحد المقاهي الفارغة القريبة حيث جلس ليراسل شريكه مبشراً إياهما بالأخبار السعيدة بانتشار عملهم في الباربادوس. بالعودة إلى أخبار الوطن، كان مارك يوجه ضرباته إلى جيني فالديز وشركة كوهين- كاتلر. تسوية سويفت أبرمت وتمت الموافقة عليها على جميع المستويات؛ حسناً أين المال اللعين؟ هي لم تكن تعلم، فالأمور هذه تأخذ وقتاً لتحدث كما حاولت أن تشرح له وهما ينتظران تحويل المال. لم يصل المال يوم الاثنين، وجمال مارك طرق بروكلين جيئةً وذهاباً وفوقه السماء متكدره وهو يححو من مخيلته صورة شريكه وهو يتمدد تحت أشعة الشمس. وزاد الوضع سوءاً إرسال تود لصور الفتيات الحسنات المارّات أمامه في لباس البحر الكاشف.

في وقتٍ متأخر من ظهر يوم الثلاثاء دخل عميلان من الأف بي آي مكاتب كوهين- كاتلر في مدينة ميامي واقتادا مباشرةً إلى مكتب إيان مايونذر مديرة الشركة وإحدى الشركاء فيها.

استلم العميل الخاص واين دفعة الحديث وأتسم الكلام بمجمله بالحدة والشدة. فكان العملاء بحاجة للوصول إلى المعلومات السرية.

سأل واين: "ما عدد شركات المحاماة التي تحول الدعاوى إليكم؟".

أجابت مايونذر بلسان لا يخلو من الدهشة: "الكثير منها يحيل الدعاوى إلينا وهذا كل ما سأقوم بالإفصاح عنه".

"نحن بحاجة إلى الحصول على قائمة بأسماء هذه الشركات".

"بالطبع، كل ما عليك أن تريني إياه أمر المحكمة واللائحة التي لديك. أنت تقوم بطلب معلومات غاية في السرية، سيدي المحترم، من دون أن تدعم طلبك بمذكرة من المحكمة فأنا لا أستطيع أن أخدمك بشيء".

"حسناً، تراودنا الشكوك بوجود عملية احتيال".

"أنا لا أنفي مثل هذا الأمر. مع احترامي لمعلوماتك فاحتمال حدوث عملية احتيال في تسويات كبرى كهذه مرتفع. لقد تعرضنا لموقف مشابه مسبقاً

وسنفعل ما بوسعنا لمنع تكرار حدوثه. لكننا نتعامل مع مذكرات بحق أكثر من 200.000 من الأشخاص التابعين لمجموعة من الشركات. ولا يمكننا التحقق من الجميع".

"متى ستقومون بدفع المال؟".

"إن طاقم العمل المسؤول عن الدفع يعمل على مدار الساعة. الدفعة الأولى وصلتنا من سويقت ظهر اليوم. وسنبداً بالتحويل بدءاً من صباح الغد. وكما يمكنك أن تتوقع، عندما يكون المبلغ هائلاً فستكون هواتفنا مشغولة جداً. وتقتضي تعليمات المحكمة بأن نقوم بالتحويل بأسرع ما يمكن".

"هل يمكن أن تؤجلي العمل ليوم أو يومين؟".

"لا". أجابت مايويذر بغضب وأكملت: "نحن نعمل بموجب أمر من المحكمة بأن ننهي عملية التحويل بالسرعة القصوى. ومما فهمته سيدي، فإن تحقيق الأف بي أي لا يزال في بدايته، وأنتما تقومان هنا بتقصي الأخبار لا أكثر. عندما تحضران مذكرات من المحكمة فنحن سنستجيب لجميع طلباتكما". عليك أن لا تعترض أبداً سبيل محام وماله الذي يجنبه من إحدى التسويات. علم الأف بي أي أن ما ستناله شركة كوهين - كاتلر يصل إلى ثمانين مليون دولار أمريكي.

وقف واين مصرحاً: "حسناً، سنعود مع أمرٍ من المحكمة". ثم غادر وزميله مكتب مايويذر دون أن ينبسأ بكلمة أخرى.

في الساعة 9:40 من صباح يوم الأربعاء وصلت رسالة إلى بريد مارك الإلكتروني من شركة كوهين- كاتلر يعلمونه فيه بتحويل أكثر من 4 ملايين دولار أمريكي إلى حساب شركة لوسيرو وفرايزر في سيتي بنك. تغطي الملايين الأربعة الأضرار المقدرة بـ 3800 دولاراً عن كل موكل لديهم والبالغ عددهم 1311 موكلاً؛ اقتطع منها 8 بالمئة من الشركة ليصبح المبلغ كاملاً 4.583.256 دولاراً.

سارع مارك في طريقه إلى سيتي بنك وانتظر في مكتب مديرة الحسابات المفضلة لديه. انتظر ساعةً طويلةً مؤلمة، انتظر لست وخمسين دقيقةً على وجه الدقة، جال في المكتب هائماً لا يستطيع أن يجلس ولا أن يفكر فيما سيفعله كما اعتاد أن يفعل سابقاً في إجراءات التسوية. كانت مديرة الحساب متوترة بدورها في هذه الظروف، لكن توجب عليها أن تقضي أطول مدة ممكنة مع مارك كونها معجبة بهذا المحامي الشاب. مرّت الدقائق ثقيلة قبل أن يطلب مارك منها أن تجهز له ستة شيكات مصدّقة، ثلاثة تخص خدمات القرض لرصيد كل من تود لوسيرو، زولا مال ومارك فرايزر. بمبلغ إجمالي قدره 652 ألف دولار. الشيك الرابع باسم السيد جوزيف تانر، والد جوردي، بمبلغ وقدره 276 ألف دولار. والخامس بمبلغ مئة ألف دولار باسم والدة مارك. وبالمبلغ ذاته يحضر الشيك السادس لوالدي تود. جهزت الشيكات الستة لكن لم تصرف بعد.

وصل التحويل بتمام الساعة 11:01، وقام مارك بالتوقيع فوراً للتصريح عن تحويل 3.4 مليون دولار من المبلغ إلى حساب يورك أند أورنج ترايدرز لدى سكند رويال بنك في جزر الأنتيل في الباربادوس. تاركاً القليل من الدولارات في حساب الشركة لا غير، تناول الشيكات الست وشكر مديرة الحساب بامتنان

كبير قبل أن يخرج إلى نهار بروكلين الشمس وهو الآن رجل ثريّ، أكثر ثراءً مما تخيل يوماً أن يصبح. وأثناء تجواله اتصل بتود وزولا لينقل إليهما الأخبار السعيدة.

ثم وصل إلى مكتب فدكس في جادة أتلانتيك، وطلب ستة مغلفات، وكتب على ورقة صفراء رسمية يخاطب والد جودي التالي:

عزيزي السيد تانر: يرفق مع هذه الملاحظة شيك بقيمة 276 ألف دولار. هذا المبلغ كفيلاً بتغطية قرض جودي التعليمي.

مع خالص احترامي، مارك فرايزر.

لم تنته المعاملة عند هذا الحد. بل هو الآن أمام مشاكل دفع الضرائب وحتى الدخل؛ لكنها الآن مشاكل تعني السيد تانر. ولن يشغل مارك باله بالتفكير بها بعد الآن. طوى الورقة الصفراء ووضع الشيك في طياقتها قبل أن يضعها في المغلف.

وأرسل إلى السيد تانر في مارتينزبيرغ، ووكلاء القروض الثلاثة: مورغانا ناش في شركة نيو أسيسست في نيوجرسي، ريكس واغنر الذي يعمل لدى سكولار سبورت (شركاء دعم التعليم) في فيلادلفيا، وتيلدي كارفر في لون آيد في تشيفي تشايس. استغرقت الأعمال المكتبية نصف ساعة تمكن مارك خلالها من تهدئة أعصابه والسيطرة على شعوره بالارتياح. ذكر نفسه بالشهور التي قضها فاراً، ومن غير الجيد أبداً أن يبدو عليه التوتر الآن. ومع ذلك فإن وصول المال زاد في عصبيته. ناول المغلفات الستة إلى الموظف ودفع الرسوم نقداً وخرج من المكتب ليخبر تود وزولا بخير اكتمال الدفع لقرضيهما التعليميين. بعد عودته إلى غرفته في الفندق اتصل بجيني فالديز التي تعمل في كوهين- كاتلر، واستخبر عن عملية التحويل لأجور المحامين. فقد استحق كل من لوسيرو وفرايزر مبلغاً إضافياً قدره 800,048,1 دولار، أي ما يعادل 800 دولار عن كل عميل حوّلناه، فأشارت الأنسة فالديز أن المبلغ يجب أن يدفع بحلول الغد.

أرسل مارك الرسالة التالية لوكيلة قرضه:

مورغانا ناش العزيزة: أنا واثق من أنك على اطلاع بوضعي القانوني الحالي الشائك في هذه المقاطعة. لا تشعرني بالقلق. توفي عمّ ثري مؤخراً وأورثني شيئاً من أمواله، وأرسلت حوالةً ستصل غداً بمبلغ 266 ألف دولار إلى نيو أسبيست لتغطية النفقات كاملةً.

سررت بالتعامل معكم. مارك فرايزر.

من باربادوس كتب تود:

عزيزي المستشار ريكس واغنز: لقد عملت بنصيحتك وبدأت العمل بوظيفة. ويا لها من وظيفة يا سيدي. أنا أجنبي كثيراً من الأموال في هذه الأيام أكثر مما أستطيع إنفاقه. يمكنني الآن شراء ما أرغب به، لكن ما أريده أولاً هو راحة ضميري بخصوص عملنا هذا. سيصلك غداً عبر خدمة فدكس شيكاً بمبلغ 195 ألف دولار. فلتنذهب وتنقل كاهل شخصي آخر. صديقك، تود لوسيرو.

ومن دكار كتبت زولا إلى تيلدي كارفر:

لقد رجحت اليانصيب مؤخراً، ولذلك أرسلت لك شيكاً بقيمة 191 ألف دولار ومن المتوقع أن يصلك غداً. أفضل أمنيائي، زولا مال.

قضى تود فترة بعد الظهر بالتسكع حول مكتب السيد ريتشارد في سكند رويال بنك في أرخبيل الأنثيل.

عندما تم تحويل الأموال عند الساعة 4:15 شكر تود السيد ريتشارد وخرج من مكتبه ليتصل بشريكه.

بعد عشر دقائق داهم فريق من مكتب الأف بي أي مكاتب كوهين - كاتلر في ميامي ليجدوا إيان مايوينر وحوّلها فريق المحامين في غرفة الاجتماعات الكبرى. سلمها العميل الخاص واين مذكرة بحث دفقت فيها مايوينر بعناية. ثم ناولتها إلى رئيس محامي الجنائيات في الشركة الذي قرأها كلمةً كلمة. قبلت مايوينر أنه ما من حل آخر. وأشارت لأحد الزملاء بتسليمهم قائمة بالشركات

القانونية التي أحالت 220 ألف موكل إليهم. دقق واين في القائمة ليجد ما يبحث عنه بالضبط وليسأل: "شركة المحاماة هذه في نيويورك المسماة لوسيرو وفرايزر ممن يحيل إليكم القضايا، ما المعلومات التي تمتلكونها عنها؟" نظرت مايويزر إلى النسخة التي بيدها بأسماء الشركات القانونية مجيبة: "أرسلوا 1300 موكل".

"هل سبق لك التعامل معها".
"لا، لكن هذا ينطبق تقريباً على جميع الشركات الأخرى؛ هناك ست دعاوى حق عام ضد سويقت، وهذه الشركة قامت باختيارنا لا غير".
"وأنتم، ألا تقومون بالتحقق من شرعية هذه الشركات؟".
"ليس من واجبنا أن نفعل ذلك. نحن نفترض أن الشركات القانونية مرخص لها ولعملائهما. هل لديك معلومات أخرى حول هذه الشركة؟".
تفادى واين السؤال موجهاً سؤالاً آخر:
"نودّ أن نرى أسماء الموكلين الـ 1300 الذين أحالتهم شركة لوسيرو وفرايزر".

"تم تحميلهم على الإنترنت في ملف القضية بالإضافة إلى غيرها، أظن أنه من الصعب التحقيق في كل منها لتحديد مصدرها".
"نحن بحاجة للاطلاع على أسماء موكلي لوسيرو وفرايزر".
"بالطبع، لكن أمر المحكمة الذي معك لا يذكر تصريحاً بالوصول لتلك المعلومات".

وجه العملاء الفدراليون نظراتهم الثابتة إلى المحامين عبر الغرفة وبأداهم المحامون النظرات بثبات.

فهذا كان اختصاصهم وملعبهم، وكانوا غير مسرورين بالتدخل الحكومي في عملهم. كان العملاء يتدخلون لكنهم لا يكثرثون لصورتهم تلك؛ فعملهم يقتضي التقصي والتحقيق، والدنيا كلها ملعبهم في ذلك.
حدقت المجموعتان إحداهما إلى الأخرى كعصابتين تنتظران من سيرف جفنه أولاً.

قام أحد العملاء بتسليم ملف للعميل الخاص واين الذي صرّح: "إليكم مذكرة بحث أخرى موقعة من القاضي. تقول إنه من المصرح لنا أن نحقق بكل ما يخص تود لوسيرو ومارك فرايزر، وهما شابان لا يحق لهما ممارسة المحاماة أصلاً".

"أنت تمزح أليس كذلك؟". قالت مايويذر وهي تحديق بتعجب.
سألها واين: "هل يبدو علينا أننا نمزح؟ عندنا ما يجعلنا نشكك بأن هذين المحامين قاما بالتقدم بعدة ادعاءات".
قرأت مايويذر المذكرة ثم رمتها على الطاولة. هزت كتفيها في يأس قائلة: "هكذا إذن".

حاول مارك أن يجبر نفسه على تناول ساندويتش بالرغم من شهيته المنعدمة. وكانت تتابه مشاعر مختلطة تكاد أن تكون متضاربة. فمن جهة أراد أن يستمتع بالمال لكنه علم، من جهة أخرى، أنه آن أوان الفرار بعيداً. أشعرته الحيلة الرائعة التي نفذوها بحق راكلي، الشيطان الأكبر كما اعتاد جوردي أن يدعوه، بالرضا التام؛ فهم سرقوا المال من النصاب، ومع شعوره العارم باللذة رافقه إحساس بالارتباب من أن يُقبض عليه.

افترش تود رمال البحر وفي يده مشروب بارد وناظراه مركزان على غروب كاريسي جميلٍ آخر. هو الآن بأمان، على الأقل في هذا الوقت، فكّر في مستقبله مبتسماً وهو يفكر فيما قد يفعله بحصته من النقود. لكن صفوا أفكاره تعكر حين خطر في باله وضع والديه والإحراج الذي سيوضعان فيه عندما لن يتمكن من أن يزور العاصمة مجدداً.

العودة؟ هل سيتمكن يوماً من زيارة العاصمة ثانية؟ هل هذه الخدعة تستحق غيابه عن مدينته؟ حاول أن يطمئن نفسه باعترافه أنهم قاموا بتنفيذ الجريمة المثالية.

حياة زولا مع عائلتها كانت ممتعة في دكار. جلسوا حول طاولة الطعام في مقهى في الهواء الطلق، متغافلين عن همومهم التي تحيق بهم.

لم يعلم أي من الشركاء الثلاثة أن عشراتٍ من العملاء الفدراليين يبحثون في سجلات الهواتف ليجدوا أن جميع عملاء الشركة في سويفت هم مجرد أسماء وهمية لا غير.

لاحقاً، وبعد مغيب الشمس، اتصل تود بمارك للمرة الرابعة في ذلك اليوم وحده. عبّر في أول اتصاليين له عن فرحه وغبطته بإنجازهم. أما المكالمة الثالثة فقد انتزعت الواقعية غبطنها وحقتتها بالقلق والارتباب.

قال تود بصراحة: "برأيي عليك المغادرة الآن يا مارك".
سأله مارك: "لماذا؟".

"أصبح لدينا ما يكفي من المال يا صديقي. وهناك ما لم نعلم بجدوثة من أخطاء ومخالفات قمنا بارتكابها. اخرج من البلاد الآن؛ يتم تحويل أتعاب المحامين غداً ويعلم المصرف أين عليه تحويل الأموال. أود حقاً أن أرتاح بمعرفتي أنك على متن طائرةٍ تتجه إلى مكان آمن".

"أنت غالباً محقّ. هل واجهت أي مشاكل بجواز سفرك المزور الجديد؟".
"كما قلت لك سابقاً، ليس هناك من مشاكل البتة. بل يبدو أكثر حقيقية من جواز سفري الحقيقي الذي لم أستعمله بال تكرار نفسه. لقد دفعنا ألف دولار مقابل كل جواز سفر إن كنت قد نسيت".
"كيف لي أن أنسى ذلك؟".

"اشترت تذكرة سفر وغادر البلاد فوراً".
"أنا أفكر ملياً بالموضوع وسأعلمك بما سأقدم عليه".

وضب مارك حاسوبه الشخصي وبعض الملفات في حقيبة قديمة اقتناها من أيام عمله كمحام، ووضب حقيبة صغيرة أخرى احتوت بعض الملابس وفرشاة أسنان. الغرفة كانت خراباً من حوله وكان قد سئم منها. قبل انقضاء الليالي التسع لم يعتقد أن هناك من داعٍ لأن يؤكد خروجه في مكتب الاستقبال في الفندق فالحجز لا ينتهي قبل يومين آخرين. خرج من هناك تاركاً بعض ملابسه وملابس تود المتسخة، وكدسات من الأوراق التي لا نفع منها، وبعض المجلات

والطابعة المستأجرة التي أزال منها بطاقة الذاكرة.

اجتاز بضع مبانٍ قبل أن يستقل سيارة أجرة متجهاً إلى مطار جون كينيدي حيث كلفته تذكرة ذهاب وإياب إلى بريدجتاون 650 دولاراً. كان عنصر دائرة الهجرة والجوازات نصف نائم عندما نظر إلى جواز سفره وأوراقه الثبوتية. أقلعت الطائرة عند الساعة 10:10 وحطت في ميامي عند الساعة 1:05 بعد منتصف الليل. وجد مارك مقعداً قرب إحدى البوابات وحاول أن ينام عليه في تلك الليلة الطويلة.

على بعد ثلاثة أميال لا أكثر، كان العميل الخاص واين مع بعض العملاء الآخرين يفتحون مكاتب كوهين - كاتلر حيث تنتظرهم مايويذر وأحد الشركاء. أما الآن فإن تعاون الشركة مع مكتب التحقيقات أصبح إلزامياً أمثالاً لمذكرات المحكمة، قد أزال شيئاً من المسؤولية عن كاهلهم وهو ما خفف بدوره من توتر الجو بين المحامين وعملاء المكتب. أدخلت إحدى السكرتيرات فناجين القهوة ووضعتها على الطاولة الصغيرة التي اجتمعوا حولها.

كسر واين الصمت قائلاً:

"حسناً، كانت ليلةً طويلةً قضيناها بالبحث في قائمة الشركات القانونية، وأجرينا الاتصالات المطلوبة، وقمنا بمقارنة الأسماء مع السجلات من بنك سويفت بجوزتنا. وعلى ما يبدو لا وجود للموكلين الـ 1300. وقمنا باستصدار مذكرة بتجميد كل التحويلات لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة".

لم تبدُ الدهشة على مايويذر. ففريقها قد عمل طوال الليل وتمكن من الوصول إلى الاستنتاج ذاته. كان بجوزتهم الملف حول فريزر ولوسيرو والتهم التي تواجههما في العاصمة.

قالت مايويذر:

"ستعاون ونلبي كل طلباتكم. لكنكم لن تقوموا بالتحقق من عملائنا الـ 220 ألف أليس كذلك؟"

"لا. أظهر بحثنا أن الشركات القانونية الأخرى مرخص لها. نحتاج إلى قليلٍ

من وقتكم قبل أن نترككم بسلام؛ لكن هذا ليس قبل أن نتأكد من أننا سيطرنا على عملية الاحتيال هذه".

"حسناً. ما خطب لوسيرو وفرايزر؟".

"نحن لا نعلم. يمكن تواجدهما بعد لكن كوني على ثقة من أننا سنجدهما. المال الذي حوّل لهما بالأمس حوّل مباشرة إلى حساب خارجي. نحن نشكّ بأنهما فاران الآن، ويؤسفني القول إن تصرفاتهما ليست حضارية".

"لكن، ألا يعني وجود المال خارج البلاد أنه أصبح خارج نطاق صلاحياتكم؟".

"هذا صحيح، لكن القبض عليهما لا يزال من صلاحياتنا. وبمجرد أن يصبحا في عهدتنا سيكونان تواقين لإبرام صفقة معنا وهكذا سنسترجع المال".
"هذا ممتاز. يؤرقني أمر الصفقة لا غير. لا تزال أموال طائلة على المحك، وأمامي بحر من المحامين يصرخون في وجهي. فأرجوك أن تسرع في القبض عليهما".

"نحن نعمل على ذلك".

في التاسعة، أنهى مارك فنجان القهوة السريعة الثاني وتوجه إلى بوابته متوقفاً في طريقه أمام أحد صناديق البريد ليدخل مغلفاً موجهاً إلى أحد صحفيي واشنطن بوست، وهو صحفي نشيط ذو تحقيقات واسعة كان مارك قد تابع الأسباق الصحفية التي حققها خلال الأسابيع الماضية. ووضع في المغلف إحدى سواقي جوردي.

وقف في الصف أمام البوابة، اتصل بوالدته وأخبرها بوجود قيامه برحلة طويلة مع تود قد ستستغرق أشهراً، ولن يتمكن خلالها من الاتصال بها، لكنه سيقوم بذلك عند أول فرصة سانحة له. وأن الجلبة في العاصمة قد أحيط بها ولا داعٍ للقلق. وعليها أن تنتظر اليوم وصول شيك يتضمن مبلغاً من المال يكون بتصرفها، لكن عليها ألا تنفقه على أجر حمامٍ من أجل لوي. وفي النهاية أخبرها كم يجبها

استقل الطائرة من دون مشاكل تُذكر، وجلس في مقعده قرب النافذة. شغل حاسوبه الشخصي وسجل الدخول إلى بريده الإلكتروني ليجد بريداً من جيني فالديز في كوهين- كاتلر تنذر بأن التحويلات لصالح أتعاب المحامين قد أجلت حتى إشعارٍ آخر لأسباب غير محددة. قرأ الرسالة مرة ثانية قبل أن يغلق حاسوبه.

طبعاً، عليه أن يتوقع حدوث مشاكل كهذه في صفقات كبرى؛ وبالتأكيد لا علاقة لهما بهذه المشاكل. أغمض عينيه، وأسند رأسه إلى المقعد قبل أن يسمع صوت إحدى المضيفات تعلن تأخر الرحلة نظراً لحدوث مشاكل في "التوثيق". كان ركاب الطائرة في معظمهم متجهين في عطلة. بدا بعضهم ثملاً، ولم تخلُ رمقات بعضهم من التحمّم، وآخرون ضحكوا بل هتفوا فرحين.

بدأت الدقائق بطيئة وقلب مارك ينبض أسرع وأسرع، وضغط دمه يزداد ارتفاعاً. تحولت المضيفات يوزعن المشروب المجاني من عربة صغيرة؛ طلب مارك كأساً مضاعفة تجرّعها كاملة على دفعتين، وكاد أن يطلب كأساً أخرى قبل أن يشعر بحركة الطائرة. حينها أرسل رسالة نصية إلى تود بأن الطائرة على وشك الإقلاع. وبمضي بضع دقائق، كان مارك يشاهد أضواء ميامي تبعد عن ناظريه بين السحب.

أول ما فعلته زولا صباح الخميس كان الذهاب إلى مصرف السنغال تلبية منها لإلحاح تود عليها. وتبعاً لتعليمات تود أيضاً رافقتها محاميتها. ولتقاضي بدل أتعاب منها مقابل مساعدتها في تسهيل عملية فتح حساب مصرفي. وصلنا إلى موعدهما مع نائبة المدير وهي سيدة لطيفة لم تتحدث الإنجليزية على الإطلاق. شرحت لها إيدينا بفرنسيتها أن موكلتها أمريكية الجنسية تريد الاستقرار في دكار مع عائلتها. قدمت زولا جواز سفرها، ورخصة القيادة الخاصة بها الصادرة من نيوجيرسي، وصورة عن عقد الشقة. قصتها كانت أن حبيبها الأمريكي الثري للغاية يريد أن يحول لها مبلغاً من المال للمعيشة ولشراء منزل، وأنه يحول العالم ويريد أن يقضي بعض الوقت في السنغال، وأنه من المحتمل جداً أن يفتتح في المستقبل مكتباً له هنا. بدت القصة قابلة للتصديق، واقتنعت بها نائبة المدير. ومن الجيد أن زولا قد وكلت محاميةً ذائعة الصيت. أكدت إيدينا على موضوع التكتّم والسرية اللذين يجب أن يحيطا موضوع فتح الحساب وأن المال سيحوّل غداً. فتح الحساب وأودع به ألف دولار، وقرأت إيدينا الأوراق والمستندات بعناية. وستصل بطاقات المصرف قريباً عبر البريد. لم يحتاج التحويل إلى أكثر من ساعة. وبعودتها إلى الشقة، قامت زولا بإرسال بريد إلكتروني إلى تود تضمن كامل معلومات الحساب المصرفي.

حطت طائرة مارك عند الساعة 1:20، استقبله تود عند البوابة. فعلق مارك قائلاً: "سمرتك رائعة".

أجابه تود: "شكراً لك، لكنني سئمت المكان هنا وأود الابتعاد بسرعة".
"أخبرني بكل شيء".

دخلا إلى إحدى الحانات وطلبا الجعة بعد جلوسهما إلى طاولةٍ في أحد الأركان المنزوية. مسح مارك الجعة عن فمه وهو يقول:
"بدو متيقظاً ومتنبهاً".

"نعم إني كذلك؛ انظر يا مارك مهما أعجبتك فكرة قضاء بعض الوقت على الشاطئ هنا فعليك أن لا تنسى أننا الآن فارّان، فارّان بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. ويمكن للأف بي أي أن يتعقب تحويل المال إلى مصرفنا هنا".
"وهذا ما ناقشناه عشرات المرات سابقاً".

"نعم، وهذا جلّ ما بوسعهم الوصول إليه بما يخص المال. لكن إن لم يجدانا في منازلنا سيبحثان هنا بكل تأكيد. لا فائدة ترجى لنا من تسكعنا حول الجزيرة. فُتح الحساب في دكار هذا الصباح من دون أن تواجهه زولا أي مشاكل. يمكن أن يجدوا صلة تربطنا بآخر عمليات التحويل المعلقة ويمكن أن لا يربطوها بنا، لكن لم هذه المجازفة؟ من غير المستبعد أن يكون الفدراليون وراءنا بخطوة لا غير. دعنا نبتعد أكثر".

ارتشف مارك من كأسه وهزّ رأسه مجيباً: "حسناً. أعتقد أن شمس دكار قد تلفحني أيضاً".

"نعم الشواطئ رائعة هناك، وتضاهي الفنادق هناك تلك التي على شواطئ بريدجتاون. وسيتوفر لدينا وقت كافٍ للاستلقاء قرب المسبح".

احتسب ما في كأسيهما، ومشيا تحت الشمس اللاسعة، فسارعا باستقلال سيارة أجرة متجهين إلى سكند رويال بنك حيث انتظرا لساعة قبل أن يتمكنوا من مقابلة السيد رودولف ريتشارد. عرفه تود إلى مارك على أنه شريكه في يورك أند أورانج، وبررا له رغبتهما بتحويل مبلغ ثلاثة ملايين من حسابهما إلى مصرف في دكار. أثار ذلك فضول السيد ريتشارد لكنه لم يزد من أسئلته كون رغبات زبائنه اعتيادية. سحب من الحساب مبلغ 20 ألف دولار نقداً وغادرا المصرف.

في المطار تحققا من رحلات الطائرات ليجدا أن جميعها ستوقف إما في ميامي أو في مطار جون كينيدي، وهما مكانان عليهما أن يتفاديا المرور فيه.

دفعاً 5200 دولار نقداً لتذكركي ذهاب فقط وغادرا باربادوس عند الساعة 5:10 بعد الظهر متجهين إلى لندن جاتويك، ستستغرق الرحلة إحدى عشرة ساعة. على الطريق، تحقق مارك من بريده ليجد أن مدير حسابه في سيتي بنك في بروكلين يعلمه بعدم إتمام التحويل الثاني.

"يمكننا أن نصرّف اهتمامنا عن المليون دولار تلك بدل أتعاب المحامين".

أخبر تود بذلك.

أجاب تود مازحاً: "في الحقيقة، إننا لم نستحق ذلك المال".

أمضيا ساعتين في شرب الجعة في جاتويك قبل أن يصعدا إلى الطائرة المتجهة إلى الجزائر، التي تبعد ألف ميل من هنا. وتوقف الرحلة سيستمراً ثماني ساعات، سيقضيانها في مطار حار ومزدحم. وبمرور الوقت واجتياز كثير من الأميال اقتنعا أنهما يتجهان لمستقبل أفضل تاركين خلفهم الأيام السيئة تبعد أكثر فأكثر عنهم. ومن هناك استكملت رحلتهم ألفي ميل في خمس ساعات، وحطت طائرتهما في دكار عند الساعة 11:30 ليلاً. وحتى في تلك الساعة المتأخرة من الليل كان المطار يضحّ بالموسيقى الصاخبة وبالباعة الجوالين وبضائعتهم من مجوهرات وجلود وفاكهة طازجة. وعلى أبواب المدخل الرئيسي احتشد الشحاذون حول الواصلين أبيضي البشرة وغيرهما من أصحاب البشرة البيضاء والآسيويين. وبصعوبة تمكنا من إيجاد سيارة أجرة لتتوقف بعد مشوار عشرين دقيقة أمام فندق راديسون بلو حيث حجزت لهما زولا غرفتين تطلان على المسبح باسمها، ودفعت مسبقاً لإقامة أسبوع كامل. وعلى ما يبدو أن لا أحد أكثر لأوراقهما الثبوتية وعمولاً بكل احترام وقوبلاً بكل ترحيب.

كانت تلك رحلتها الأولى إلى أفريقيا، ولم يملك أحدهما فكرة عن مدة بقائهما هنا. ماضيهما كان فوضى كبرى؛ ومستقبلهما مجهول المصير. لذلك، في لحظة من مشوارهما الطويل قررا أن يستمتعا باللحظة ويعيشا الحاضر إلى أقصاه. فالحياة قد تسوء عن هذه الحال. فمثلاً قد يتوجب عليهما أن يدرسا لامتحان رابطة المحامين.

ظهر السبت، والشمس تتوسط السماء، وتصب لظاها على بلاط محيط المسبح والمصطبة، خرج مارك من غرفته ناظراً بشزر إلى ما حوله، فرك عينيه قبل أن يتقدم إلى حافة الماء ويغطس فيها. هذه المياه المالحّة المنعشة. سبح جيئةً وذهاباً على طول المسبح قبل أن يستسلم للتعب، واتجه إلى نهاية المسبح الضحلة وبدأ يسترجع ذكريات أحداث الأسبوع الماضي. في واشنطن حيث تذكر أنه استيقظ بعد ليلة قضاها في شرب الخمر مع زملائه في كلية الحقوق. بعد يوم من ظهورهما في المحكمة مع فيل سارانو، ومواجهتهم للمدعين ومحاميهم الحانقين عليهم. هو اليوم ذاته الذي كان من المفترض أن يتخرج فيه من كلية الحقوق في فوجي بوتوم لتكون تلك انطلاقة إلى العالم.

ربما لم تكن هذه الانطلاقة الكبرى التي تخيلها لكننا تعدّ انطلاقة من نوع ما. انقضت أسابيع تلو أخرى دون أن يحدث أي شيء. أسابيع بطيئة لم تختلف أيامها بعضها عن بعض. منذ أسبوع كانا يلحمان بالمال ومالهم الآن يحفظه مصرف سنغالي بعيداً عن أعين الناس.

ومثل مارك، اعتاد تود أن يسبح في هذا التوقيت وفعلاً خرج من غرفته وقفز في الماء. لم يكثرث للسباحة بل أشار بيده لأحد النُدل ليطلب مشروباً. بعد كأسين من الشراب خرجا من المسبح ليستحما ويرتديا ملابسهما ذاهباً. من الضروري الآن أن يقوموا بالتسوق لشراء الملابس هنا.

وصلت شريكتهما إلى الفندق مرتديّة ما لم يريا مثله قط، فقد كانت زولا ترفل بستان أصفر وأحمر ووضعت وردة كبيرة في شعرها، كانت تبدو إفريقية للغاية. عانقاها وأكملا طريقهما بحذر حتى لا يلفتا الأنظار إليهما. فالمطعم كان نصف مليء بزبائن معظمهم من أصول أوروبية.

جلسا، فسارع تود إلى القول: "تبدين آية في الجمال يا زولا".

قاطعته مارك قائلاً: "هل تقبلين بالزواج بي يا زولا؟".

فقال تود: "توقف يا مارك أنا كنت أهم بطلب يدها".

أجابتهما زولا: "عذراً منكما أيها الشباب فلن أواعد شاباً بيضاً فهم يتسبون بالكثير من المشاكل. فأنا سأجد زوجاً أفريقياً يمكنني أن أسيره وفق أهوائي".

قال مارك: "لقد فعلت ذلك معنا وسرنا وفق أهوائك لثلاثة أعوام".
"نعم، لكنكما تجبان في وجهي وتكذبان عليّ. أريد رجلاً لا يتحدث إلا
إن توجب عليه ولا ينطق إلا بالحقيقة".

قال تود: "أتمنى أن توفقي في مسعاك وتجديده قبل فوات الأوان".
توقفت إحدى النادلات لتأخذ طلباتهم. كأساً جعة للشايين وفنجان من
الشاي لزولا. استفسرا عن أحوال عائلتها. كانوا يعيشون جميعاً بهناء ورخاء.
بعد أن ولّى أول ذعر عند احتمال دخول السجن نحت الأمور نحو الاستقرار. لم
يتواجهوا مع أي شرطي ولم يقعوا في مشاكل مع السلطات. كانت تفكر هي
وبو باستئجار شقة صغيرة قرب منزل والديها؛ لأنهما احتاجا لمكان خاص بهما.
عبدو أيضاً عاد إلى قريته في مقاطعة إسلامية، وبدأ باسترجاع سلطته. لكنه هو
وفاتنا قد سئما الوضع أصلاً كونهما عاطلين عن العمل منذ أربعة أشهر. لكن
بالمجمل كانت حياة الجميع تسير على خير ما يرام. وكانت محاميتهم تعمل على
استعادة حقوقهم كمواطنين وتأمين أوراقهم الثبوتية.

أرادت زولا أن تعرف بتفاصيل ما حدث في الأسبوعين الأخيرين بداية
من اعتقالهما، وفرارهما إلى بروكلين ثم إلى باربادوس. تبادل مارك وتود الأدوار
برواية حكايتهما وقصّاهما بطريقة لا تخلو من الضحك والتسلية. عادت النادلة
حاملة المشروب وأصرت زولا أن يطلبها طبق دجاج ياسا، طبق سنغالي تقليدي
مكون من الدجاج المشوي مع مرق البصل. وبمغادرة النادلة لإحضار طلبهم
عاد الشابان لقص مغامرتهم على زولا وعن محكمة القاضي أبوت عندما بدا
كل من حضر الجلسة مستعدين للانقضاء عليهما كالذئب. كان الزبائن
الجالسون على الطاولات المجاورة بدؤوا يلتفتون إلى حديثهم، لكنهما أنهما
وجبتهما ثم تناولوا التحلية قبل أن تُخفض أصواتهم بعد تقديم القهوة وازدياد
جدية الحديث. قال مارك: "مشكلتنا واضحة. نحن هنا في إجازة لبضعة أيام
ونحن نساfer وبيدنا جوازي سفر مزيفين. إن قبض علينا، سيأخذوننا إلى
السجن ذاته الذي اقتيد إليه والدك وبو. وسنكون شاينين أبيضين البشرة قليلي
الحيلة في سجن سعى السمعة".

هزت زولا رأسها نافية الاحتمال معترضةً: "لا، أنتما بأمان هنا ويمكنكما إطالة بقائكما قدر ما ترغبون دون أن يطرح أحد أي سؤال عليكما. عليكما فقط أن تبقيا حيث يبقى الأشخاص بيض البشرة ولا تبتعدا عن الشاطئ كثيراً؛ لا تقوما بما من شأنه لفت الأنظار إليكما".

قال تود: "قرأت عن قسوة الشرطة هنا".

"لا يتعاملون بالقسوة قرب منطقة السياح لأهمية السياحة هنا. تنبها إلى أنهما قد يوقفانكما بأي لحظة لسؤالكما عن هويتكما وأوراقكما. فوجود شاين أبيض البشرة في المناطق المشبوهة من البلد قد يكون محط أنظار".

قال مارك: "هذا يبدو كأنه عنصري قليلاً، لكنه عكس العنصرية التي نعرفها".

مضى على جلوسهم ساعتين. اقتربت زولا من مركز الطاولة سائلةً: "إذا ما حجم المشكلة التي ورطنا أنفسنا بها حقيقة؟".

تبادل مارك وتود النظرات قبل أن يقول تود أولاً: "هذا يعتمد على التسوية. إن أبرمت بدون أن تثير الشبهات فنحن قد قمنا بالجريمة المثالية بالفعل. سنبقى هنا لأسابيع قليلة، وربما نحول المبلغ المتبقي من حسابنا في باربادوس، لتأكد من نقله إلى مكان آمن".

بدوره قال مارك: "علينا أن نعلم الأهل، وأن نبقي بعيدين عن العاصمة وعن نيويورك. وأن نقضي وقتنا بالترقب والمتابعة. إن مضت قصة سوفيت بسلاسة فنحن قد أعفينا من ذنوبنا".

قال تود: "ومن جهة أخرى، إن أثارت التسوية شكوك أحدهم، فعلينا أن نلجأ لتنفيذ الخطة البديلة".

"ألا وهي؟".

"لا أزال أفكر بها".

سألت زولا: "وكل الفوضى في العاصمة؟ صديقايا أنا لا أود أن أدان بأي مهمة حتى لو كانت بسيطة مثل ممارسة المحاماة من دون ترخيص".

قال مارك: "لم نُدن حتى الآن. ولتكوني على علم بأننا وكلنا محامياً من الذين يتقاضون أتعاباً باهظة ليؤجل موعد الدعوى ويبرم صفقة، إن صخب العاصمة لا يقلقني".

"حسناً، ما الذي يقلقك؟".

غمغم مارك في نفسه قبل أن يجيب: "كوهين - كاتلر. قاموا بتأجيل تحويل أتعاب المحامين. هذا إنذار لنا".

بعد الغداء، غادرت زولا وذهبا من أجل قيلولة قصيرة استفاقا بعدها ليقوما بروتين السباحة وتناول المشروب بالقرب من المسبح كالمعتاد. وزاد الصخب بعد الظهر بوصول بعض السياح البلجيكيين. وارتفعت نغمات الموسيقى وزاد عدد الناس حول المسبح وجلس تود ومارك على مشارف الحشد يتابعان الحفل.

عند الساعة، عادت زولا حاملةً حقيبتين مملوءتين بالأشياء؛ حاسويين شخصيين جديدين وهاتفين مسبقي الدفع. أعد كل منهما عناوين بريدية جديدة وأنشأوا حسابات جديدة. وتناقشوا بخصوص سيناريوهات الأمن المختلفة وتحدثوا بخصوص المال؛ لكن لم يقوما باتخاذ أي قرار جدي. ثم عمل المشروب عمله وأثقل عيني تود ومارك فأهيا الجلسة ليذهبا إلى النوم. بعد أن تجاوزت الساعة التاسعة بقليل، غادرت زولا وعادت إلى شقتها.

تلقي تود مكاملة على هاتفه الثالث، هاتفه الأول مسبق الدفع، ذاك الذي اشتراه في العاصمة يوم غادرت زولا البلاد. والآن هو يتلقى المكالمات على هاتفه الرابع، وشريكاه يبحثان عن طرق للتخلص من هواتفهما الأخرى والإبقاء على واحد منها لا غير.

هاتفه الثالث هو الذي أعطى رقمه إلى السيد رودولف ريتشارد، وكانت المكاملة محطة للآمال. قال السيد رودولف أنه يقوم بالاتصال لعدم رغبته بترك رسالة إلكترونية قد يصل إليها أحدهم. فعملاء الأف بي آي يطرحون أسئلة حول عملية التحويل من حساب لوسيرو وفرايزر في سيتي بنك في بروكلين. وكيف أنه لم يجب على أي من أسئلتهم تلك ولم يؤكد وجود حساب لأورانج أند يورك في مصرفه. لم يبح بأي معلومة للفدراليين، وكالمعتاد، سيخضع عملاء المكتب للقوانين السارية في باربادوس ولا يمكن أن يحصلوا على معلومات الحساب. لكن بكل الأحوال شعر السيد ريتشارد أن عليه واجب إعلام زبونه أن عملاء الأف بي آي في طريقهم إليه.

شكره تود، ثم أعلم مارك الذي تلقى الخبر كالصاعقة، أول ما خطر بباله كان الاتصال بجيني فالديز والتأكد من المعلومات لكن سرعان ما صرف الفكرة الغبية من ذهنه فإن كان عملاء الأف بي آي يعملون بموجب مذكرة من المحكمة فكل الاتصالات في كوهين - كاتلر يتم تعقبها وتسجيلها.

وصلت زولا إلى الفندق بعد ساعة. جلسوا جميعاً تحت مظلة على التراس وأنظارهم على المحيط الجميل، أبدوا إعجابهم بالمنظر لكن لا يمكن في ظل هذه الظروف أن تجول أفكار سعيدة في أذهانهم. ففي الأفق تبدأ مشاهد أسوأ كوايسهم، وعلى الرغم من أنهم فكروا سابقاً بإمكانية خروج الأمور عن

السيطرة لكن شعورهم بهول المصيبة كان قوياً. وبالطبع، هذا يعني أن قائمة المدعين المزيفين قد كشفت، وهذا قد يؤدي لإثبات إدانتهم واستصدار مذكرات توقيف بحقهم ومنع السفر وتعميم هوياتهم على المطارات. نظراً لأهمية محاربة الإرهاب وتجار المخدرات فمن الصعب تحديد مدى اهتمام مكتب الأف بي آي. يمثل هكذا أمر، ما عليهم إلا افتراض أن الأسوأ قد يحدث.

دبّ الذعر في قلب زولا، ولديها كامل الحق بأن تشعر بالذعر، إذ استعملت في سفرها إلى السنغال جواز سفرها الأمريكي الحقيقي ما يترك دليلاً دامغاً على مكانها يمكن لأسوأ المحققين أن يتعقبه. ويمكن الآن لعملاء الأف بي آي أن يتعقبوا حركاتها ببساطة. وليزيد من سوء الحال، فهي قد سجلت دخولها في السفارة الأمريكية في دكار إبان وصولها قبل أسبوعين.

من المحتم الآن أن يتخذوا قراراً وخاصة أنهم لا يملكون أدنى فكرة عما قد يفعله الأف بي آي، أو إلى أين وصلت تحقيقاتهم ومدى تعقبهم واقتراهم منهم، قرر الثلاثة أن عليهم ابتكار خطط. سيتصل تود بالسيد ريتشارد في باربادوس ليطلب منه نقل المبلغ المتبقي إلى مصرفهم في السنغال. وستضع زولا ثقتها في بو وتخبره بكل ما يحدث شريطة ألا يخبر والديها؛ ربما قد يعلمهما لاحقاً. ثم ستلقي إيدينا سانغا صباح الغد لتستعجل موضوع جنسيتها السنغالية. فعند حصولها على الجنسية السنغالية سيصبح من المستحيل ترحيلها إلى الولايات المتحدة. وستبحث بأريحية إمكانية الحصول على هوية ووثائق جديدة لصديقيها.

طوال يومي الثلاثاء والأربعاء تسمّر الشركاء الثلاثة أمام شاشات حواسيبهم الشخصية باحثين بدأب عن أي ما يمكن أن يدلّ على تسوية سويقت. دون أن يحصل أحدهم على أي نتيجة. حصتهم التي حولت لأتعب المحامين لم تصل إلى سيّتي بنك في بروكلين وهو دليل واضح أن هناك مشكلة ما. لم يجدوا قبل صباح الخميس تقريراً في أحد المواقع المالية حول المشكلة بما يتعلق بسويقت. إذ قام أحد القضاة الفدراليون في ميامي بإيقاف عمليات التحويل وأمر بالبحث في أمرها لشكّه بحدوث عملية احتيال. ومثله فعل قاضٍ آخر في

هيوستن. لقد دفع سويف حتى الآن ثلاثة مليارات دولار من أصل الـ 4.2 مليار دولار المستحق دفعها على مستوى الولايات المتحدة، لكن المشكلة تظهر إلى العلن الآن.

ورغمًا من أن عملية الاحتيال لم تحدّد، لكن ثلاثتهم أدركوا تماماً ما الذي يجده المحققون.

كانت خطة مارك هي مغادرة هذا البلد بدون أن يتكلفوا الإجراءات الشكلية في المطار. فليساعدهم المال ليفعلوا ما يخلو لهم، فاقترضت خطته أن يستأجروا سيارة وينطلقوا في طريقهم جنوباً مجتازين أفريقيا الغربية مستمتعين بالمناظر الجميلة على الطريق حتى يصلوا إلى جنوب أفريقيا. فقد قرأ في مكان ما أن كيب تاون من أجمل المدن في العالم ومن ميزاتهما أن الجميع يتحدث الإنجليزية هناك. أعجبت الفكرة تود فهو لا يريد أن يقضي شهراً آخر مرتاباً وقلقاً كلما اقترب منه أحد الحراس طالباً جواز سفره. لم يرفض الفكرة لأن الفرار ضروري إن لم يكن اليوم فسيحدث غداً، لكنه لم يقبل بالفكرة تماماً.

أما زولا فقد رفضت الفكرة. فهي لن تغادر بعد كل ما عانوه معاً. استمرت التحقيقات لكن لم تطلها أيدي الصحافة. وما كان أمامهم إلا الانتظار. كانت دكار ملجأً آمناً لزولا، لكنها تعيش مجدداً في خوف عند كل قرعة للباب.

تبعد المدينة السياحية في سانت لويس التي تقع عند شواطئ المحيط الأطلسي مائتي ميل عن دكار، ويبلغ عدد قاطنيها 175 ألف مقيم، وبهذا تكون أقل كثافة سكانياً من دكار وأكثر هدوءاً، لكنها تبقى مدينة كبيرة ليس من السهل تقفي أثر سائح فيها، فيما مضى كانت عاصمة للبلاد، بنى فيها الفرنسيون منازل فخمة لا تزال لاثقة حتى يومنا هذا، وتشتهر المدينة ولا سيما المنطقة السياحية

بمعالمها المعمارية الاستعمارية، وبأسلوب المعيشة المريح، وشواطئها الخلابية
ومهرجان موسيقى الجاز الأشهر والأكبر في أفريقيا.

أعدت زولا للرحلة، فطلبت سيارة أجرة مكيفة، ودفعت لسائقها أجرته
مسبقاً، وغادرت مع بو وشريكها لقضاء أيام عدة في سانت لويس. لم تدعُ
والديها لمرافقتهم، فقد شعرت وبو بأن وجود عبدهم يحدّ من حريتهما، وهما
بحاجة إلى استعادة القليل منها بعيداً عنه. ما احتاجاه فعلاً هو مكان سكن آخر
بعيداً عن عائلتهما وأخبرها حدسها أن سانت لويس هي المكان المناسب.

بمغادرتهم دكار، أدركوا أن سائقهم لا يتحدث إلا القليل من الإنجليزية،
وعمرور الوقت أظهروا انفتاحاً للحديث عن أحداث الشهور الستة الماضية. كان
لدى بو كثير من الأسئلة وخاصة عن المدة الزمنية القصير التي قاموا خلالها بكل
ما قاموا به. واضطر مارك وتود لتبرير كل أفعالهم وشرحها لبو، الذي بدا حانقاً
لتوريطهما أخته الصغيرة في خدعتهما واحتيالهما. عاجل مارك وتود بتحمّل
كامل المسؤولية، لكن زولا ثبتت على موقفها بأنها ذات شخصية مستقلة،
وتتخذ قراراتها بنفسها. لم تنفِ حدوث بعض الأخطاء، لكنها كانت شريكة في
صنعها جميعها، ولا يمكنها أن تلقي اللوم على أحد سوى نفسها.

علم بو بوجود المال في المصرف، لكن لم يعلم مقداره، فهو لا يتخيل
مستقبله بعيداً عن الولايات المتحدة فهي الوطن الوحيد الذي عرفه يوماً، وفيه
ترك حبيبةً مفطورة القلب، والعديد من الأصدقاء ووظيفة جيدة. زاد توتر بو مع
تقدم رحلتهم فهو يعلم باحتمال دخوله السجن وإن لم يتورط بموضوع المال
الذي وضعه مارك وتود بثقة باسم زولا، ولكنه بالوقت ذاته لم يستطع إخفاء
الإعجاب الذي يكنّه الشابان لأخته.

انقضت ست ساعات وهم على الطريق حتى وصلوا إلى نهر السنغال،
واجتازوه عبر جسر فيدهيرب الذي صممه غوستاف إيفل باني البرج الشهير في
باريس. تقع المدينة القديمة على جزيرة *أندار* وهي مساحة متطاولة من الأرض
غارقة في مياه المحيط من جانبيها. اجتازوا في طريقهم مباني سكنية جميلة للغاية
قبل أن يصلوا إلى مقصدهم، فركنت السيارة أمام مبنى فندق ميرموز بالقرب من

الشاطي، تناولوا العشاء على التراس ومياه المحيط تموج أسفل أقدامهم، قبل أن يخلدوا باكراً إلى النوم.

لم تكن خريطة المدينة دقيقة التفاصيل كما الحال في دكار، لكن زولا تمكنت من إيجاد المنزل الذي تبحث عنه؛ منزل بناه تاجر فرنسي عام 1890؛ فيلا من ثلاثة طوابق جميلة الهندسة الخارجية، ذات مساحة واسعة وهيكل ساحر لكنها لا تطل على ما يسر الأنظار، غطي الغبار أثاثها، وملأت الأباريق والجرار والكتب الفرنسية المهترئة الرفوف. لا تزال بعض أنابيب الماء تعمل أما البراد فكان من حقبة خمسينيات القرن الماضي، واحتوت غرفة الجلوس على تلفاز صغير، لقد أخبر السمسار زولا أن المالك يتعهد بتأمين الإنترنت للفيلا ولكنه لم يكذب عليها وأخبرها أنها بطيئة.

تفرقوا وتوزعوا على غرف المنزل الذي مرت ساعات قبل أن يجولوا في كل أرجائه، وعندما وقف مارك على شرفة الجناح الذي اختاره تود لنفسه قال: "لن نجدونا هنا أبداً".

"ربما أنت على صواب، أتصدق أننا وصلنا إلى هنا؟".

"لا، هذا أشبه بالخيال".

بغض النظر عن انطباعهم عن المكان، أعجبت زولا بالمنزل، ووقعت عقد إيجار لمدة ستة أشهر مقابل بدل شهري يبلغ ألف دولار. بعد يومين انتقلوا إلى المنزل، ليقم مارك وتود في الطابق الثاني - ثلاث غرف نوم، وحمامان ولا أثر لدوش فيهما - واختارت زولا غرفة النوم الرئيسية في الطابق الأول. أما الغرفة الأصغر فكانت من نصيب بو. استغرق شراء الحاجيات يومين، إضافةً إلى تغيير المصابيح الكهربائية. كان يعمل في المنزل بستاني يدعى بيار لم يحفظوا اسم عائلته، وهو لم يكن يتحدث الإنكليزية البتة، لكنه كان ماهراً بالتواصل بلغة الإشارة.

بدت الجزيرة كأنها مدينة البندقية، والفرق أن هذه المدينة ذات شواطئ خلابة. حيث يجذب منظر الرمال الصفاء للسياح القادمين من كل حذب و صوب، فتنشر الفنادق على طول الشاطي. عندما لم يكن مارك وتود يؤديان

أعمالاً في المنزل نزولاً عند رغبة زولا، كانا يتواجدان مستقلقين يحمل كل منهما كأساً بيده بينما تبحث عيناه عن الفتيات.

في الليلة التي غادر بو وزولا في سيارة الدفع الرباعي بعد عناق من مارك وتود اللذين طلبا منهما أن يعودا بسرعة- وهذا ما حدث فمكثنا مع والديهما أسبوعاً، وهي المدة التي احتاجا إليها ليجمعا أغراضهما ويودعا والديهما- قضى مارك وتود تلك الليلة في غرفة المعيشة نصف المضاعة في المنزل الذي بناه الأوروبيون في القرن الماضي. وبعد أن أفرغا زجاجة سكوتش حاولوا أن يتناقشا بأمر حياتهما ووضع الأمور في نصابها.

يوم الأحد الواقع في 22 من حزيران، عنونت صحيفة الواشنطن بوست على صفحتها الأولى:

"إقامة الرابطة بين الخدعة التي نفذها طلاب كلية الحقوق ومدير تمويل في نيويورك". وتحت العنوان صورة كبيرة يظهر فيها هيندز راكلي. كان المقال نسخة منقحة ومكتوبة بأسلوب صحفي عن المستند الذي أعده جوردي. لم يحظَ بنك سويفت بالاهتمام الكبير، والسبب أن الصحفي برأي مارك وتود لم يستطع أن يربط شركات راكلي الخارجية التي زعم جوردي امتلاكها للأسهم. لكن المقال كان إثباتاً لما توصل إليه جوردي، وتوجب على الشيطان الأكبر أن يمضي ليلة جهنمية لم يكن ليمر بها في أسوأ أضغاث أحلامه. وبالرغم من أن المقال لم يشر إلى ذلك، لكن بدا جلياً أن راكلي كان تحت أنظار الأف بي آي، لقد تابع الصحفي بنشر المقالات المتابعة لعدة أيام قبل أن ينتقل إلى موضوع آخر.

بعد يومين، بتاريخ 24 حزيران، أدين مارك فرايزر، وتود لوسيرو وزولا مال بتهمة ابتزاز فدرالية، وصدر بحقهم حكم إدانة في ميامي. وكانت التهم جزءاً من تحقيق جارٍ في عدة ادعاءات في دعوة بنك سويفت. ومن المتوقع أن تتبع الإدانة بهذه التهمة إدانات لاحقة وذلك حسب ما جاء في التقرير الأول في بلومبيرغ. تابع مارك وتود المقال الذي نشر على الموقع الإلكتروني لكن لم يكن

مهماً لينشر على الصفحة الأولى. فالموضوع لم يكن ذا أهمية كبرى في عالم البورصة والأموال.

لم يكن الأمر مهماً بالنسبة إلى الأمة، لكنه بالغ الأهمية بالنسبة للمدعي عليهم الثلاثة. وبالرغم من أنهم توقعوا ذلك، إلا أن صدور حكم الإدانة بحقهم جعل فرائضهم ترتعش، بالرغم من أنهم كانوا في مكان بعيد وآمن ولن تستطيع يد الأف بي أي الطويلة الوصول إليه.

بالرغم من أن مكان زولا كان معروفاً بسبب تسجيل نفسها في السفارة، إلا أن مارك وتود شككاً أن يتكبد العملاء الفدراليون عناء تقفي أثر زولا إلى دكار، وأن يتواصلوا مع الشرطة لأجل اعتقالها والبحث مع محكمة سنغالية أمر ترحيلها، لجريمة لا علاقة لها بالإرهاب. لكن زولا كانت لها خططها المحكمة، فقد طلبت من تود ومارك العودة إلى دكار، من أجل لقاء عاجل، أمضت أياماً طوال تعد له، فقد وجدت بأيدينا سانغا خير وسيط مساعد لعقد صفقة معقدة بقدر ما هي بسيطة.

فلقاء مبلغ وقدره مئتا ألف دولار سيحظى كل منهم ببطاقة هوية وجواز سفر سنغالي يثبت أنهم مواطنون سنغاليون، لقد تدبر هذا الأمر موظف حكومي التقته زولا عدة مرات في سبيل مد جسور الثقة بينهما، ولم يكن معلوماً حصته من هذه الصفقة.

الصفقة بسيطة، نقود مقابل الجنسية، وهي عملية نوعية نادرة الحدوث في السنغال. ولكن لم يشأ تود وزولا ومارك خسارة جنسيتهم الأميركية. لذا، احتفظوا بها، ولكنهم حصلوا على الجنسية السنغالية التي تؤمن لهم الحماية المطلوبة من خلال أسماء جديدة. كان الحصول على الجنسية مكلفاً، وبالرغم من أنه لم يبق في حسابهم سوى 2.5 مليون إلا أنهم لم يتذمروا فالمستقبل لا يزال أمامهم وفاتحاً ذراعيه ليستقبلهم.

عادوا إلى سانت لويس، إلى الفيلا، يحملون في جيوبهم هوياتهم الجديدة إلى جانب بطاقات الائتمان وجوازات سفر جديدة تحمل على صفحاتها الأولى وجوههم المتبسمة، ولكن بأسماء جديدة فجواز مارك فرايزر حمل اسم

كريستوف فيدال أو يمكنك ببساطة أن تدعوه كريس. أما صديقه الصدوق فكان توماس ديدير، وفي المنزل يدعونه تومي. شابان من أصل فرنسي لا يتكلمان لغتهما الأم بشكل جيد. يشكل السكان بيض البشرة أقل من واحد بالمائة من سكان السنغال، وإضافة شابين أبيضي البشرة لن يخل بالموازن الديمغرافية.

وتحول اسم زولا مال إلى أليما بيني وهو اسم أفريقي تقليدي، ولكن الجميع كانوا يدعونها أليس.
أما بو البريء من أي همّة فاحتفظ باسمه.

قضايا أيامهما بكسل بين النوم والمطالعة ومتابعة الإنترنت، والشرب والتسكع على الشاطئ أو تناول العشاء على الرمال، لكن الملل نال منهما بسرعة، فبعد أن مضى شهر على اكتسابهما الجنسية السنغالية، بدأ كريس وتومي بالبحث عن عمل شريف.

حانتها المفضلة كانت تبعد مسافة خمس دقائق عن الفيلا. قضايا هناك ساعات طوال يلعبان الدومينو والترد ويدردشان مع السياح، أو يستمتعان بأشعة الشمس أو يتناولان الغداء ويشربان الجعة السنغالية. تعود ملكية الحانة إلى عجوز ألمانية سيئة الطباع ترمّلت حديثاً. كانت تمرر من وقت إلى آخر إلى الحانة لمتابعة الأعمال، لكنها لم تستطع فرض سطوتها على العمال. بدأ توماس بالتودد إليها ومغازلتها، وبادر بتعريفها إلى صديقه كريستوف. فرضا سحرهما عليها، ولم يحتاج الأمر سوى أن تتناول معهما غداء مطولاً قبل أن تعود في اليوم التالي إليهما طالبة المزيد من وقتهما، وبنهاية العشاء الرابع، سألتها توماس إن كانت تفكر ببيع الحانة. فهما كانا يبحثان عما يقومون به. وهكذا اعترفت أنها تقدمت في السن وأن متابعة الحانة كان متعباً بالنسبة إليها.

اشترى منها الحانة وأغلقها مؤقتاً لأجل التجديدات، وشاركها أليس فيها، وصرفوا ثمانين ألف دولار لتجديد المطبخ وتحديثه، ولتجهيز المشرب وتعليق

أجهزة التلفاز الكبيرة على الجدران، وضاعفوا المقاعد. اقتضت خطة عملهم أن يوسموا الحانة بطابع أمريكي رياضي مع الإبقاء على النمط الموسيقي المحلي والطعام والديكور. بإعادة فتح الحانة استلمت أليس أمور الطعام، أما كريس وتوماس فعملوا على المشرب، أما بو فأشرف على طاقم العمل الصغير في المطبخ، ومنذ يوم الافتتاح شهدت الحانة نجاحاً تلو الآخر واقبالاً قل نظيره. وكذكرى من حياتهم السابقة، أسموا المكانة حانة رويستر.

t.me/ktabpdf

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

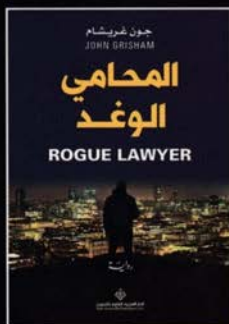
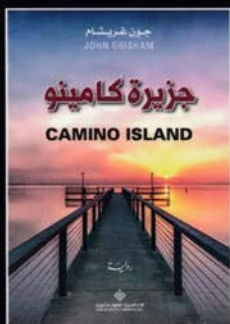
كعادته يأخذنا جون غريشام في هذه الرواية إلى عالم النصب والاحتيال الذي يبرع به ذوو الياقات البيض، حيث لا يتوانى مصاصو الدماء هؤلاء عن تدمير مستقبل الشباب لتحقيق مآربهم الرخيصة، ففي الأبنية العالية وخلف المكاتب الفخمة، يقبع أوغاد ببذلات فخمة، جل همهم تكديس الأموال والتخفي عن أعين الصحافة، لا يعبرون أهمية للقيم والمثل. ولكن جوردي كشف المستور، وأقام الدليل، وكانت النتائج وخيمة، فقد انهار ومات، ولكنه أضاء الطريق لأصدقائه، فساروا وراء الهدف وأتقنوا قواعد اللعبة، ولكنهم أغرار في مستنقع الاحتيال هذا ورماله المتحركة، فهل سيحققون هدفهم وينجون أم أن آلة الشر ستتمكن منهم؟

حبكة روائية متقنة، وتصعيد متدرج في الأحداث، ونهاية لا تخطر على بال.

جون غريشام؛ من مواليد 8 فبراير 1955، هو كاتب أمريكي ومحامي، وسياسي، وناشط اشتهر برواياته القانونية المثيرة. وقد تُرجمت كتبه إلى 42 لغة ونشرت في جميع أنحاء العالم. تخرّج جون غريشام من جامعة ولاية ميسيسيبي قبل أن يلتحق بكلية الحقوق في جامعة ميسيسيبي في عام 1981. مارس القانون الجنائي لأكثر من عشر سنوات وخدم في مجلس النواب في ولاية ميسيسيبي من يناير 1984 إلى سبتمبر 1990. نُشرت روايته الأولى، «وقت للقتل»، بعد أربع سنوات من بدء كتابتها واعتباراً من عام 2012، بلغ مجموع مبيعات رواياته أكثر من 275 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم. فاز بجائزة غالاكسي البريطانية للكتاب، ويُعتبر واحد من ثلاثة مؤلفين فقط باعوا 2 مليون نسخة من طبعة روايتهم الأولى.



جون غريشام
JOHN GRISHAM



صدر له أيضاً:

مكتبة ٣٧٣

ISBN: 978-614-01-2549-0



9 786140 125490

للاطلاع على المزيد

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات، كم
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.asppbooks.com

